أدبيات اللغة العربية

تأليف
محمد عاطف بك، والشيخين محمد نصار وأحمد إبراهيم،
وعبد الجواد أفندي عبد المتعال



أدبيات اللغة العربية



تأليف

محمد عاطف بك، والشيخين محمد نصار وأحمد إبراهيم، وعبد الجواد أفندي عبد المتعال

الكتاب: أدبيات اللغة العربية

تأليف: محمد عاطف بك، الشيخان محمد نصار وأحمد إبراهيم، عبد الجواد افندي عبد المتعال

الطبعة: 2017

الناشر : وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

5 ش عبد المنعم سالم - الوحدة العربية - مدكو ر- الهرم - الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : 35825293 - 35867576 - 35867575

فاكس : 35878373

news@apatop.com E-mail: http://www.apatop.com

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر

عاطف / محمد بك

أدبيات اللغة العربية / محمد عاطف بك - الشيخان محمد نصار واحمد ابراهيم - عبد الجواد افندي عبد المتعال

- الجيزة - وكالة الصحافة العربية.

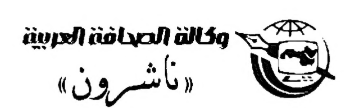
.. ص، .. سم.

الترقيم الدولى: 3 - 495 - 718- 977- 978

أ - العنوان رقم الإيداع : 17197

أدبيات اللغة العربية





كلام العرب نوعان منثور ومنظوم. فالمنظوم هو الكلام الموزون المُقَفَّى أي الذي تكون أوزانه كلها على رَوِيّ واحد وهو القافية. والمنثور هو الكلام غير الموزون وينقسم إلى سَجْع ومُرْسَل فالسجع هو الذي يؤتى به قِطَعا ويُلْتَزَم في كل كلمتين منه قافية واحدة والمرسل هو الذي يُطْلَق إطلاقا ولا يُقَطَّع أجْزَاء بل يُرْسَل إرسالا من غير تقييد بقافية ولا غيرها. والقرآن الكريم وان كان من المنثور خارج عن نوعية السابقين فلا يُسَمَّى مُرْسَلا مطلقا ولا مُسَجَّعا بل تفصيل آيات ينتهي إلى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها ثم يعاد الكلام في الآية الأخرى بعدها من غير التزام حرف يكون سجعا ولا قافية.

قال ابن رَشِيق في العُمْدة وكان الكلام كله منثورا فاحتاجت العرب إلى الغِناء بمكارم أخلاقها وطِيب أعراقها وذكْر أيامها الصالحة وأوطانها النازحة وفرسانها الأنْجاد وسُمَحَائها الاجْواد لتَهُزّ أنْفُسَها.

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم ونستعينك ونصلي ونسلم على صفوتك من خليقتك سيدنا ومولانا محمد الذي آتيته جوامع الكلم وأنزلت عليه كتابك المبين معجزا لجميع العالمين وعلى آله وصحبه الذين قاموا بهديه خير قيام فأشرقت بهم أنوار المدينة القويمة على جميع الأنام.

أما بعد فهذا كتاب قد جمعناه لتلاميذ المدارس الثانوية وصدّرناه بمقدّمة طويلة بيننا فيها حالة اللغة العربية قبل الاسلام وبعده وسعتها لتدوين العلوم على كثرتها واختلافها وفضلها على المدينة التي عمت جميع الممالك الاسلامية إبان عظمتها واتساعها ثم أتبعنا ذلك بتراجم بعض المشهورين من الشعراء والكتاب والخطباء والعلماء ثم أثبتنا بعض المختارات من النثر والنظم في كل عصر لتكون معتمد التلاميذ في معرفة كثير من مفردات اللغة النافعة وأساليبها الحسنة المختلفة ومعانيها الشريفة وتراكيبها المتينة فصار هذا الكتاب بذلك كتاب أدب ومطالعة ومختارات للحفظ يجد فيه التلميذ ضالته التي ينشدها وبغيته التي يطلبها.

ولما كانت كل أعمال الانسان في ابتدائها ناقصة لم تصل إلى درجة كمالها كان لنا الأمل في أن يكون هذا الكتاب في المستقبل اكما مما هو عليه الآن بعد اعادة طبعه والله الموفق.

إلى الكرم وتَدُلّ أبناءَها على حسن الشِيَم فتوهَّموا أعـارِيض جعلوهـا مـوازين الكلام فلما تمّ لهم وزنُهُ سَمَّوه شِعرا لأنهم شَعَروا به أي فَطَنـوا وزعـم الـرواة أن الشعر كله كان رَجَزا أو قِطَعا وأنه انما قُصّد على عهد هاشم بن عبد مناف وكان أول من قصده مهلهِل وأمرؤ القيس وبينهما وبـين مجـيء الاسـلام مائـة ونيف وخمسون سنة.

وأوّل من طوّل الرَّجز وجعله كالقصيد الأغْلَب العِجْـلي شـيأ يـسيرا وكـان عـلى عهد النبي صلى الـلـه عليه وسلم ثم أتى العَجَّاج في الدولة الاموية فـافتنّ فيـه فالاغلب والعجاج في الرجز كامرئ القيس ومهلهل في القصيد وسئل أبو عمـرو بن العلاء الحضرمي هل كانت العرب تُطِيل قال نعم لِيُـسْمَع منهـا قيـل هـل كانت توجز قال نعم لِيُحْفَظ عنهـا. ويـستحب عنـدهم الاطالـة عنـد الاِعـذار والاِنذار والترغيب والارهاب والاصلاح بين القبائل كما فعل زهير والحارث بـن حِلِزّةَ ومن شـابههما والا فـالقِطَع أطْـيَر في بعـض المواضـع والطـوال للمواقـف المشهورة

(النظــم)

كان الشاعر العربي يقول الشعر بالبديهة لحِدّة خاطره فيرتجل القول ارتجالا وقد يتعمد القول في بعض الاحيان ويُجهد خاطره فيه فقد كان لزهير بن أبي سُلْمَى قصائد لُقِّبَت بالّحوْليّات كان ينظم الواحدة منها ثم يُهَذّبها بنفسه ثم يَعْرِضها على اصحابه فلا يُشْهرها حتى يأتي عليها حَوْل وقد وَلَج الشعراء في عصر الجاهلية أبوابا كثيرة من الشعر فوصَفوا ومَدَحوا وهَجَوا وفَخَروا ودوّنوا الاخبار وضربوا الامثال ورغّبوا وأرهبوا ولم يتركوا شيئا وقع تحت حِسّهم حتى تناولوه بمقالهم فأجادوا وأبدعوا مع سهولة في اللفظ ومتانة في التركيب وتَوَخّ للحقيقة وبُعْد عن الغُلُوّ, ولقد تركوا فيما تركوه من أشعارِهم ما يمكن أن يستخرج منه بيان لعاداتهم وسائر أحوالهم ومع أن منهم من سكن البادية على خشونة في العيش قد أتوا في كلامهم بالعجب العجاب من السهولة والانسجام وروائع الحكم ودقيق الشعور والوِجْدَان كما ترى ذلك فيما آوردناه في هذا الكتاب من كلامهم وجَيّد أشعارهم وكان الشعر ديوان علمهم ومستودع حكمتهم والضابط لايامهم وقيد كلامهم والحاكم لهم والشاهد عليهم وله من نفوسهم أسمى مكانة وأرفع قدر ومما يدلّك على علوّ قدر الشعر أن القبيلة من العرب كانت اذا نبغ فيها شاعر أتتها القبائل فَهَنّأتْها بذلك وصعنت الاطعمة واجتمعت النساء يلعبن كما

يصنعن بالافراح وتباشروا به لأنه يحمي أعراضهم ويدفع عن أحسابهم ويُخَلّد مآثرهم ويُشَيّد بذكرهم وكان للشعر تأثير في النفوس وسلطة عليها حتى كانت تخشى بأسه الأُمراء وتتحاماه الكبراء وطالما وضع قوما ورفع آخرين. قال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين ومما يدل على قدر الشعر عندهم بكاء سيد بني مازن مُخارِق بن شهاب حين أتاه محمد بن المُكَعْبَر العنبري الشاعر فقال له ان بني يربوع قد أغاروا على إبلي فاسْعَ لي فيها فقال كيف وأنت جار بني ودّان فلما ولّى عنه محمد حزِن مُخَارِق وبكى حتى بلّ لِحْيته فقالت له ابنته ما يبكيك فقال وكيف لا أبكي وقد استغاثني شاعر من شعراء العرب فلم أُغِثْه والله لئن هجاني ليَقْضَمَنَّني قَوْلُه ولئن كف عني ليقتُلَنَّني شُكْره, ثم نهض فصاح في بني مازن فردّت عليه إبله ومما رواه صاحب الأغاني وغيره أن أعشى قيس كان يأتي سُوقَ عُكَاظ كل عام فيتجاذبه الناس في الطريق للضيافة طمعا في مدحه اياهم والتنويه بهم في عكاظ فمرّ يوما ببني كلاب وكان فيهم رجل يقال له المحلّق وكان مِئْناثا مُمْلِقا له ثَماني بَنَات لا يَخْطُبهنّ أحد لمكان أبيهنّ من الفقر وخمول الذكر فقالت له امرأته ما يمنعك من التعرّض لهذا الشاعر واكرامه فما رأيت أحدا أكرمه الا وأكسبه خيرا فقال ويْحَك ما عندي الا ناقتي فقالت يُخْلِفها الله عليك. فتلقّاه قبل أن يسبقه أحد من الناس وكان الأعشى كفيفا يقوده ابنه فأخذ المُحَلّقُ بخِطام الناقة فقال الأعشى من هذا الذي غلبنا على خِطام ناقتنا فقيل المحلق قال شريف كريم ثم قال لابنه خَلّه يقتادها فاقتادها إلى منزله وأكرمه ونحرله الناقة وجعلت البنات يدرن حوله ويبالغن في خدمته فقال ما هذه الجواري حولي فقال المحلّق

بنات أخيك وهُنّ ثَمَان نصيبهنّ قليل فقال الأعشى هل لك حاجة فقال تُشَيّد بذِكْرى فلعلى أُشْهَر فتُخْطَب بَنَاتي فنهض الاعشى من عنده ولم يقل شيأ فلما وافى عكاظ أنشد قصيدته التي أنشأها في مَدْحه وهى نَيْف وأربعون بيتا وفيها يقول:

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة	إلى ضوء نار باليفاع تُحَرَّقُ
تُشَبّ لَمقْرورَيْن يصطليانها	وبات على النار الندى والمُحَلَّق

فسارت القصيدَة وشاعت في العرب ولم تمض سنة على المحلق حتى زَوّج بناته ويسرت حاله اهـ

وكانت لِشُعراء العرب أَنَفة من التكَسُّب بالشِعر حتى نشأ النابغة الذُّبْياني قُبَيل الاسلام فمدح الملوك وقبِل الصِلَة على الشعر وجاء بعده الأعشى وقد أدرك الاسلام ولم يُسْلِم فجعل الشعر مَتْجَرا وانتجع به أقاصي البلاد وقصد ملك العجم فأثابه وأجزل عطيته. وكان زُهير ابن أبي سُلْمَى ممن أفاد بشعره بمدائحه لهَرِم بن سنان. على أن شيئا من ذلك لم يضَعْ مِن قدر الشعر ولم يَحُطّ من قيمته لِقّلة مَن كانوا يتكسبون بشعرهم في ذلك العصر .

ومدة العصر الجاهلي نحو مائة وخمسين سنة ومن أشهر ما قيل فيه من الشعر المعلّقات السبع وهى سبع قصائد من أجود الشعر العربي واحسنه أسلوبا ويقال انها كتبت بالذهب على الحرير وعلقت على الكعبة تنويها لها وتعظيما لشأنها وكان العرب يتناشدونها في مجتمعاتهم مترنّمين بما فيها

من محاسن الشِيَم مُعْجَبين بما اشتملت عليه مـن المعـاني الـشريفة والتـشبيه الحسن البديع وحسن الوصف ودقة المعنى وغير ذلك من المحاسن وأصـحابها هم امرؤ القيس وطَرَفَـة بـن العبـد وزهـير وعمـرو بـن كُلْثـوم ولبيـد وعنـترة والحارث بن حِلِّزَة وكلهم من فحول شعراء الجاهلية وممـن اشـتهر في العـصر الجاهلي من الشعراء غير أصحاب المعلقات وكان من فحـول الـشعراء النابغـة الذُّبْيَاني والأعشى والمُهَلْهِل وعَبِيد بن الأبْرص والسَمَوْءل والشَنْفَرَي ودُرَيـد بـن الصِّمّة وأوْس بن حَجَر وحاتم الطائي.

النـــــثر

قد أثِر عن العرب مـن منثـورهم في العـصر الجـاهلي بعـضُ الامثـال والحِكَـم والخُطَب والوصايا مما عَلِق بالضمير لحـسنه وحَرَصـت عليـه الـنفس لنفاسـه (الامثال) جمع مَثَل وهو جملة وهو جملة من القول مقتطعـة مـن أصـلها أو مرسلة بذاتها فَتُنْقَل عما وردت فيـه إلى مـا يـصح قـصده بهـا مـن غـير تغيـير يلحقها في لفظها والعرب من أكثر الامـم أمثـالا للحكمـة المُودَعـة في نفوسـهم ولفصاحة ألسنتهم وميلهم إلى الايجاز في القول. وقد أُلِّفت مجموعات للامثال وطُبِع بعضها ومن ذلك مجموعة للميداني جَمع فيها أكثر من سـتة آلاف مَثـل (الحِكَم) جمع حِكْمة وهى الكلام المعقول الموافق للحق المـصون عـن الحـشو والعـرب مـن أكـثر الامـم ايـرادا للحكمـة في عبـارات حـسنة الاسـلوب متينـة التركيب كلها من جوامع الكلم صادرة عن خبرة ودراية وصفاء نفس.

(الخُطَب والوصايا) الخطب جمع خطبة والوصايا جمع وصيّة وكلٌّ من الخطبة والوصية يُرَادُ به جملة من القول يقصد إلى الترغيب فيما ينفع الناس من أمور معاشهم ومعادهم والتنفير مما يضرهم وقد تشتمل على الفخر والمدح ونحو ذلك. والفرق بين الخطب تكون في المَشَاهد والمَجَامع والايام والمواسم والتفاخر والتشاجر ولَدَى الكُبَراء والأُمَراء ومن الوفود في أمرٍ مُهِمّ وخطب مُلِمّ. وأما الوصايا فانها تكون لقوم مخصوصين في زمن مخصوص على شئ مخصوص وكثيرا ما كانت تصدر من شخص لعشيرته أو سيد لقبيلته عند حلول مرض أو محاولة نُقْلة أو ما شابه ذلك وسيرد عليك في هذا الكتاب أمثلة لكل ما تقدّم تُفَصّل لك مُجْمَلَه وتُوَضّح لك مبهمَه السبب الذي دعا إلى الخَطَابة وما يتعلق بذلك (1)[1] لا يخفى ما كانت عليه العرب أيام جاهليتهم من الأنَفَة والتفاخر بالأحساب والأنساب والمحافظة على شرفهم وعلوّ مجدهم وسوددهم حتى حدث ما حدث بينهم من الوقائع العظيمة ولا شك أن كل قوم يتفق لهم مثل ذلك هم أحوج الناس إلى ما يستنهض هممهم ويوقظ أعينهم ويقيم قاعدهم ويشجع جَبَانهم ويشدّ جَنَانَهم ويثير أشجانهم ويستوقد نيرانهم صيانة لعزهم أن يُسْتَهان ولشوكتهم أن تُسْتَلَان وتَشَفِّيا بأخذ الثار وتَحَرُّزا من عار الغلبة وذُلّ الدَّمَار. وكل ذلك من مقاصد الخطب والوصايا فكانوا أحوجّ إليها بعد الشعر لتخليد مآثرهم وتأييد مفاخرهم. ولقد كان لكل قبيلة من قبائلهم خطيب كما كان لكل قبيلة شاعر على ما ذكره الجاحظ في كتاب البيان. وقد ألف في خطبهم كتب كثيرة

[1] (1) بلوغ الأرب في أحوال العرب

وذكر الجاحظ في البيان والتبيين نبذة صالحة من خطب الجاهلية والاسلام وكذا ابن عبد ربه في العقد الفريد. وكان للعرب اعتناء بالخطيب في جاهليتهم وللخطباء عناية بخطبهم فكانوا يتخيرون لها أجزل المعاني وينتخبون لها الالفاظ تحصيلا لغرضهم ونيلا لمقصدهم فان الالفاظ الرائقة والمعاني الجزلة أوقع في النفوس وأشدّ تأثيرا في القلوب ولذلك ورد انّ من البيان لِسحْرا. والأُذُن للكلام البليغ أصْغَى وأوْعَى والترغيب في العاجل والارهاب في الآجل اللذان هما من أهم مقاصد الخَطابة ومطالبها العالية ان لم يكونا بعبارات تَخْلُب القلوب وتأخذ بمجامعها فلا تأثير فيهما ولا فائدة منهما ومن عاداتهم في الخطابة أن الخطيب اذا تفاخر أو تنافر أو تشاجر رفع يده ووضعها وأدّى كثيرا من مقاصده بحركات يده فذاك أعون له على غرضه وأرهب للسامعين له وأوجب لتيقظهم. ومن عاداتهم فيها أخذ المْخَصرة بأيدهم وهى ما يتوكأ عليه كالعصا ونحوها وكانوا يستحسنون في الخطيب أن يكون جهير الصوت ولذا مدحوا سعة الفم وذموا صغره. ومن فحول خطباء الجاهلية قُسّ بن ساعدة الايِاَدي وأكْثَم بن صَيْفي التميمي وذُو الاصْبَع العَدْواني وعمرو بن كُلْثوم التَغْلبي وقيس بن زهير.

واهتداؤهم إلى تهذيب لغتهم وتوحيدها وعنايتهم بذلك

كان للعرب أسواق يقيمونها في أوقات معينة وينتقلون من بعضها إلى بعض للبيع والشراء وكان يحضرها العرب بما عندهم من المآثر والمفاخر ويناشدون الاشعار ويلقون الخطب. وكانوا يتحاكمون إلى قضاة نصبوا أنفسهم لنقد الشعر وبيان غَثّه من سمينه وتفضيل شاعر على آخر فكانوا يُفَضِّلون من سَهُلت عِبَارتَه وكان لها النصيب الأوفر من الفصاحة وحسن البيان مع التحرز من العيب والابتعاد عن النقص ويتخيرون من لغات العرب ما حلا في الذوق وخف على السمع. فكانت هذه الاسواق أندية علمية ومجتمعات لغوية أدبية اهتدى بها العرب إلى تهذيب لغتهم لفظا وأسلوبا وجَعْل لغة الشِعر والخَطَابة لغة واحدة بين جميع القبائل باذلين في ذلك جهد المستطيع. منها مَجِنَّة وذو المَجَاز وعُكَاظ. وأشهر هذه الأسواق سُوق عُكَاظ مِنْ عَكَظَه يَعْكِظه عَكْظا عَرَكَه وهى موسم للعرب من أعظم مواسمهم وعكاظ نخل في واد بين نخلة والطائف من بلاد الحجاز وبينه وبين الطائف عشرة أميال وكانوا يتبايعون في هذه السوق ويتعاكظون ويتفاخرون ويَتَحَاجُّون وينشد الشعراء ماتجدّد لهم وقد كثر ذلك في أشعارهم كقول حسان :

سأنُشر إنْ حَييت لهم كلاما ... يُنَشّر في المَجَنَّة مَعْ عُكَاظ

وفيها كان يخطب كل خطيب مِصْقَع. وكان كل شريف انما يحضر سوق بلده إلا سوق عكاظ فانهم كانوا يتواتَوْن بها من كل جهة ومن كان له أسِير سَعَى في فِدائه ومن كانت له حكومة ارتفع إلى الذي يقوم بأمر الحكومة وكانت تقوم هذه السوق من أول ذي القَعْدة إلى العشرين منه على المشهور واتُّخِذت عكاظ سُوقا بعد عَامِ الفيل بخمس عشرة سنة وتُركت بعد أن نهبها الخوارج سنة تسع وعشرين ومائة ولعكاظ فضل على اللغة العربية في العصر الجاهلي اذ لولاها لاصبحت لغة العرب لغات لايتفاهم أصحابها وانفصلت كل منها عن الاخرى وقتاما ذلك لأن لغات القبائل العربية كان بينهما تفاوت في اللهجة والاسلوب واللفظ وكان هذا التفاوت يقل ويكثر تبعا لضعف وقوة العلاقات التي ترتبط بها قبيلتان أو عدة قبائل وتبعا لاختلاف عوامل المكان والزمان والاجتماع التي يؤثر اختلافها أعظم تأثير في اللغة فلما عَظُم شأن عكاظ وأمّها الشعراء والخطباء من كل مكان كان معظم همهم انتقاء الالفاظ الفصيحة المشهورة عند أكثر القبائل لاسيما قريش طمعا في أن تنتشر أقوالهم بين العرب كافة قال قتادة كانت قُرَيش تَجْتَبي أي تختار أفضلَ لغات العرب حتى صار أفضل لغاتها لغتها فنزل القرآن الكريم بها ولو اتبع كل شاعر أو خطيب لهجة قومه ولغة قبيلة وحدها لم يجد من يستحسنها غيرهم ووقفت عن الشهرة ولم تروها القبائل الأخرى فيفوته الافتخار بها وبذلك كان الشعراء والخطباء يبثون وحدة اللغة في أشعارهم وخطبهم فيما بين القبائل المختلفة متبعين في ذلك لغة قريش غالبا. وانما اختاروا هذه اللغة

على غيرها لما كان لها من السيادة على لغات قبائل الحجاز ونجد ولما كان لقريش من رفيع القدر وعلو المنزلة بين جميع العرب.

تاريخ الكتابة والخط عند العرب

كان الغالب على العرب في بعض عصر الجاهلية الأمِّية والذين يعرفون الكتابة والقراءة منهم نفر قليل جدّا. والزمن الذي ابتدئ فيه باستعمال الخط العربي قديم غير معين. وأوّل من كتب بالعربية على أشهر الاقوال أهل اليمن قوم هود عليه السلام وكانوا يسمون خَطّهم بالمُسْنَد وهو الخَطّ الحمْيَري وكانوا يكتبونه حروفا منفصلة ويمنعون العامّة من تعلمه حتى تعلمه ثلاثة نفر من طيئ فتصرفوا فيه وسموه بخط الجزم لانه اقتطع من خط حمير ثم علّموه أهل الآنْبار ومن الانبار انتشرت الكتابة العربية فأخذها عنهم أهل الحِيرة وتداولوها ولما قدم الحيرة حَرْب بن أمَيَّة القُرَشِي جدّ معاوية بن أبي سفيان نقل هذه الكتابة من الحيرة إلى الحجاز بعد أن عاد إلى مكة والصحيح أن أهل الحجاز انما لُقِّنُوا الكتابة من الحيرة ولُقّنها أهل الحيرة من التباعية وحِمْيَر كما ذكره ابن خلدون قال وقد كان الخط العربي بالغا مَبَالغة من الاتقان والاحكام والجودة في دولة التبابعة لِماَ بلغت من الحضارة والتَرَف وانتقل منها إلى الحِيرة لِماَ كان بها من دولة آل المنذر نُسَبَاء التبابعة والمجدّدين لملك العرب بأرض العراق.

العرب غير البائدة يرجعون إلى أصلين وهما قحطان وعدنان. أما قحطان وهم عرب اليمن فقد كانوا على جانب عظيم من المدنية والحضارة والغالب منهم سكن البلاد المعمورة وبنوا القصور وشيدوا الحصون وكانت لهم مدن عظيمة قد شرح حالها أهل الخبار شرحا وافيا. وكان لهم ملوك وأقيال دوّخوا البلاد وأوغلوا في الارض واستولوا على كثير من أقطارها شرقا وغربا. كل ذلك يدل على وقوفهم على العلوم التي لابد منها في حفظ النظام وعليها مدار المعاش وسياسة المدن وتدبير المنازل والجيوش وتأسيس الامصار واجراء المياه مما لا يمكن وجوده مع الجهل وعدم المعرفة. وأما بنو عدنان ومن جاورهم من عرب اليمن بعد أن فرقتهم حادثة سيل العرم فقد كانوا على شريعة موروثة وعلم منزل وهو ما جاء به ابراهيم واسماعيل عليهما السلام إلى أن اختل أمرهم وتغير حالهم فاشتغلوا بما سمحت به قرائحهم من الشعر والخطب أو ما حفظوه من أنسابهم وأيامهم أو ما احتاجوا إليه في دنياهم من الأنْوَاء والنجوم أو من الحروب ونحو ذلك. وكان لهم حظ وافر من معرفة الطب المبني في غالب الامر عى التجربة وكذلك التاريخ فقد تضمن شعرهم شيئا كثيرا منه. غير أن تدوين شئ من ذلك في عصر الجاهلين لم يكن لغلبة الأمّية والاعتماد على الذاكرة وقد نقل ما نقل منه بالرواية والسماع. وكان يقال لهم الأمّة الامّية قال تعالى (هو الذي بعث في الأمّيين رسولا منهم

يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) اه بتصرف من كتاب بلوغ الأرب في أحوال العرب وقال ابن خلدون وياقوت ما كان في القديم لأحد من الأُمَم في الخلفية ما كان للعرب من المُلْك ودُوَل عادٍ وثمود والعَمَالِقة وحِمْيَر والتَّبَابعة شاهدة بذلك وقد ملكوا مصر والروم واستعملوا عليها أحد القياصرة وتوغلوا في الهند والصين وبلاد الفرس والترك والتُّبَّت وأخذوا الأَتَاوَى من القسطنطينية وذكروا ذلك في أشعارهم وغير ذلك مما لا نطيل به ثم دولة في الاسلام بني أمية وبني العباس.

جاء الاسلام ولغات العرب ولهجاتهم متشبعة غير أن لغتين منها كانت لهما السيادة على سائرها. الاولى لغة قريش وكانت في مكة وما جاورها. والثانية لغة حِمْيَر وكانت في بلاد اليمن. وقد تقدّم في الكلام على عكاظ أن الشعراء والخطباء كانوا يُؤْثِرون لغةَ قريش على سائر لغات العرب ويَبُثُّونها بين القبائل كافة في خطبهم وأشعارهم وكان ذلك قبل ابتداء نزول القرآن الكريم بنحو خمس وعشرين سنة. ولما كان القرآن الحكيم منزلا بلغة قريش أصبحت السيادة لها على لغة حمير وغلبت عليها وعلى جميع لغات العرب ودانَ لها الخطباء والشعراء وسائر المتكلمين بالعربية وصارت بعد ذلك هى اللغة المُتداولة في المكاتبات والمؤلفات في جميع العلوم إلى يومنا هذا والفضل في بقائها وحفظها انما يرجع إلى الكتاب المجيد وحده ولما فتح المسلمون بلاد الشام والعراق والفرس ومصر وافريقية والمغرب وغير ذلك من البلاد انتشرت اللغة العربية بانتشار العرب وتغلبت على لغاتها الاصلية ولكنها لم تَعُمّ جميعَ الناس دفعة واحدة شأن كل لغة جديدة في مبدأ انتشارها ولقد كان هذا الانتشار سببا لظهور اللحن على لسان من تكلم بالعربية من غير أهلها وكذا على لسان بعض أهلها من المخالطين لهؤلاء. وهذا أمر كان مُتَوَقَّع الحصول لأن اللغة مَلَكة صناعية تؤخذ مفرداتها وأساليبها بالتلقين. فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل

جيله وأساليبهم في مخاطبتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها فيُلَقّنها أولا ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ثم لا يزال سماعهم يتجدّد في كل لحظة ومن كل متكلم واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم. فلما خالط العرب غيرهم صار الناشئ منهم يسمع في العبارة عن المقاصد كيفيات أخرى غير الكيفيات التي كانت للعرب فيعبر بها عن مقصوده ويسمع كيفيات العرب أيضا فاختلط عليه الامر وأخذ من هذه وهذه. ولقد وفّى ابن خلدون في مقدّمته هذا المقام حقه من البيان. وانك لترى اليوم من المتكلمين بلغتنا من الافرنج ما يوضح لك ذلك من لهجتهم وأساليب عباراتهم التي هى في الحقيقة أساليب لغتهم الاصلية صبغوها صبغة عربية. ولقد ظهر شئ من اللحن في كلام الموالي والمتعرّبين من أوّل عهد الاسلام. من ذلك ما روى أن رجلا لحن بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فقال أرْشِدوا أخاكم فقد ضَلّ. وكتب كاتب لأبي موسى الاشعري إلى عمر رضى الله عنه فلحن فكتب عمر إلى أبي موسى أن اضرب كاتبك سوطا واحدا. غير أن اللغة في العصر الاوّل كانت ملكتها مستحكمة وما ظهر من اللحن كان يسيرا. وفي أوائل الدولة الأموية أخذ اللحن يفشو وينتشر وانتقل من الاعاجم إلى العرب أنفسهم من أبناء الخلفاء والامراء والخاصة والعامّة. ومن شواهد ذلك أن زِيَاد لما أوْفَد ابنَه عُبَيد الله إلى معاوية كتب إليه معاوية أن ابنك كما وَصَفْتَ ولكن قَوّمْ لِسانَه. وجاء رجل إلى زياد وهو أمير البصرة فقال أصلح الله الامير تُوُفِّى أبانا وترك بَنُونا فقال زياد متعجّبا مُنْكِرا توفى أبانا وترك بنونا. وقالت

ابنة أبي الاسود الدُّؤَلي له يوما ما أحسنُ السماءِ فقال نُجُومُها فقالت اني لم أرد هذا أو انما تعجبت من حسنها فقال لها اذاً فقولي ما أحسنَ السماءَ وافتحي فاك. وسمع ابو الاسود قارئا يقرأ قوله تعالى (ان الله بريء من المشركين ورسوله) بجرّ رسوله فأكبر ذلك وقال عز وجه الله أن يبرأ من رسوله. وكان هذا سببا في وضع علامات الاعراب للمصحف بأمر زياد. وقال الحجاج يوما للشَّعْبي كم عطاءَك فقال ألْفَين قال ويحك كم عطاؤك فقال ألفان قال كيف لحنت أوّلا قال لحن الامير فلحنت فلما أعرب أعربت. وقيل لعبد الملك بن مَرْوان لقد عجل إليك الشَّيْب يا أمير المؤمنين فقال شَيَّبَني ارتِقاء المَنَابر وتَوَقُّع اللَّحْن. وكان الوليد بن عبد الملك كثير اللحن وله في ذلك نوادر كثيرة.

الكتابة والخط

كان انتشار الكتابة قبل الاسلام قليلا بين العرب كما تقدّم ومنذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم انتشرت الكتابة للحاجة اليها في كتابة الوحي والرسائل التي كان ينفذها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والامراء وقد أمر بعد غزوة بدر من لم يكن له فداء من الأسْرَى أن يُعَلِّم عشرة من أطفال المسلمين الكتابة. ولما كثرت الفتوح في مدّة أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه وضَعَ دِيوانَ الخَرَاج وديوان الجيش لضبط الاعمال وكان ذلك في المحرم سنة عشرين. وقد كان ديوان الخراج

والجِبَايات في بلاد العراق والشام ومصر يُكتب فيه بغير العربية إلى زمن عبد الملك بن مروان وابنه الوليد حين ظهر في العرب ومواليهم مَهَرة في الكتابة والحساب فنقل ديوان العراق من الفارسية إلى العربية والذي نقله هو صالح بن عبد الرحمن كاتب الحجاج وكان يكتب بالعربية والفارسية. ونقل ديوان الشام من الرومية إلى العربية والذي نقله هو سليمان بن سعد وإلى الأُرْدُن وأكمله لسنة من ابتدائه ووقف عليه كاتب عبد الملك فقال لِكُتاب الرُّوم اطلبوا العيش من غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم. ونقل ديوان مصر من القبطية إلى العربية والذي نقله هو عبد الله بن عبد الملك ابن مروان في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة سبع وثمانين وأصبحت الدواوين الاسلامية بعد ذلك تكتب كلها بالعربية. وأوّل كتاب كتب باللغة العربية هو القرآن الكريم وقد كتبت المصاحف العثمانية بخط الجزم (وسمى بالخط الكوفي بعد انشاء الكوفة) واستعمل في عهد بني أمية مع ترقيه في درجات الحس تبعا لحضارة الأمّة. وقد كان المصحف خياليا من الشكل والنقط غير أنه لكثرة المسلمين بسرعة انتشار الدين وظهور اللحن والتحريف خُشىَ على القرآن الكريم من ذلك فقام أبو الاَسْوَد الدُّؤلي ووَضَع له علامات الاعراب في أواخر الكلمات بصِبْغ يُخالِف لَون المِداد الذي كُتب به المصحف. وجعل علامة الفتح نُقْطة فوق الحرف والضم نقطة إلى جانبه والكسر نقطة في أسفله والتنوين مع الحركة نقطتين وذلك في خلافة معاوية. ثم ان الحجاج في مدّة عبد الملك بن مروان أمر نصر بن عاصم أن يضع له النقط والشكل لأوائل الكلمات وأواسطها وخالف في ذلك طريقة أبي الاسود لئلا يلتبس النقط

بالشكل. وبعد ذلك جاء الخليل بن أحمد فتمم بقية علامات الاعجام (الشكل) كالشَّدّة والصِلَة والقطعة وهذب جميع العلامات فجعل الضمة واوا صغيرة فوق الحرف والكسرة ياء صغيرة تحته والفتحة ألفا مسطوحة فوقه والشدّة رأس سين والصلة رأس صاد وسمى كل هذه العلامات بالشكل أخْذًا مِن شِكَال الدابة الذي تقيّد به فكأن شكل الكلمة يقيدها عن الاختلاف فيها وكان المعروف من الخط في ذلك العصر نوعان. أحدهما يستعمل في كتابة المصاحف ونحوها والمسكوكات مما يُحْتاج فيه إلى التّأنّق والاجادة وحُسْن النَسَق. وثانيهما يستعمل في كتابة الرسائل ونحوها مما يُطلَب فيه الاسراع ولا يُحتاج فيه إلى التأنق وزيادة التحسين. والنوع الاوّل هو المعروف بالخط الكوفي وأما النوع الثاني فانه أصل خط النَسْخ ارتقى في الحُسْن والجَوْدة شيأ فشيأ حتى تحوّل إلى ما هو عليه اليوم. ثم ان الخط بنوعيه انتقل إلى الامصار التي انتشر فيها الاسلام وتنوّعت أشكاله ورسومه فانتقل في عصر الامويين إلى أفريقية وتولد منه الخط المغربي المستعمل الآن في المغرب الاقصى والجزائر وتونس وطَرَابُلُس.

على اللغة العربية في تهذيبها وترقيتها

قد أخذت اللغة العربية عند ظهور الاسلام وِجْهَةً دينِيّة من القيام بالدعوة إلى الدِّين والوعظ وتبيين العقائد الصحيحة وقواعد الاسلام وأصوله وأحكامه وحِكَمه وآدابه. وانك لترى في كلام الصدر الاول من أهل الاسلام الحَثّ على اتّباع الدين والتمسك به واعلاء كلمة الحق والعمل للآخرة والأخذ من الدنيا بنصيب والتحذير من الاسترسال مع الشهوات والأهواء والنظر إلى خيرات الأقاليم التي فتحها المسلمون والتطلع إليها خوف الوقوع في الزَّلَل. فترى رسائل هذا العصر المنير وخُطَبه تُرَدِّد صدى الكتاب العزيز حاثّة على الفضيلة مُنَفِّرة من الرزيلة. وكُلُّها جاء فيه اللفظ تابعا للمعنى لم يُتَعَمَّد فيه ضَرْب من ضروب الصنعة الكلامية صادرة عن شعورٍ حَيّ ووجْدان صادق ولذا نَفَذت إلى سُوَيداء القلوب وأصابت مواقع الوجدان. واذا كان الكلام خارجا من القلب فانه يقع في القلب واذا لم يكن صادرا الا عن اللسان فانه لا يتجاوز الآذان. وقد قضت هذه الحكم والمواعظ والخطب والنصائح على الرذائل والأوهام بالزوال وفَسّحت للفضائل والحقائق فرأت أهلا ومكانا سهلا فتحلّت بها النفوس والعقول وقويت العزائم وعَلتْ الهِمَم فساد المسلمون جميع الأمم. ويرى الناظر إلى حالة اللغة في عصر الدولة الاموية انها انتقلت إلى حالة أجمل مما كانت عليه لانتقال القوم من البداوة إلى الحضارة ومن سكنى الخِيام إلى سكنى القصور فاتسعت مداركهم وزادت تَجَارِبُهم

وقوِى فيه الخيال وكثرت التصورات وانتقلوا من حال إلى حال فأشعر ذلك نفوسّهم معانىَ جديدة ووِجدانا وعلما لم يكونا من قبل. فاحتاجوا إلى العبارة عن ذلك بما يلائمه من الالفاظ والتراكيب وساعدهم على صوغ العبارات في القالب اللائق بها قوة اللغة واتساعها وأخذهم بزمامها. وقد ظهر ذلك في خطبهم ورسائلهم ظهورا بَيِّنًا وكانت موضوعاتها في الغالب الوَعْظ والارشاد والذَّود عن الحقوق وايقاف الاطماع عند حَدّها وكَبْت الخارجين وتأليف الاحزاب وتوحيد الكلمة وكانت العبارات لا تزال آخذة اسلوبا حَيًّا مؤثِّرا مع إحكام صنعةٍ وحسن عبارة وجودة مقاطع.

الخَطَابة

كانت خُطَب الصدر الاول من الاسلام في اسمى طبقات الفصاحة والبلاغة كما ترى ذلك في خطب الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة والتابعين كمعاوية وزِياَد وعبد الملك والحجَّاج وقَطَرِىّ بن الفُجَاءة وأبي حمزة وواصل بن عطاء. والفضل في ارتقاء الخَطابة يرجع إلى الكتاب المبين من وجوه كما بَيّن ذلك صاحب كتاب أشهر مشاهير الاسلام قال في بيان هذه الوجوه

(1) ان القرآن الكريم وان نزل بلغة القوم التي بها يتخاطبون وبفصاحتها يتفاخرون إلا أن أساليبه العالية التي أعجزت خطباءهم

وفصحاءهم وأخذت بمجامع قلوبهم ألْبَسَتْهم مَلَكة من البلاغة في تَخَيُّرَ الاساليب غَيّرت مَلَكَتهم الاولى وأطْلَقَت ألسنَتَهم من الوحشية والتعمق الذي كان دَيْدَان كثير من خطبائهم حتى انهم كانوا يعيبون الخطيب المِصْقَع اذا لم يكن في كلامه شئ من آي القرآن. روى الجاحظ أن العرب كانوا يستحسنون أن يكون في الخطب يوم الحفل وفي الكلام يوم الجمع آي من القرآن فان ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار وحسن الموقع.

(2) ما جاء في القرآن من الترغيب والارهاب على الاسلوب البالغ حد الايجاز وما كان له من التأثير في الضمائر والاخذ بشكائم النفوس أعانهم على التفنن في أساليب الوعظ الخطابي عند حلول الازمات أو الحاجة إلى تأليف قلوب الجماعات حتى لقد كان الخطيب البليغ يدفع بالخطبة الواحدة من المُلِمّات ما لا يُدْفَع بالبيض المُرْهَفات ويملك من قلوب الرجال ما لا يُمْلك بالبِدَر والاموال.

(3) ان الاسلام بما هَذَّب مِن أخلاقهم وألَانَ من طباعهم وعَدّل من شِميهم أدخل من الرقة على عواطفهم ما رق به كلامهم وكَثُر للمعاني المؤثرة في النفوس اختيارهم في مخاطبتهم وخطبهم .

(4) ان الاسلام بما مهد لهم من سبيل الفتح ومخالطة الامم وبما منحهم من سعة السلطان والسيادة على الشعوب وفّرَ لهم الاسباب الداعية إلى التوسع في الخطابة بما تتطلبه حاجة التوسع من الملك وتقتضيه عادات

الأمم المحكومة وأخلاقها ا ه بتصرف يسير في العبارة وكان الخطباء في هذا العصر يمسكون بيدهم العصا أو المِخْصرة كما كان عليه خطباء الجاهلية قال عبد الملك بن مروان لو أَلْقَيْت الخَيْزُرانة من يدي لذَهَب شَطْر كلامي.

الرسائل

في صدر الاسلام كانوا يكتبون من فلان إلى فلان وجرى على ذلك الصحابة والتابعون حتى ولِّي الوَليد بن عبد الملكف فأمر أن لا يكاتِبه الناس بمثل ما يكاتِب بعضهم بعضا وبقى الحال كذلك الا ما كان من عمر بن عبد العزيز ويزيد بن الوليد حيث اتبعا السنة الاولى وبعد ذلك رجع الامر إلى ما كان عليه الوليد. وفي أواخر الدولة الأموية أخذت الرسائل أسلوبا غير الذي كانت عليه ودخلتها الصنعة والقصد إلى تنميق اللفظ وابتدأ ذلك الانقلاب بعبد الحميد بن يحيى الكاتب وهو أوّل الطبقة الثانية من الكتاب. وكانت الرسائل قبل عبد الحميد موجزة غالبا ثم طُوِّلت لاقتضاء المقام تطويلها.

النظم

قد انصرف العرب عن الشعر والمنافسة فيه في أوّل عصر الاسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوّة والوحي وما أدهشتهم من أسلوب القرآن ونظمه فَأُخْرِسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زمانا ثم استقر ذلك وأُونسَ الرُشْد من المِلّة ولم ينزل الوَحْي في نحريم الشعر

وحَظْره وسمعه النبي صلى الـلـه عليه وسلم وأثاب عليـه فرجعـوا حينئـذ إلى دَيْدَنهم منه. وكان لعُمَر بن أبي ربيعة كبير قريش لـذلك العهـد مقامـات فيـه عالية وطبقة مرتفعـة وكـان كثـيرا مـا يَعْـرِض شِـعْره عـلى ابـن عبـاس فيقـف لاستماعه مُعْجَبا به ثم جاء من بعد ذلك المُلْك والدولة العزيزة وتَقَرَّب الـيهم العرب بأشعارهم يمتدحونهم بها ويجيزهم الخلفاء بأعظم الجوائز على نـسبة الجودة في أشعارهم ومكانهم من قومهم ويَحْرِصون عـلى اسـتهداء أشـعارهم يَطَّلِعون منها عـلى الآثـار والاخبـار واللغـة وشرف اللـسان. والعـرب يطـالبون وليدهم بحفظها ولم يزل هذَا الشأن أيام بني أمية وصدرا من بني العباس ا ه من المقدّمة لابن خلدون من الفصل الخمسين من الكلام عـلى العمـوم. وقـال حَمّاد الراوية أَمَرَ النُعمانُ فنُسِخت له أشعار العرب في الطُنُـوج أي الكـراريس فكُتِبت له ثم دَفَنها في قَصْره الاَبْيض فلمّا كان كان المختـار بـن عُبَيـد قيـل ان تحت القصر كنْزا فاحتَفَره فأخرج تلك الاشعار فِمن ثَمّ كان أهل الكُوفة أعلـم بالاشعار من أهل البَـصْرة. وقـال ابـن خلـدون أيـضا ان كـلام الاسـلاميين مـن العرب أعلى طبقة في البلاغة من كلام الجاهلية في منثـورهم ومنظـومهم فانّـا نجد شعْر حَسّان بـن ثابـت وعمـر بـن أبي ربيعـة والحُطَيْـة وجَريـر والفَـرَزْدق ونُصَيْب وغَيْلان ذي الرُّمّـة والأحْـوص وبَـشَّار ثـم كـلام الـسَّلَف مـن العـرب في الدولة الأموية وصدر الدولة العباسية في تَرَسُّلهم وخُطَبهم ومُحَـاوَرتهم للُملُـوك أرفع طبقة في البلاغة من شعر النابِغة وعنترة وابـن كُلْثـوم وزُهَـير وعَلْقمـة بـن عَبَدَة وطَرَفة بن العَبْـد ومـن كـلام الجاهليـة في منثـورهم ومحـاورتهم والطبـع اسـليم والـذوق الـصحيح شـاهدان بـذلك للناقـد البـصير بالبلاغـة. والـسبب

في ذلك أن هؤلاء الذين أدركوا الاسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن الكريم والحديث الشريف اللذين عجز البشر عن الاتيان بمثلهما لكونها وَلَجَت في قلوبهم ونشأت على أساليبها نفوسهم فنهضت طِبَاعهم وارتقَت مَلَكاتهم في البلاغة على مَلَكات مَن قَبْلَهم من أهل الجاهلية مِمّن لم يَسْمَع هذه الطَبَقة ولا نشأ عليها فكان كلامُهم في نَظْمهم ونَثْرهم أحسنَ دِيباجةً وأصفى رَوْنقاً مِن أولئك وأرْصَفَ مَبْنىً وأعْدَل تثقِيفا بما استفادوه من الكلام العالي الطبقة ا ه. والشعراء الذين أدركوا الجاهلية والاسلام يُسَمَّون المُخَضْرَمين (من الخَضْرمة وهى الخَلْط لانهم جَمَعوا بين العَصْرَين الجاهلي والاسلامي) ومِن أشهرهم حسّان بن ثابت والنابغة الجَعْدِي وكَعْب بن زُهَير والعَبّاس بن مِرْداس والحُطَيْئَة. وأما الذين لم يُدْرِكوا عصر الجاهلية بل نَشَؤا في الاسلام بعد هؤلاء المخضرمين فانهم يسمون بالاسلاميين ومِن أشهرهم جَرِير والفَرَزْدق والأخطل وذو الرُّمّة والكُمَيت وبَشَار ابن بُرْد آخرهم وهو ممن أدرك العصرين الآموي والعباسي. وكلا الفريقين يُسْتَشْهد بكلامه في اللغة ويُحْتَجّ به. وقد امتاز الشعر في هذا العصر ببلاغة في المعنى ومتانة في التعبير وإحكام في التركيب مع رقّة وحُسْن تصرف في القول وسَعة في التصوّر فاق في كل منها الشعر الجاهلي. ولم يزل للشعر من المكانة في النفوس في العصر الأموي وصدر من العصر العباسي مثل ما كان له في العصر الجاهلي وان كان بعض المخضرمين كالحطيئة والاسلاميين كالأخطل وجرير اتّخذوه صناعة للتكسب وطَلَب الرِّزْق من السادات والامراء والخلفاء فان ذلك لم يَحُطّ مِن قَدْره ولم يَخْضِد من شوكته ومن

شواهد ذلك ما رواه الجاحظ في البيان عن أبي عبيدة قال كان الرجل من بني نُمَير اذا قيل له ممن الرجل يقول نُمَيري كما ترى فما هو إلاّ أنْ قال جرير :

فَغُضّ الطَرْف إنّك من نمير فلا كعبا بَلَغْتَ ولا كلابا

حتى صار الرجل من بني نمير اذا قيل له ممن الرجل قال من بني عامر. وروى الجاحظ أيضا عن أبي عبيدة قال كان الرجل من بني أنفْ الناقة اذا قيل له ممن الرجل قال من بني قُرَيْع فما هو الا أن قال الحطيئة قَوْمٌ هُمُ الانْفُ والاذْنَاب غَيْرُهُمُ ومَن يُسَوّي بأنف الناقة الذَنَبا حتى صار الرجل منهم اذا قيل له ممن الرجل قال من بني أنف الناقة.

العلوم والمعارف

جاء القرآن المجيد بحكمه السامية وأحكامه العادلة كافلا لمن عمِل به سعادة الدنيا والآخرة فوجد فيه المسلمون غُنْيَتَهم وجَعَلوه هو والسُّنّة النَبَوية عُمْدَتَهم ومَرْجعَهم مدّة الخُلَفاء الراشدين والدولة الأموية. وكان الصحابة رضوان الله عليهم يفهمون دقائق الكتاب ويدركون حِكمَه وأسراره ويعرفون أحكامه من غير احتياج إلى تعلم العلوم اللسانية كالنحو والصرف وعلوم البلاغة ومَتْن اللغة لانّ الكتاب كان مُتَنَزّلا بلُغَتهم التي هم بها يتخاطبون وكانوا على علم تام بالحوادث التي نزل

فيها القرآن وبأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وأنواع النَسْخ والمحكم والمتشابه والمجمل والمفصل إلى آخر علومه التي أفردها الأئمة بالتأليف وغاية الاشتغال بهذه العلوم اللسانية انما هو الوصول إلى معرفة اللغة كما كانت تعرفها العرب. ولم يكن لديهم من بقايا قدمائهم في العلوم الدنيوية الا البعض كالطّبّ الذي ورثوه عن أسلافهم. ولا يذهبن بك الوهم إلى أن الدين الاسلامي يصدّ عن الاشتغال بالعلوم والفنون الدنيوية اذ الكتاب العزيز جاء حاثا على النظر في ملكوت السموات والارض منبها إلى الانتفاع بكل ما يمكن الانتفاع به من هذه الخليقة بصريح العبارة في الآيات العديدة غير أن المسلمين في أوّل ظهور الاسلام كان يمنعهم عن الاشتغال بهذه العلوم انصرافهم إلى القيام بدعوته وتَصَدِّيهم لتهذيب جميع العالم وترقيته وتخليص من حَوْلَهم منَ الامَم مِن شوائب الأوهام والرذائل. فكانوا خُصَمَاء للعالم كله. فلما تضمّخ الخافِقانِ بطيب عبيره وارْتَوى الافُقانِ من عُذَيب نَميره واستقرّت من الدين دعوته وعلت كَلِمته ونَفَذَت شَوْكته وُجّهَت العناية إلى تلك العلوم الدّنيوية في أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية. وقد ظهرت آثار العلوم العقلية في أوائل القرن الثاني وترجمت جملة من الكتب العلمية والصناعية. وكان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين يسنظهرون الاحاديث النبوية ولا يكتبونها وجرى التابعون على سنتهم حتى كانت خلافة عمر ابن عبد العزيز رضى الله عنه فكتب إلى الافاق (أنظروا حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم واجمعوه) ودوّنه بأمره محمد بن شهاب الزُهْري المتوفَى سنة 125 وكان ابتداء تدوين الحديث على رأس المائة. وبعد ذلك دُوّنت كُتُب الحديث

تِباعا في عصر العباسيين ووجهت إليها العناية حتى ضبطت ضبطا محكما. وأما البراعة في الآداب من العلم بوقائع العرب وتاريخهم وقول الشعر وانشاء البليغ من النثر فانها قد بلغت في خلافة بني أمية مبلغا لم تبلغه أمة قط في مثل مدّتها. وقد كان الخلفاء من بني أمية يُعْلُون مَنْزِلتها ويرفعون مكانات الشعراء والخطباء والعلماء وكذا الدولة العباسية وأخبار المهدي مع المفضَّل وحَمّاد وحديث الرشيد مع الاصمعيّ حلية تلك القلادة وقال الامام أبو الحسن بن سعيد العسكري بلغ من عناية بني أمية وشغفهم بالعلم انهم ربما اختلفوا وهم بالشام في بيتٍ من الشِعر أو خَبَرٍ أو يوم من أيام العرب فيُبرِدون فيه البَرِيد إلى العِراق حتى قال أبو عبيدة ما كنا نفقِد في كل يوم راكبا من ناحية بني أميّة ينيخ على باب قَتَادة يسأله عن خَبَرٍ أو نَسَب أو شِعر فقدِم عليه رجل من عند أبناء الخلفاء من بني مروان فقال له مَن قَتَل عامرا وعمرا التغِلبيّين يومَ قِضَّة فقال أجَلْ قَتَلهما جحدر بن ضُبَيْعَةَ بن قَيس بن ثَعْلَبة فشخَصَ بها ثم عاد إليه فقال قتلهما جَحْدَر ولكن كيف قتلهما جميعا فقال اعْتَوَرَاهُ فطعَن هذا بالسّنَان وهذا بالزُّجُ فَعَادَى بينهما بينهما ثم قال ولم يزل المأمون حين دخل العراق يراسل الاصَمعيّ في أن يجيئه ويحرص على ذلك والشيخ يعتذر بضعفٍ وكِبَرٍ ولم يُجِب فكان الخلفية يجمع المسائلَ ويُنْفِذها اليه إلى البصرة ا ه باختصار. وقد كتب شئ من التاريخ في زمن معاوية رضى اللـه عنه وقال ابن خلكان أنه رأى تأليفا لوهب بن منبه المتوفي سنة 116 في أخبار ملوك حمير وَأشعارهم وكان وضع علم العربية في آخر عهد الخلفاء الراشدين بسبب انتشار اللحن وأول من وضعه وأسس قواعده أمير

المؤمنين عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه وأخَذه عنه أبو الاسْوَد الدُؤَلي وأتمّه.

قال أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الانباري في كتابه تاريخ الادباء بعد كلام مانصه وسبب وضع علي كرم الله وجهه لهذا العلم ما روى أبو الاسود قال دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فوجدت في يده رُقْعة فقلت ما هذه يا أمير المؤمنين فقال اني تأملت كلام العرب فوجدته قد فسَد بمخالطة هذه الحَمْراء (يعني الاعاجم) فأردت أن أضع شيئا يرجعون إليه ويعتمدون عليه. ثم ألقى إليّ الرقعة وفيها مكتوب (الكلام كله اسم وفعل وحرف فالاسم ما أنبأ عن المسمى والفعل ما أنبئ به والحرف ما أفاد معنى) وقال لي انْحُ هذا النَحْو وأضِفْ إليه ما وقع إليك واعلم يا أبا الاسود أن الاسماء ثلاثة ظاهر ومضمر واسم لاظاهر ولا مضمر (وأراد بذلك الاسم المبهم). قال ثم وضعت بابي العطف والنعت ثم بابي التعجب والاستفهام إلى أن وصلت إلى باب ان واخواتها فكتبتها ما خلا "لكنّ" فلما عرضتها على أمير المؤمنين عليه السلام أمرني بضم "لكنّ" إليها. وكنت كلما وضعت بابا من أبواب النحو وعرضته عليه إلى أن حصلت ما فيه الكفاية فقال ما أحسن هذا النحو الذي نحوتَ فلذا سُمِّى "النحو" ا ه.

وأخذ عن أبي الاسود جمع من الطُّلّاب من أشهرهم نصر بن عاصم المتوفي سنة 89 بالبصرة وهو واضع النقط والشكل للمصحف كما

تقدم. وجاء بعده جمع من آئمة العربية أحكموا ترتيب القواعد وأكثروا من الادلة والشواهد وسيرد عليك ترجمة بعضهم في هذا الكتاب.

حالة اللغة العربية وآدابها

في عصر الدولة العباسية وما بعدها

جاءت الدولة العباسية وقد انتشرت العرب في أنحاء المعمورة وامتدّ ملكهم شرقا وغربا من الهند إلى الاندلس ودانت لهم أمم كثيرة مختلفة اللغات واللهجات دخل أكثرهم في الاسلام واختلطو بالعرب وتكلموا بلغتهم فكثر المتكلمون بالعربية من غير العرب وهم كما تعلم من الاعاجم الذين لم تكن العربية ملكة فيهم كالعرب فسرى الفساد إلى اللغة وفشا الّلْحن والتحريف. وكان أوّل ما ظهر ذلك في المُدن والامصار ثم دبّ إلى البَدْو بعد زمن طويل لقلة اختلاطهم بالاعاجم. ومن لم يختلط منهم لم تفسد لغته. وكانت سرعة الفساد وبطؤه تابعين لكثرة المخالطة وقلتها ولما تغلب العجم من الديلم والسلجوقيه على الممالك الاسلامية في بلاد فارس والعراق والشام زاد فساد اللغة وكاد اللسان العربي يذهب لولا الكتاب المجيد. وبعد أن سقطت الدولة العباسية وتغلب التَّتر والمُغُول بالمشرق (ولم يكونوا وقت تغلبهم مسلمين ثم دخلوا في الاسلام بعد ذلك) أخذت اللغة العربية في البلاد الفارسية وما جاورها في الاضمحلال حتى لم يبق لها رسم في الممالك الاسلامية

بالعراق العجمي وخراسان وبلاد فارس وأرض الهند وبلاد الروم الاّ في كُتُب الحديث والدِّين وبعض كتب العلم حتى ان كثيرا من مؤلفاتها كتب بغير اللغة العربية كالتركية والفارسية والهندية وذهبت أساليب اللغة من النثر والنظم الا قليلا وبقيت العربية ببلاد العرب والعراق العربي والشام ومصر وبلاد المغرب ثم تشرّف بالاسلام أولئك المتغلِّبون فعاد في بلادهم إلى العربية بعض رُوَائِها وفاضَ بعد أنْ غاض مَعِينُ رَوَائِها غير أن لغة الكلام أصبحت بعيدة عن لغة الكتابة لكثرة ما دخلها من التغيير والتبديل واتسعت مسافة الخلف بينهما. فالكتابة لا تزال باللغة العربية الصحيحة في الكتب المعتبرة وأما الكلام فقد تغلبت عليه اللغة العامية وهى خليط من اللغة العربية بعد تحريف كلماتها وتغيير أساليبها ولهجتها مع بعض كلمات وأساليب من لغات أخرى امتزجت بها. وهذه اللغة العامية كل يوم في تقلب وتغير لاختلاف المخالطين لأهلها من الاعاجم وتفاوت سلطتهم قوة وضعفا. ولذا تجد اللغات العامّية تختلف في لهجتها وبعض كلماتها باختلاف البلاد والعصور كما ترى ذلك في لغة أهل مصر والشام وبلاد المغرب اذا قارنتها بعضا ببعض وفي لغة أهل الجزائر اليوم ولغتهم قبل ذلك بخمسين سنة. ولقد أتى في مصر والشام زمن طويل على اللغة العامّية زاحمت فيه اللغة العربية الصحيحة في الكتابة وفي بعض المؤلفات كما ترى شيأ من ذلك في تواريخ ابن اياس والجبرتي والانس الجليل وربما تعمَّد مؤلفوها ذلك لاِفهام العامّة وتراه أيضا في كتابة الدواوين بمصر في القرن الماضي ولا تزال آثارها ظاهرة إلى اليوم ظهورا بينا في بعضها وقليلة أو نادرة في بعضها الآخر.

بل كانت لغة الدواوين في مصر بعضها لا يفهم لبعده عن كل من اللغة العامّية واللغة الصحيحة ولكن عناية الله تعالى تداركت هذه اللغة الشريفة وهى على آخر رمق من حياتها بعلماء أفاضل أخذوا بناصرها من زمن غير بعيد ونهضوا بها نهضة لم تكن في الحسبان حتى أرجعوا إليها بعض ما فقدته من قوّتها.

النثر والنظم

اتسع نطاق النثر في العصر العباسي اتساعا عظيما ودوّنت به جميع العلوم من دينية وأدبية ورياضية وطبية وفلسفية وغير ذلك مما وضعه المسلمون أو ترجموه من اللغات الاجنبية إلى اللغة العربية وقد استدعى هذا استعمالَ هذا كثير من الالفاظ بحسب اصطلاحات العلوم والفنون كما ترى ذلك في اصطلاحات علوم الدين والأدب والرياضة والطب والفلسفة من الألفاظ العرفية المستحدثة وكانت عبارة التأليف من ابتداء تدوين العلوم إلى حوالي القرن الرابع خالية من التعقيد حسنة الأسلوب متينة التركيب قريبة المأخذ لاسيما علوم الأدب والشريعة أصولا وفروعا حتى كتب القواعد النحوية من اللغة. وكذا كان شأن الرسائل والتحرير في أي غرض كان في ذلك العصر الذي زهت فيه العلوم وحَيِيَت الآداب وعَمّت الحضارة والمَدَنية وبلغ كل ذلك غايته من الارتقاء بين الأمّة الاسلامية. غير أنه دخل شئ من التكلف في النثر والنظم ولكنه كان

مستترا بحسن السبك وإحكام الصنعة في الغالب ولم يكن ليؤثر في جملة المنظوم والمنثور تأثيرا كبيرا لقلته ولحسن التصرف فيه وبعد ذلك أخذت هذه الحياة الادبية في الضعف تبعا لضعف الخلافة العباسية العربية وكثر التكلف في الكتابة والنظم ومال كثير من الكتاب إلى السجع وكاد بعضهم يهمل جانب المعنى لاهياً عنه بالالفاظ وتنميقها والجناس ونحوه من المحسّنات اللفظية حتى صنفت كتب بالكلام المسجوع كتاريخ العتبي والفتح القدسي لكنّ عبارة التأليف فيهما وفي كثير من الكتب لا تزال راقية عالية الأسلوب وكذا بعض الرسائل والمحررات حتى دخلت اللغة في دور الانحطاط بسقوط الدولة العباسية شيأ فشيأ إلى عصرنا هذا حيث أخذت تستعيد بقدر الامكان ما كان لها من حسن الأسلوب ومتانة التركيب مع البعد عن تكلف السجع والجناس والقصد إلى المعنى. والفضل في ذلك يرجع للنهضة العامّة في مصر والشام كما تقدّمت الاشارة إلى ذلك في الفصل السابق.

النظم

قد فَسَحَت الحَضارة وسعة العمران لشعراء الدولة العباسية مجالا لم يَنْفَسِح للشعراء قبلهم فذهبوا فيه المذاهب وتفننوا وأبْدَعوا وتصرّفوا في المعاني وأجادوا السَّبْك وأحكموا الصنعة وفاقوا في الرِّقة والسهولة والتفنّن في القول مَن تَقَدَّمهم من شعراء الدولة الأموية. ولا عجب في

ذلك فقد وصفوا ما شاهدوه مما امتلأت به أيدي الفاتحين من خيرات الاقاليم وما وقع تحت حسهم من آثار الامم التي تغلبوا عليها واللغة في عنفوان شبابها والخلفاء من أكبر أنصارها (والناس على دين ملوكهم) وانك لترى العجب في كلام شعراء العباسيين إلى نهاية القرن الثالث فقد بلغوا الغاية في كل ماتكلموا فيه واستمر الشعر في قوّته بعد القرن الثالث غير أن الشعراء المجيدين أَخَذَ عَدَدهم يقلّ شيأ فشيأ حتى انتهوا بالطُّغْرَائِي المتوفى سنة 513 وجاء بعد هؤلاء قوم اشتهروا ولكنهم لم يبلغوا شأو من تقدّمهم وكان آخرهم صَفيّ الدِين الحِلّى المتوفى سنة 740 وبعد ذلك أصبح النظم كالنثر في حكمه ضعفا وقوة حتى عصرنا هذا وشعراء الدولة العباسية يسمون بالمولدين وقد امتاز شعرهم بالرقة والسهولة وعذوبة اللفظ والتوسع في التشبيه والمجاز والكناية والتوغل في الخيال مع القرب من الحقيقة أحيانا وقد أكثر المتأخرون منهم من المحسنات البديعة حتى صار لكلامهم مَسْحَة ظاهرة من الحُسن من دونها معنىً تافه أو غلوّ غير مقبول.

وقد كان لكل شاعر طريقة امتاز بها في شعره وقد جمع بعضهم بين النثر والنظم واتفق له في كل منهما كلام جيد كالبديع والخوارزمي والميكالي والشريف الرضى. ولقد كان للشعر مكانة في النفوس وسلطان عليها إلى صدر الدولة العباسية ثم فقد تأثيره بعد ذلك لكثرة المتبذلين من الشعراء في المدح والهجو ولغُلُوّهم في ذلك وكذبهم ولانحطاطهم من أعين العظماء خصوصا غير العرب الذين لا يقع من نفوسهم الشعر الجيد موقعه من نفس العربي. وقد زاد المولدون أوزانا للنظم كالموشح والسلسلة والدو

بيت وتفننوا في النظم فخمّسوا وشطّروا وتصرفوا فيه تصرفا كثيرا. وفحول شعراء المولدين والمجيدين من كتابهم كثيرون فمن الفريق الاول بعد بشار بن برد مسلم بن الوليد وأبو نُوَاس وأبو العَتَاهِية وأبو تمام والبُحْتُرِي وابن المُعْتَزّ وابن الرُّميّ والمُتُنَبِيّ والشريف الرَّضِي وأبو العلاء المعَرِّي وأبو فراس والحَسَن بن هانئ الاندلسي وابن خَفَاجة والطُّغْرائي ومن الفريق الثاني بعد الحميد بن يحيى ابراهيم الصُّولي والحسن ابن وهب والجاحظ وابن العَمِيد والصابئ وابن عَبّاد والخوارزمي والبديع والحريري والقاضي الفاضل وعبد اللطيف البغدادي.

الخط العربي

في عصر العباسيين توجهت العناية إلى تجويد الخط وتحسينه وخالفت أوضاعه في بغداد أوضاعه في الكوفة في الميل إلى اجادة الرسوم وجمال الشكل. واخترعت الأقلام المختلفة فظهر قلم الثلث والثلثين والنصف نظرا لاستقامة ثلث الحروف أو ثلثها أو نصفها وغير ذلك من الاقلام الأخرى. واستمر الخط آخذا في الارتقاء والجودة حتى ظهر ببغداد الوزير الكاتب أبو علي محمد بن علي بن مقلة المتوفى سنة 328 واخترع نوعا من الخط سمى بالخط البديع. وقد اشتهر بين الكتاب أن هذا الخط البديع هو خط النسخ الشائع اليوم نقله ابن مقلة عن الخط الكوفي. ونفى ذلك بعض الباحثين مستدلين بوجود خط النسخ قبل زمن ابن

مقلة. والظاهر أن ابن مقلة لم يخترع خط النسخ اختراعا ولكنه تصرف فيه تصرفا بديعا ونقله إلى صورة امتاز بها عن أصله في الجودة والحسن. وهذا مقام لا يزال محتاجا إلى البحث والتحقيق. وكان ابن مقلة يضرب به المثل في حسن الخط. وتلاه في ذلك أبو الحسن على بن هلال الكاتب الشهير المتوفى سنة 423 وقد أقرّ له أهل زمنه بالسابقة وعدم المشاركة في حسن الخط وهو الذي هذّب الخط العربي ونقّحه بعد ابن مقلة.

ثم ان الخط الكوفي أهمل بتوالي الايام وحل محلّه خط النسخ. وقد تفنن التُّرك في تحسين الخط وتنويعه فاخترعوا خط التعليق والرقعة وأوصلوا النسخ والثلث إلى أقصى درجات الحسن والاتقان كما هو مشاهد الآن. والخط العربي منتشر في البلاد الاسلامية كلها تكتب به العربية والتركية والفارسية والافغانية ولسان أردو بالهند ولسان الملايو بجزيرة جاوة وما حولها.

العلوم والمعارف

قد اعتنى الخلفاء والعلماء في عصر الدولة العباسية بتدوين العلوم الاسلامية فوضعوا أصول الفقه وصنفوا في فروعه واستنبطوا أحكامه ودوّنوا الحاديث النبوية وتفسير القرآن الكريم وعلوم العربية واستخرجت علوم البلاغة ووضعت لها القوانين والشواهد ووُضع العَروض وحصرت أوزان الشعر العربية في دوائرها الخمس. وألفَّوا

وترجموا كتبا في الطب والهيئة والهندسة وسائر العلـوم الرياضـية والطبيعيـة والفلسفية وتقويم البلدان والتاريخ العام وتـاريخ الاشـخاص. واعتنـوا باللغـة وضبطها وتصرفوا فـيما ترجمـوه فنقحـوا وهـذبوا وزادوا واسـتنبطوا وأصـلحوا كثيرا من أغلاطه. وقد وسعت اللغـة العربيـة كـل العلـوم التـي ألفـت بهـا أو نقلت إليها ولم يدخل من الالفاظ الاعجمية الا شئ يسير وأكثر مـا وقـع ذلـك في الكتب التي عرّ بها بعض مـن لا يحـسنون العربيـة. وتفـصيل الكـلام عـلى هـذه العلوم واشتغال المسلمين بها وعنايتهم بتهذيب مـا ترجمـوه وجعلـه صـالحا لان ينتفع به كـل ذلـك يحتـاج إلى تـأليف الاسـفار الكبـار ليـوفي حقـه مـن البحـث والشرح. غير أنا ذا كرون مختصرا وجيزا مناسبا للمقـام مقتطفـا مـما كتبـه كبـار مـؤرخي المـسلمين ومحققـو المـؤرخين مـن الافـرنج المنـصفين وأفاضـل الكتـاب المعاصرين في مآثر العرب وعلومهم ومعارفهم وما لهم من الفضل على العالم كله في ذلك كله مازجين أحيانا كلامهـم بعـضه بـبعض أو مـصرّحين بنـسبة القـول إلى قائله حسب اقتضاء المقام ذلك فنقول : أوّل مـن اعتنـى بـالعلوم وتـدوينها مـن الخلفاء العباسيين أبو جعفر المنصور وقد أخذ في انشاء المدارس للطب وللشريعة وكان براعته في الفقه وفرط شغفه به قد جعل جزأ من زمنه خالصا بتعلم العلوم الفلكية وترجم في زمنه كتاب أوقْلِيدس في الهندسة والهيئة والحساب.

وأكمل حفيده الرشيد ما شرع فيه وأمر بـأن يلحـق بكـل مـسجد مدرسـة لتعليم العلوم وأنواعها. وكان باذلا جهده في احياء العلوم والآداب ونشرها وكتب في أيامـه مـصنفات كثـيرة في العلـوم الاسـلامية وغيرهـا مـما تـرجم عـن اليونانيـة ومـن ذلـك كتـاب المَجَـسْطِي الـذي ألفـه بَطْلِيمـوس في

الرياضة السماوية وقيل ان هذا الكتاب تُرجْم في زمن المأمون بأمره. وكان المترجمون قوما من السريان غير مسلمين وقد أحسن الخلفاء صِلَتهم وأفاضوا عليهم النِعَم وكان أكثرهم غير متمكن من العلوم التي نقلوها إلى العربية فوقع فيها الغلط الكثير فصححه بعد ذلك الراسخون في العلم من العرب في عصر المأمون وما بعده كما صححوا كثيرا من غلط اليونانيين أنفسهم. وكان اشتغال العرب بالعلم للعمل به فتناولوا الكتب التي ترجموها من قومٍ كان حظهم منها حفظها على انها من نفائس الذخائر ومآثر الجيل الغابر وقد ظهر أثرُ العمل في عصر الرشيد ومن ذلك الساعة الدقاقة المتحركة بالماء التي أرسلها إلى شرلمان ملك فرنسا وعظيم أوربا لعهده ففزع الاوربيون منها لذلك العهد وتوهموا انها آلة سحرية قد كنت فيها الشياطين وان ملك العرب ما أرسلها إليهم الا لتغتالهم وتوقع بهم شر ايقاع. وقد اجتمع في حضرة الرشيد كثير من أكابر العلماء وكان يأتي بهم ويرفع منزلتهم وكلما سافر لحج بيت الله الحرام استصحب معه مائة من العلماء. ولما أفضت الخلافة إلى المأمون وجه عنايته إلى العلوم والآداب وشُغِف بالعلم كل حياته ولم يكن يجالس الا العلماء وقد جمع وترجم كثيرا من كتب الفرس واليونان في الهيئة والطبيعيات وتخطيط الاراضي والموسيقى. وغرس للعلم والادب جِنانا ناضرة فزكا نَبتْها وتفتّح نَوْرُها وطاب ثمرها ووصلت به دولة العلم إلى أوْج قوّتها ونالت به أكبر ثروتها. وكانت بغداد في عهده مدرسة علمية كما كانت دار خلافة. وكان من شروط صلحه مع ميشل الثالث أن يعطيه مكتبة من مكاتب الآستانة وقد فعل. وقد ألف علماء العرب في

زمنه أرصادا وأزياجا فلكية وحسبوا الكسوف والخسوف وذوات الأذناب وغيرها ورصدوا الاعتدال الربيعي والخريفي وقدّروا ميل منطقة فلك البروج وقاسوا الدرجة الأرضية وأصلحوا بأمره غلط بعض الكتب التي ترجمت قبل زمنه وجاء الواثق بعد المأمون وحذا حذوه في الاشتغال بالعلوم واقتدى بالخلفاء الوزراءُ والأمراء في زمنهم وبعده وأخذوا جميعا بناصر العلماء وشدّوا أزرهم ورفعوا منزلتهم فأخذ العلماء في الاشتغال بكل علم وكل فنّ أمكن الاشتغال به في ذلك العصر وبنوا علومهم على التجربة والمشاهدة. قال أحد فلاسفة الاوربيين ان القاعدة عند العرب هى " جرّب وشاهد ولاحظ تكن عارفا " وعند الاوربي إلى ما بعد القرن العاشر من التاريخ المسيحي " اقرأ في الكتب وكرر ما يقول الاساتذة تكن عالما " ا ه فانظر الفرق وقارنه بما تجده الآن من فرط عنايتهم بالبحث وما ينجم عنه من اصلاحهم الخطأ فيما لا يحصى مما كانوا أثبتوه حتى انّ فطاحل منصفيهم لم يجدوا بدّا من الاعتراف بامكان أن يثبت لهم غدا ضد ما أثبتوه اليوم كما ثبت لهم اليوم ضد ما أثبتوه أمس ولا من الاقرار بعدم الوقوف على كنه الكثير من ظواهر الكون التي ينتفعون بخواصها. ومن العلوم التي كان للعرب فيها اليد البيضاء علم الهيئة والهندسة وسائر العلوم الرياضية فان ما زادوه عليها من مخترعاتهم وما أصلحوه من أغلاط اليونانيين قبلهم جعل لهم الحظ الاوفر في هذه العلوم. قال دِيلَامْبِرْ في تاريخ علم الهيئة اذا عددت في اليونانيين اثنين أو ثلاثة من الراصدين أمكنك أن تعدّ من العرب عددا كبيرا غير محصور. وعن العرب أخذ الافرنج الارقام الحسابية وعلم الجبر والمقابلة الذي هو

من العرب أخذوه باسمه ومسماه. وقال بعض المؤرخين انّ ديوفنتوس الاسكندري من أهل القرن الرابع للميلاد هو أول من ألف في الجبر وكتبه لا تزال موجودة إلى الآن. والحق ان هذه الكتب ليس فيها الا قواعد استخراج القوي وحل بعض المسائل وليس فيها أصول الفنّ وقواعده الاساسية التي امتاز بها وصار فنا مستقلا. ونظير ذلك علوم البلاغة قالوا ان مؤسسها وواضعها هو الامام عبد القاهر الجرجاني مع أن العلماء قد سبقوه إلى الكلام في بعض مسائلها ولكنهم لم يبلغوا بذلك أن جعلوها علما ذا أصول وقواعد كما جعلها.

وقد اكتشف العرب قوانين لثقل الاجسام مائعها وجامدها ووضعوا لها جداول في غاية الدقة والصحة. واخترعوا البندول للساعة اخترعه ابن يونس المصري. والبوصلة البحرية واخترعوا بيت الابرة أيضا. وهم أوّل من استعمل الساعات الدقاقة للدلالة على أقسام الزمن وأوّل من أتقن استعمال الساعات الزوالية لهذا الغرض.

ومن علومهم التي وضعوها ولم يُسْبَقوا إليها علم الكيميا الحقيقية فهي من اكتشاف العرب دون سواهم وعنهم أخذها الاوربيون وانك لا تستطيع أن تعدّ مجرّبا واحدا عند اليونانيين ولكنك تعدّ من المجرّبين مئين عند العرب. وقد اشتغلوا بالطب والصيدلة ولهم في ذلك المؤلفات العديدة النافعة ومُرَكَّبات الادوية الصالحة. وهم أوّل من استحضر المياه والزيوت بالتقطير والتصعيد وأوّل من استعمل السكر في الادوية وكان غيرهم يستعمل العسل. وكان حكام الاندلس يعتنون بادارة الصيدليات

فيفحصون أدويتها ازالة للغش ويُسَعّرونها رفْقا بالفقير وفَضْلُهم في الطب على أوربا وأمريكا اليوم. ولهم في هذه الفنون مؤلفون يعدّون في الطبقة الاولى من علماء العالم في العلوم التي اشتغلوا بها ولا تزال مؤلفات كثير منهم باقية إلى اليوم كقانون ابن سينا ومفردات ابن البيطار واذا رجّحت القول بأن يونان أخو قحطان غاضَبه فرحل من اليمن ونزل ما بين الافرنجة والروم فاختلط نَسَبُه بهم كانت تلك الكتب اليونانية انما هى بضاعة العرب ردّت إليهم.

ولم يكن اشتغالهم بالجغرافية والتاريخ العام وتاريخ الاشخاص أقل من اشتغالهم بالعلوم السابقة فلهم السياحات العديدة حول أفريقية وآسية وجانب من أوربا وقد رسموا ما اكتشفوه رسما حسنا ولهم في تقويم البلدان مؤلفات عديدة بعضها مطبوع وبعضها غير مطبوع فمن الاوّل تقويم البلدان لأبي الفداء ومعجم ياقوت طبعا في أوربا ومن الثاني نزهة المشتاق للشريف الادريسي محمد بن الصقلي كان في القرن السادس الهجري وهو الذي صنع لرجار الفرنجي ملك صقلية سنة 1153 أوّل كرة أرضية عرفت في التاريخ زنتها من الفضة 144 أقة رسم فيها جميع أنحاء الارض في زمانة رسما غائرا مشروحا بالاستيفاء وصنف له أيضا كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق مرتبا على الاقاليم السبعة وصف فيه البلاد والممالك مستوفاة مع ذكر المسافات بالميل والفرسخ. ومؤلفاتهم في التاريخ تفوق الحصر. والفضل الاوّل في الاشتغال بهذه العلوم يرجع إلى مدرسة بغداد التي كانت ينبوعا أصليا استمدّت منه سائر المدارس الاسلامية. قال بعض مؤرّخي الافرنج ان العرب استقاموا

عدّة قرون على الطريقة التي وضعها علماء مدرسة بغداد واتبعوا قواعدهم وهى الانتقال من النظر في المسببات إلى اجتلاء الاسباب لا يعوّلون الا على ما اتضحت صحته وعرفت حقيقته . وقد أنشئت المدارس العديدة تباعا وجمعت إليها ولم يخل منهاقطر من الاقطار الاسلامية. وازدانت بهذه المدارس بغداد والبصرة والكوفة وبُخَاري وسَمَرْقَنْد وبَلْخ وأصفهان ودمشق وحلب في قارّة آسية والاسكندرية والقاهرة ومراكش وفاس وسبتة والقيروان في قارة افريقية واشبيلية وقرطبة وغَرْناطة وغيرها من مدن الأَنْدَلُس العديدة في قارّة أوربا. وكان بالقاهرة وحدها عشرون مدرسة في القرن الرابع وفي قرطبة وحدها من بلاد الاندلس ثمانون مدرسة في مدّة الحَكَم بن عبد الرحمن الناصر المتوفي سنة 366. وأصبحت الاندلس بعد ذلك في أواخر القرن الخامس غاضبة بالمكاتب والمدارس الجامعة ولم تَخْل مدينة من مدنها من مدارس متعدّدة. قال جيون في كلامه على حماية المسلمين للعلم في الشرق والغرب ان ولاة الاقاليم والوزراء كانوا ينافسون الخلفاء في اعلاء مقام العلم والعلماء وبسط اليد في الانفاق على اقامة بيوت العلم ومساعدة الفقراء على طلبه. وكان عن ذلك أن ذَوْق العلم ووِجْدان اللذة في تحصيله انتشرا في نفوس الناس من سَمَرْقَنْد وبُخَارَي إلى فاس وقرطبة. أنفق وزير واحد لأحد السلاطين (هو نظام الملك) مائتي ألف دينار على بناء مدرسة في بغداد وجعل لها خمسة عشر ألف دينار تصرف في شؤونها كل سنة. وكان الذين يُغَذّون بالمعارف فيها ستة آلاف تلميذ فيهم ابن أعظم العظماء في المملكة وابن أفقر الصناع فيها. غير أن الفقير يُنفَق عليه من

الرَيْع المخصَّص للمدرسة وابن الغني يكتفي بمال أبيه والمعلمون كانوا يُنقَدَون أجورا وافرة ا ه.

وجميع المدارس الطبية في البلاد الاسلامية أخذت نظام امتحانها عن مدرسة الطب في القاهرة وكان من أشدّ النظامات وأدقها. ولم يكن لطبيب أن يمارس صناعته الا على شريطة أن تكون بعد شهادةٍ بأنه فاز في الامتحان على شدّته. وأوّل مدرسة طِبّية أنشئت في قارّة أوربا على هذا النظام المحكم هى التي أنشأها العرب في ساليرت من بلاد ايطاليا. وأوّل مرصد فلكي أقيم في أوربا هو الذي أقامه العرب في أشبيلية من بلاد الاندلس.

وقد تعدّدت المراصد الفلكية في البلاد الاسلامية شرقا وغربا ومن أشهرها مرصد بغداد المنشأ على قنطرتها وقد رصدت به عدّة أرصاد وصححت جملة أزياج. ومرصد المراغة الذي أنشأه نصير الدين الطوسي يأمر ةهولاكو خان ولما أتم كوبلاي خان أخو هولا فَتْحَ الصين نقل مؤلفات علماء بغداد إليها. ومرصد سَمَرْقَنْد الذي أنشأه تيمورلنك. ومرصد دمشق الذي أنشأه الوغ بك مرزا محمد حفيد تيمورلنك. وكان من أعلم علماء الفلك وله زيج مشهور معتبر إلى هذا العصر. وكان بمصر مرصد جبل المقطم أنشأه ابن يونس الفلكي الشهير صاحب الزيج الحاكمي وأما دور الكتب فلم تكن عناية الدول الاسلامية بها أقل من عنايتهم بالمدارس فقد كان في القاهرة في أوائل القرن الرابع مكتبة تحتوي على مائة ألف مجلد منها ستة آلاف في الطب والفَلَك لا غير. ومكتبة

الخلفاء في الاندلس بلغ ما فيها ستمائة ألف مجلد وكان فهرسها أربعة وأربعين مجلدا. وقد حققوا أنه كان ببلاد الاندلس وحدها سبعون مكتبة عمومية وكان في هذه المكاتب مواضع خاصة للمطالعة والنسخ والترجمة. وبعض الخاصة كانوا يولعون بالكتب ويجعلون ديارهم معاهد دراسة لما تحتوي عليه وأما ضخامة تآليفهم فما لا يحصره العَدّ وحسبك في المشرق كتاب قَيْد الأوابد للامام البَنْجِذيهي المتوفى سنة 559 من قرى خراسان في 400 مجلداً وفي الاندلس لاحمد بن أبان كتاب العالَم نحو 100 سفر بدأ فيه بالفَلَك وختم بالذَّرّة والأعجب الأغرب كتاب فلك الأدب الذي تعاقب على تأليفه من جهابذة الاندلسيين 6 في 115 سنة آخرها سنة 645هـ

ولقد أحرق أهل اسبانيا من الكتب الاسلامية بعد جلاء المسلمين عنها ما يدهش لبيان عدده السامع ويحار المتأمل ويتوقف قلم الكاتب جاء في المجلد الثالث من المقتطف وجه 7 مانصه. ليقل لنا أهل اسبانيا أين الثمانون ألف كتاب التي أمر كردينالهم شيمتر بحرقها في ساحات غَرْناطة بُعَيد استظهارهم عليها فأحرقوها وهم لا يعلمون ما يعلمون حتى اَفْنَوا على ما قال مؤرّخهم ربلس ألف ألف وخمسة آلاف مجلد كلها خطها أقلام العرب. وليتهم يخبرون كم من كتاب لعبت به نيرانهم بعد ذلك حتى لم يبقوا من معارف العرب ولم يذروا. وما يقولون عن السفن الثلاث التي ظفروا بها مشحونة بالمجلدات العربية الضخمة وطالبة ديار سلطان مراكش فسلبوها وألقوا كتبها في قصر الاسكوريال سنة 1671 ميلادية (الموافقة سنة 1082هجرية) حتى لعبت بها النيران فأكلت ثلاثة أرباعها

ولم يستخلصوا منها الا الربع الاخير. حينئذ استفاقوا من غفلتهم وعلموا كُبْر جَهَالتهم ففوضوا إلى ميخائيل القصيري الطرابلسي الماروني ترتيبها وكتابة أسماء 1851 كتابا منها فعلى ما في هذه الكتب وما بقى في أفريقية والمشرق قَصَر أهل هذه الايام معارِفَ العَرَب وحتى هذه لم يستوعبوا جميع ما فيها ا ه.

وأما مكاتب بغداد فانه لما فاجأها التتار بالهجوم بعد قتل الخليفة المستعصم آخر الخلفاء العباسيين جعلوا دأبهم السلب والنهب وأخذوا كتب العلم التي كانت في خزانتها وألقوها بدِجْلة فَعَبرت عليها جنودهم. فأضِف هذه النفائس إلى ما أحرقه أهلُ اسبانيا وتصَوّر مقدار ذلك كله ثم انسُبْ ما بقى من الكتب الاسلامية إلى ما أتْلِف منها وتفكّر بعد ذلك في أن هذه الملايين من الكتب انما خُطّت بالقَلَم قبل أن تُعْرَف المطبعة واحكم بعد ذلك وأنت منصف في حكمك بأن العرب لم تسبقهم أمّة اعتنت بالعلم اعتناءهم واهتمت به اهتمامهم .

وتتميما للفائدة نذكر ما ورد في مجلة المقتطف في سنتها الثالثة في صفحة 92,91 تحت عنوان فضل العرب وهو خاتمة مقال نشر في تلك السنة في بيان مآثر العرب وعلومهم وبعض علمائهم وقد اقتطفنا من هذا المقال الجامع شذرات ضمناها مقالنا السابق وها هو ما ذكر تحت هذا العنوان.

في القرون الوسطى قصد أهل أوربا مدارس الاندلسيين وكانت على غاية الاتقان وقرؤا العلم فيها ثم تزوّدوه منها إلى بلادهم. ففي سنة 873 للمسيح أمر هرتموت رئيس دير ماري غالن جماعة من رهبانه بدرس اللغة

العربية لتحصيل معارفها. وكان الرهبان البندكتيون يطالبون العلوم العربية بشوق لا مزيد عليه وأشهر من تعلم العلم من العرب البابا سلفستر الثاني وأصله رجل فرنسي يسمى جربرت طاف على قسم كبير من أوربا طالبا المعارف حتى دبت قدمه في الاندلس فرتع في مدارس اشبيلية وقرطبة وصرف إلى العلوم رغبته فلما ساغها هنيئا عاد إلى دياره وما زال يسمو على أقرانه حتى تنصّب بابا فشاد للعلم مدرستين الاولى في ايطاليا والاخرى في ريمز وأدخل إلى أوربا معارف العرب والأرقام الهندية التي نقلها عنهم. ثم ثارت الحمية في أهل ايطاليا وفرنسا وجرمانيا وانجلترا فطلبوا الاندلس من كل فج عميق وتناولوا المعارف من أهلها. قال مونتكلا في تاريخ العلوم الرياضية ولم يقم من الافرنج عالم بالرياضيات الا كان علمه من العرب مدّة قرون عديدة. فمن جملة من نقل عنهم المعارف من أهل ايطاليا دوكريمونا قرأ علم الهيئة والطب والفلسفة بطليطلة وترجم عنهم المجسطي وكتب الرازي والشيخ الرئيس إلى اللاتينية وليوندار البيزي نقل عنهم الحساب والجبر وأرنولد الفيلانوفي نقل عنهم الهيئة والطبيعيات والطب. وممن نقل عنهم من الانجليز راهب اسمه بلارد وآخر اسمه مورلي وآخر اسمه سكوت وكذلك روجر باكون الشهير فان ما حصّله من المعارف في الكيميا والفلسفة والرياضيات انما استخلصه من كتبهم وقد اقتبس من أقوال الحسن في البصريات ومثله فيتليو الذي اشتهر بالبصريات فانه أخذ كثيرا عن الحسن. ولما عرف ملوك الافرنج قيمة معارف العرب أمروا بترجمة كتبهم ومنهم نقل شارلمان فردريك الثاني الجرماني والفونس الثاني القسطلي. والخلاصة أن

الافرنج نقلوا عن العرب مما نقله العرب عن غيرهم أو استنبطوه بأنفسهم الفلسفة والهيئة والطبيعيات والرياضيات والبصريات والكيمياء والطب والصيدلة والجغرافية والزراعة والفراسة وأخذوا عنهم عمل الورق والبارود والسكر والخزف وتركيب الأدوية ونسج كثير من المنسوجات وأدخلوا منهم إلى بلادهم دود القز وكثيرا من الحبوب والأشجار كالأرز وقصب السكر والزعفران والقطن والسبانخ والرمان والتين ونقلوا عنهم دبغ الأديم وتجفيفه وقد استردّ الانجليز هذه الصناعة بعد فقدها من الاندلس بجلاء العرب عنها ولا يزالون يسمون الجلود المدبوغة بها (موركو وكردوفان) نسبة إلى مراكش وقرطبة.

ولا تزال الالفاظ العربية مستعملة في أكثر مباحث الافرنج الطبيعية كالسمت والنظير والسموت والمقنطرات وأسماء النجوم والكحول والقلي والجبر والقطن والشراب والكمياء وغيرها. ولولا لغة العرب لبقيت لغة أهل اسبانيا قاصرة كما كانت فأسماء أوزانهم أقيستهم أكثرها عربي محرّف كالقنطار والربع والشبر وكذلك أسماء قطع الماء ونحوها كالبحيرة والبركة والجب والكهف وغيرها كثير فالمولدون كانوا في زمانهم حلقة من سلسلة العلوم اتصلت بها علوم الاوّلين بالمتأخرين ولولاهم لفقد أكثر المعارف ان لم نقل كلها وما أحسن قول جريدة مدرسة ادنبرج الكلية في هذا المعنى.

انا لمدينون للعرب كثيرا ولو قال غيرنا خلاف ذلك فانهم الحلقة التي وصلت مدنية أوربا قديما بمدنيتها حديثا وبنجاحهم وسموّ همتهم تحرّك أهل

أوربا إلى احراز المعارف واستفاقوا من نومهم العميق في الاعصار المظلمة. ونحن لهم مدينون أيضا بترقية العلوم الطبيعية والفنون الصادقة النافعة وكثير من المصنوعات والمخترعات التي نفعت أوربا كثيرا علما ومدينة اه.

أما تاريخ العلوم والآداب العربية من ابتداء الدولة العباسية إلى الآن فانه ينقسم إلى أربع مدد كبيرة . المدة الاولى تبتدي بخلافة أبي جعفر المنصور وتنتهي بمنتصف القرن الرابع تقريبا فهى نحو 200 سنة وهى المدّة التي صعدت فيها العلوم والآداب إلى ذروة مجدها وأوج عزها وفاضت فيها ينابيع المعارف على جميع البلاد الاسلامية فأيْنَعَتْ جنانها ودَنَت للقاطفين أفْنانها. وفيها أشرقت شموس الأئمة المجتهدين وأجلاء المحدّثين وكبار علماء الدين وأئمة العربية وفحول الشعراء وأعاظم الكتاب ورجال الأدب وغيرهم من أساطين العلماء.

المدة الثانية تتلاقى مع المدّة الاولى في نهايتها وتنتهي بسقوط الدولة العباسية سنة 656 وفي هذه المدّة ضعف أمر الخلافة العباسية باستيلاء الديلم والسلجيوقيين على السلطة ولم يكن هؤلاء الأعاجم يعرفون من قدر العلم كما كان يعرف الخلفاء من العرب فَفَتَرت الهمم بعضَ الفُتور واقتصر كثير من أهل العلم على النظر في كتب مَن قَبْلهم ووَشّوها بالحواشي. غير أنه نبغ في هذه المدّة عدد كبير في كل علم علم وفن لاسيما العلوم الرياضية والفلسفية وكان ذلك من أثر تلك الجَذْوَة التي اشتعلت في المدّة الاولى ولم يُخْمِدها ضعف الخلفاء بل بقيت بعدهم زمنا

يقتبس منها المقتبس حتى أطفأها التتار في بغداد والبلاد التي استولوا عليها من آسية ثم دخلوا في الاسلام فتألق بعض وميضها كما سبق.

المدّة الثالثة تبتدي بسقوط الدولة العباسية وتنتهي باستيلاء محمد علي باشا على مصر سنة 1220 وفي أوّل هذه المدّة أعدمت المعارف العربية في بلاد فارس وما وراء النهر وبقيت زاهية في مصر قليلا بفضل الجامع الازهر كل هذه المدّة وكذلك في بلاد المغرب في دولة السعديين والاشراف بعدهم وفي أواخر هذه المدّة كانت العلوم العربية في آخر رمق من حياتها. ولكن كان يلوح في أثناء ذلك الزمن بصيص من نور العلم والعرفان ثم يختفي فقد ظهر من أكابر العلماء أبو الفداء وابن خلدون والمقريزي وابن حجر والسيوطي وابن منظور صاحب لسان العرب والمجد صاحب القاموس وابن الوردي الفقيه.

المدّة الرابعة تبتدي باستيلاء محمد علي باشا على مصر وفي هذه المدّة أخذت المعارف والآداب تدب فيها الحياة وتنمو في مصر والشام بفضل ما طبع وألف من الكتب المختلفة النافعة.

امرؤ القيس (المتوفى سنة 566م)

هو امرؤُ القَيس بن حُجْر الكِنْدي وأمّه فاطمة وقيل تَمْلِك بنت ربيعة بن الحَارِث أخت كُلَيب ومُهَلْهِل وقد ذكرها في قوله:

ألا هل أتاها والحوادثُ جَمّةُ بأن امرأ القيس بنَ تَمْلِك بَيْقرا

أي أقام بالحَضَر وتَركَ أهْلَه بالبادية ومعنى (امرئ القيس) رجُل الشِّدّة وقيل القَيس اسم صَنَم وقد وُلد ببلاد بني أسَد ولما شبّ تعلق بالشعر ونبغ فيه وهو أوّل من استوقف على الطُلول وشَبّه النساء بالظباء والمَهَا وأجاد الاستعارة والتشبيه وكان أبوه مَلِكَ بني أسَد فعَسَفَهم عَسْفا شديدا فتمالؤا عليه وقتلوه وقد كان طَرَد ابنَه امرَأ القيس لتشبيهه بالنساء في شعره وتنقَلُّه في أحياء العرب يستتبِع صَعَالِيكهم وذُؤْبانَهم وبينما هو يشرب الخمر بأرض اليمن بلَغَه قَتْل أبيه فقال ضيعني صغيرا وحَمّلني ثِقل الثار كبيرا لاصَحْوَ اليوم ولا سُكْر غَداً اليَوْم خَمْرٌ وغَداً أمْرٌ ثم انه استنصر ببعض أقيْاَل العَرَب ورؤساء القبائل وما زال يتتبع بني أسَد حتى ظفِر بهم وحصلت له بعد ذلك وقائع كثيرة ثم مات (2)[2] بجبل يقال له عَسِيب ودفن بأنْقِرة سنة 566 م وأشهر شعره المعلقة الطائرة الصيت التي مطلعها

قِفا نبك من ذِكْرَى حبيب ومنزل بِسَقْط اللوَا بين الدَّخول فَحَوْمَل

---

[2] (2) ادبيات اللغة العربية (الهيئة العامة لقصور الثقافة)

النابغة الذّبْيَاني (توفى سنة 604 م)

اسمُه زِيَاد بن معاوية بن ضِبَاب ينتهي نَسَبه إلى ذبْيان ثـم لمُـضَر ويكْنَـى أبَـا أمَامة وانما سُمّى النابغة لقوله

وحَلَّت في بنـي القَـين بـن جَسْرٍ وقــد نبغــت لهــم مِنّــا شــؤن

وهو أحد الاشراف المقدّمين على سائر الشعراء وقال عبد الملك بن مَـرْوان لَـمَّا دَخَل عليه وفَدْ الشام أيَّكم يَرى من اعتذار النابغة إلى النعمان

حَلَفْتُ فَلَمْ أتْـرُكْ لنفـسك رِيبـةً ولـيس وراءَ اللــه للمَـرء مَـذْهب

فلم يَجِد فيهم مَن يرويه فأقْبَل على عمر بن المُنْتَشر وقال له أتَرِوْيه قال نَعَم فأنـشده القـصيدة كلهـا فقـال هـذا أشـعر العـرب والنابغـة هـذا كـان خاصـا بالنعمان ومن ندمائه وأهل أنسه ثم انه وُشِىَ به إلى الـنعمان فهـرب منـه ولم يرجع إليه الا بعد أن بلغه أنه عليل لا يُرْجَى فأقْلَقه ذلك ولم يَمْلك الصَبْر عـلى البُعْد عنه مع عِلّته فسار إليه فألْفَاه محمولا على سرير يُنْقل ما بـين العُمْـران وقُصُور الحِيرة فقال لِعصام حاجِبِه

أَلَــمْ أُقْــسِم عليــك لتُخْــبِرَنّي أمحمــول عــلى الــنعش الهُــمامُ

فــاني لا أُلام عــلى دخــول ولكــن مــا وراءك يــا عِــصَامُ

فـانْ يَهِلْـك أبـوُ قَـابُوس يَهْلِـك ربيــعُ النــاس والبَلَــد الحَــرَام

ونُمْـسِك بعـده بِـذنَابِ عـيش أجَــبّ الظَهْــر لــيس لــه سَــنَام

ومات النابغة الذبياني على جاهليته ولم يُدْرِك الاسلام سنة 604 ميلادية

زُهَير بن أبي سُلْمَى (توفى سنة 631 م)

هو أبو كَعْب وبُجَيْر واسم أبي سُلْمَى رَبِيعة بن رِيَاح ينتهي نَسَبُه لِنزارٍ وهو أحد الثلاثة المُقَدَّمِين على سائر الشعراء وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة الذُبْياني وعن عمر بن عبد الله اللَّيثي قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه في مسيره إلى الجابية بعد قصة طويلة هل تروي لشاعر الشعراء شيأ قلت ومن هو قال الذي يقول :

فَلَوْ كان حَمْدٌ يُخْلِد الناسَ لَمْ تَمُتْ   ولكنّ حَمْدَ الناسِ ليس بمُخْلِدِ

قُلْتُ ذاكَ زهير بن أبي سُلْمَى قال لأنّه كان لا يُعَاظِل في الكلام وكان يَتَجَنَّب وَحْشِي الشِعْر وكان لا يمدح أحدا الا بما هو فيه ولما سأل معاويةُ الأحنفَ ابن قَيْس عن أشعر الشعراء قال هو زهير قال وكيف ذاك قال بقوله :

فما يَكُ مِن خير أتَوْه فانما   تَوَارَثَهُ آباءُ آبائهم قَبْل

وقال ابن الاعرابي كان لزهير في الشعر مالم يكن لغيره كان أبوه شاعرا وهو شاعر وخاله شاعر وابناه شاعران وهما كَعْب وبُجَير وأخْتُه سُلْمَى شاعرة وأخْتُه الخَنْساء شاعرة وكان زهير يُضْرَب به المَثَل في التنقيح فيقال حَوْلِيّات زهير لأنه كان يعمَل القصيدة ويَعْرِضها في سَنة كاملة

أمَيّة بن أبي الصَّلْت (توفى سنة 9 هـ)

ينتهي نَسَبُه إلى ثَقِيف وأمُّه رُقَيّة بنت عبد شمس وهو من أهل الطائف ومن أكبر شعراء الجاهلية وكان ينظر في الكتب ويقرؤها ويقال انه حرّم الخمرَ وشكّ في الأوثان والتمس الدِين وطمِع في النُبُوة لأنه قرأ في الكتب أن نَبِيّا يبعث من العرب وكان يطمع أن يكون هو فلما بُعِث النبي صلى الله عليه وسلم حَسَدَه وقال كنت أرجو أن أكونه ويُنسب إليه أنه هو القائل:

كلُّ دِين يوم القيامة عند الله إلّا دِينَ الحَنِيفة زُورُ

وأغلب شِعره متعلِّق بذِكْر الآخرة حتى قال الَا صْمَعيّ ذهب أمَيَّة في شِعره بعامّة ذكْر الآخرة ولكن يقال انه مات ولم يُسْلم ومما قال في مرض موته

كُلُّ عيشٍ وان تَطَاول دَهْرا مُنْتَهى أمره إلى أن يَزُولا

ليتني كنتُ قبْل ما قَد بَدَا لي في رؤس الجبال أرْعى الوُعُولا

ويقال انه قَضَى نَحْبَه في قصر من قصور الطائف سنة 9 هجرية ومن شعره قصيدته في الفخر التي يقول فيها

ورثنا المَجْدَ عن كُبرىَ نِزَار فأوْرَثْنا مَآثِرنا بَنِينا

الخنساء (توفيت سنة 24 هـ)

اسمُها تُمَاضِرُ بنت عَمْرو بن الشَرِيد ينتهي نَسَبُها لمُضَرَ والخنساء لقَبَ غَلَب عليها وقد أجمع أهل العلم بالشعر انه لم يكن امرأة قطّ قَبْلَها ولا بعدها أشْعر منها ووفَدَتْ على رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم يَسْتَنْشدها ويُعْجِبه شعْرُها وكانت تُنْشِده وهو يقول هِيهِ يا خُنَاس ولَمّا بَلَغَها استشهاد بنِيها الاربعة يوم القادِسِيّة بعد تحريضها لهم على القتال قالت الحمد لله الذي شَرّفني بقتلهم وأرْجُو من ربي أن يَجْمَعَني معهم في مُسْتَقَرّ رَحْمته.

سيدنا حسان ين ثابت رضى اللـه تعالى عنه

جدّه المُنْذر الخَزْرجيّ ويكْنَى أبَا الوَليد وهو من فحول الشعراء وقد قيل انه أشعر أهل المَدَر وكان أحد المُعَمِّرين المُخَضْرَمِين عَمّر مائةً وعشرين سنة نصفها في الجاهلية ونصفها في الاسلام وكذا أبوه وجدّه وأبو جدّه لا يُعرف في العرب أربعة تَنَاسَلُوا من صُلْبٍ واحدٍ وعاشَ كُلٌّ منهم 120 سنة غَيْرهم وعن أبي عُبَيدة قال فَضَل حَسّان بن ثابت الشُعَراء بثلاثةٍ كان شاعر اليَمَن كُلّهَا في الاسلام وفَضْلُه أوسع من أنْ تحيط به التآليف وكانت وفاته بالمدينة المنوّرة قبل الاربعين من الهجرة في خلافة سيدنا عليّ رضى اللـه تعالى عنه.

الاخطل (توفى سنة 712 م)

هو أبو مالك غِيَاث بن غوث بن الصَّلت من تَغْلِب قال أبـو عبيـدة ان سـبب تلقيه بالأخطل انه هجا رجلا مـن قومـه فقـال لـه يـا غـلام انـك لأخطـل (أي سفيه) وكان نصرانيا من أهل الجزيرة ومات عـلى دينـه مـع مخالطتـه لملـوك المسلمين وأمرائهم وحُظْوَته لديهم وهو جرير والفرزدق من طبقة واحدة وان اختلف الناس في التفضيل بيـنهم وقـد عاشـوا كلهـم في زمـن واحـد وان كـان الأخطل أكْبَرَهم سِنّا وقد كان يفضّل الاعشى في الشعْر على نَفْسه وقـال جَريـر وقد سأله ابنه عن الأخَطل أدْرَكْتُه وله نَابُ واحد فلو أدركت له نَابين لَأكَلَنـي. ومما يحكى عن الأخطل أنه طلّق امرأته وتزوج بِمُطَلَّقَة اَعْرَابِيٍّ فَبَيْنَما هى معـه اذ ذكرت زَوْجَها الأول فتنفست فقال :

كلَانـا عَـلَى هَـمّ يَبِيـت كأنمـا ... بجَنْبَيـه مِـن مَـسّ الفِـرَاش قُـرُوح
عَلَى زوجهـا المـاضي تَنُـوح وأنّنـي ... عـلى زوجتـي الأُخـرى كـذاك أنُـوح

وقد كانت منزلة الأخطل عند عبد الملـك بـن مـروان رفيعـة يـذكره اذا غـاب ويقرّ به اذا حضر وله كثير من النوادر يضيق المقام عن ذكرهـا وكانـت وفاتـه سنة 712 ميلادية.

هو ابن عطية بن الخَطَفَي وهو لقبه واسمه حُذَيفـة بـن بـدر بـن عـوف ابـن كُلَيب ينتهي نَسَبه لِنِزار ويُكْنَى أبا حَزْرَة وهـو الفَـرَزْدَق والأخْطـل المقـدَّمون على شعراء عصرهم إلا سَقَط وافتضح وكان أبو عمـرو يُـشَبّه جَريـرا بالأعْـشَى والفَرَزْدَق بزُهَير والأخْطل بالنابِغة وقد حَكَم مَرْوانُ بن أبي حَفْصة بـين الثلاثـة بقوله:

ذَهَــبَ الفَــرَزْدَقُ بالفَخَــار وانمــا   حُلْــــوُ الكــــلام ومُــــرُّه لَجَرِيــــر

ولقد هَجَـا فَـأَمَضَّ أخْطَـلُ تَغْلِـب   وحَـوَى اللــهى بمديحـه المــشهور

فهو كما حَكَـم للفـرزدق بالفَخَـار وللاخطـل بالمـدح والهجـاء وبجميـع فنـون الشعر لجرير ومن كلامه في الفخر

اذا غــضبت عليــك بَنُــو تَمــيم   لقيـــتَ القَـــوم كُلَّهُـــمُ غِـــضَابا

وقال يَهْجُو بَني نُمَيَر

فَغُـضّ الطَـرْفَ إنَّـكَ مـن نُمَـيَرٍ   فَــلا كَعْبًــا بَلَغْــتَ ولا كِلَابــا

تَوَفَّيَ سنة 110 هجرية.

هو هَمّام بن غالب بن صَعْصَعة التَّمِيمي وكان أبوه مِن سَراة قومه ورَوَى الفَرَزْدَق رحمه الله عن علي بن أبي طالب وأبي هُرَيرة والحُسَين وابن عُمَر وأبي سعيد الخُدْرِي ووفَدَ على الوَلِيد وسليمان ابْنَيْ عبد المَلِك ومدحهما.

رَوَى معاوية بن عبد الكريم عن أبيه قال دخلت على الفرزدق فتحرّك فاذا في رجليه قَيْد قلت ما هذا يا أبا فِراس قال حَلَفْت أن لا أُخْرِجه مِن رِجْلي حتى أحفَظَ القرآن واخْتَلَفَت الناس في المفاضلة بينه وبين جرير والا كثرون على أن جريرا أشعرُ منه وقد أنصف الاصفهاني حيث قال من كان يَميل إلى جودة الشعر وفخامته وشدّة أسْره يُقَدِّم الفرزدق ومن كان يَميل إلى الكلام السَمْح الغَزل يقدّم جريرا وله القصائد الغرّاء في الرِثاء والفخر والهجو والمدح فمن ذلك قصيدته المشهورة في مدح زين العابدين التي مطلعها

هذا الذي تَعرف البَطْحاءُ وَطْأتَه والبيت يعرفه والحِلّ والحَرَم

تُوُفِّيَ سنة 110 هجرية

عبد الحميد الكاتب (توفى سنة 132 هـ)

هو أبو غالب عبد الحميد بن يحيى الكاتب البليغ المشهور وبه يُضْرَب المثَل في البلاغة حتى قيل فُتِحت الرسائل بعبد الحميد وخُتِمت بابن العَمِيد وكان في الكتابة وفي كل فن من العلم والادب إماما وهو من أهل الشام وكان أوّلا مُعَلِّم صِبْية ينتقِل في البُلْدان وعنه أخَذَ المُتَرَسِّلون ولطريقته لَزموا ولآثاره اقْتَفَوْا وهو الذي سهّل سبيل البلاغة في التَرَسُّل وهو أول من أطال الرسائل واستعمَل التحميدات في فصول الكتب فاستعمل الناس ذلك بعده وكان كاتِبَ مَرْوان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموي آخر ملوك بني أُمَيَّة المعروف بالجَعْدِي فقال له يوما وقد أهدَى له بعضُ العُمّال عَبْدًا أسْوَد فاستَقَلّه اكْتُب إلى العامل كتابا مُخْتصرا وذُمّه ما فَعَل فكتب إليه لو وجَدْت لونا شرًّا من السَّواد وعَدَدًا أقلّ من الواحد لاهْدَيْتَه والسلام ومن كلامه أيضا القَلَم شجرة ثَمرَتُها الاَلْفاظ والفِكْر بَحْرٌ لُؤْلُؤَة الحكمة وله رسائل بليغة وكان حاضرا مع مروان في جميع وقائعه عند آخر أمره وقُتِل معه سنة 132 بقرية يقال لها بُوصِير من أعمال الفيوم بمصر.

هو ابن ثابت كان خَزّازا يبيع الخَـزّ وقـال الخطيـب في تاريخـه ان أبـا حنيفـة أدرك أربعة من الصحابة رضوان اللـه علـيهم أجمعـين وهُـمْ أنَـسُ بـن مالـك وعبد اللــه بـن أبي أوْفَ بالكوفـة وسَـهْل بـن سَـعْد الـساعِدِي بالمدينـة وأبـو الطُّفَيْل عامِرُ بنُ وَاثَلَة بمكة ولم يأخذ عن أحد منهم ولم يَلْقَـه كـما قَـرَّر ذلـك أهلُ النَقْل وذكَرَ الخطيب في تاريخ بغْداد أنَّه أخذ الفِقْه عن حَمّاد بـن أبي سليمان وروى عنه عبد اللـه بن المبارك والقاضي أبو يوسـف ومحمـد بـن الحسن الشَّيْباني وغيرهم. وكان رحمه اللـه عالما عاملا زاهـدا عابـدا وَرِعًـا كثير الخُشوع دائم التَضَرُّع إلى اللـه تعالى ونَقَله أبـو جعفـر المَنْـصور مـن الكوفة إلى بغداد على أن يُوَلِّيَه القضاءَ فأبَى وهو يقـول لـه اتّـق اللــه ولا تُرْعِ في أمانتك الّا مَنْ يَخاف اللـه واللـه ما أنَا مَأمون الرِّضا فكيف أكـون مأمونَ الغَضَب فقال له المنصور كَذَبْتَ أنْتَ تصلح فقال له قد حَكَمْـتَ لِي على نَفْسك كيف يَحِل لك أن تُوَلّي قاضيا على أمانتِكَ وهو كَذّاب وقيل انه تولى القضاء أياما قليلة بعد اهانةٍ لحِقَتْه بـسبب امتناعـه ثـم تُـوُفّي عَقبَهـا وكان رضى اللـه عنه شـديدَ الكَـرَم حَـسَن المُواسـاة لاخْوانـه ومِـن أحْـسَن النـاس مَنْطِقـا وأحْلاهـم نَعْمـة وُلِـدَ سـنة 80 هجريـة وتـوفي سـنة 150

وكانت وفاته ببغداد في السِجْن لِيلَى القَضَاء وقيل انه لم يمت في السجن وتُـوُفِّي في اليوم الذي وُلِدَ فيه الامامُ الشافعي رضى الـلـه عنه.

بشار بن برد(توفى سنة 167 هـ)

هو أبُو معاذ بَشّار بـن بُـرْد الـشاعر المـشهور بَـصْرِيّ قـدمَ بغـداد وأصْـلُه مِـن طُخَارُسْتَانَ مِن سَبْيِ المُهَلَّب بن أبي صُفْرة وكان أكْمَهَ وُلِـدَ أعْمَـى وهـو في أوَّل مَرْتَبـة المُحْـدَثِين مـن الـشُعَراء المُجِيـدين فمـن شـعره في المـشُورة قـصيدته المشهورة التي مطلعها

اذا بَلَـغ الـرأيُ المَـشُورَةَ فاسْـتَعِن بحَـــزْمِ نـــصيحٍ أو نـــصيحة حـــازِمِ

ومن شعره أيضا قوله

يـا قـوم أُذْني لـبعض الحَـيْ عاشـقة والأذن تعــشَق قبــل العــين أحيانــا

قالوا بِمَن لا تَرَى تَهْـذِي فقلـت لهـم الأُذْن كالعَيْن تُوفي القَلْبَ ما كانا

وكان يمدح المهدي بن المنصور أمير المؤمنين ورُمِى عنده بالزَنْدَقة فأمَر بـضَربه فضُرِب سبعين سوطا فمات من ذلـك بـالقُرب مـن البَـصْرة فجـاء بعـض أهلـه فحمله إلى البصرة ودفنه بها وذلك سنة 167 وقد نيف على تسعين سنة.

الامام مالك (90 - 179 هـ)

هو الامام أبو عبد اللـه مالك بن أنَس بن مالك بن أبي عامر الآصْبَحِيّ نسبة لِذِي أصْبَح من الآذْواء مُلوك اليَمَن إمام دار الهجْرة وأحَد الائمة الاَعْلام أخَذَ القراءة عن نافع بن أبي نُعَيم وأخذ العلم عن رَبيعة الرَأْي وأفْتَى معه عند السلطان وقال مالك قَلَّ رجل كُنْتُ أتَعَلّم منه مَا مَات حتى يَجِيئَني ويَسْتَفْتِيَني وقال ابن وهْب سمعت مناديا ينادي بالمدينة الاَ لَا يُفْتي الناسَ إلا مالك بن أنس وابن أبي ذئْب وكان مالك رضى اللـه عنه اذا أراد أن يُحَدّث توضأ وجلس على صدر فراشه وسَرَّح لِحْيَتَه وتَمَكّن في جَلَوسه بِوَقَارٍ وهَيْبَة ثم حَدّث فقيل له في ذلك فقال أحِبّ أنْ أُعَظِّم حَديث رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم مَدْفُونة وقال الواقدي كان مالك يأتي المسجدَ ويَشْهَد الصَلَوَات والجَمْعة والجَنائز ويَعُود المَرْضى ويَقْضِي الحُقُوق ويَجْلس في المسجد ويَجْتَمِع إليه أصحابُه وكانت ولادته سنة 90 هجرية وتُوُفِّ سنة 179 بالمدينة ودُفِن بالبَقِيع.

سِيبَوَيْهِ (121 - 161 هـ)

وُلِد ونَشَأ بقَرية مِن قُرَى شِيرَازَ تُعْرَف بالبيضاء وكان ميلاده سنة 121 وقيل بعد ذلك ثم قَدِم البَصْرة لِتَلَقّي الحديث ورِوايَتِه ويقال انه بَيْنَما هو يَسْتَمْلِي عَلَى حَمّاد قَوْلَ النبيّ صلى الله عليه وسلم ليس من أصحابي أحد إلا ولو شئتُ لأخذتُ عليه ليس أبَا الدرداء (وأخذتُ من المؤاخذة أي المعاتبة) قال سيبويه أبُو الدرداء بالرفع ظانًا انه اسمُ لَيس فقال حَمّاد لَحَنْتَ يا سيبويه ومن ثَمّ عَكَفَ على الاشتِغال على الخليل بن أحمد وغيره وأخَذ اللُّغة عن الاَخْفَش الاَكْبر ولم يَزَل مشتغلا حتى صار إمامَ الائمة في علوم اللغة ووَضَع كتابه في النحو الذي هو مَرْجع علماء النحو وتوفى سنة 161 على المشهور.

الكسائي (توفى سنة 189 هـ)

هو أبو الحسن عَليّ بن حمزة الكُوفِي المعروف بالكسائي أحَدُ القُراء السبعة كان اماما في النحو واللغة والقراءات ولم يكن له في الشِعْر يَدٌ حتى قيل ليس في علماء العربية أجْهَل من الكسائي في الشِعر وكان يُؤَدِب الامينَ بنَ هارون الرشيد ويُعَلّمه الَادَب ورَوَى الكسائي عن أبي بكر عَيّاش وحمزة الزّيّات وابن عُيَيْنة وغيرهم وروى عنه الفَرّاء وأبو عُبَيد القاسِم بن سلّام وغيرهما وتوفى سنة 189 بالرَّيّ وكان قد خرج إليها صُحْبة هارون الرشيد ويقال ان الرشيد كان يقول دَفَنْتُ الفِقْه والعربية بالرَّيّ لوفاة محمد بن الحَسَن الفقيه الحنفي يومئذ.

أبو نُوَاس (145 - 198 هـ)

هو أبو علي الحسن بن هانئ الشاعر المشهور كان جدّه مَوْلى الجَرّاح ابن عبد الله الحكَمِيّ وإلى خُرَاسَان قيل انه ولد بالبصرة ونشأ بها ثم خرج إلى الكوفة ورُوى أنّ الخَصِيب صاحب مصر سأل أبا نُواس نَسَبه فقال أغْناني أدَبِي عن نَسَبي وما زالت العلماء والاشراف يروون شعره ويَتَفَكّهون به ويُفَضِّلونه على أشعار القُدَماء وكان من أجود الناس بَديهة وأرَقِّهم حاشية حتى قال الجاحظ لا أعرف بَعْد بَشَّار مُوَلَّدًا أشْعَرَ من أبي نُوَاس. وكان أبو نُوَاس يعجبه شعر النابغة ويُفَضّله على زُهَير تفضيلا شديدا وكان المأمون يقول لو وَصَفَت الدنيا نَفْسَها لَمَا وَصَفَتْ بِمِثْل قول أبي نواس.

ألَا كُلُّ حَيّ هَالِكٌ وابن هالِكٍ   وذُو نَسَب في الهالِكِين عَرِيقِ

اذا امْتَحَنَ الدُنْيا لَبِيبٌ تَكَشَّفَتْ   له عن عَدُوٍّ في ثِيَاب صَدِيقِ

وكانت وفاته سنة 198 ببغداد

الامام الشافعي (150 - 204 هـ)

هو الامامُ أبو عبد اللـه محمد بن ادْريسَ بن العباس القُرَشِي يَجْتَمع مع رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم في عَبْد مَنَاف وكان رحمةُ اللـه كثيرَ المَنَاقِب جَمّ المَفَاخِر مُنْقَطِع القَرِين اجْتَمَع فيه من العُلُوم بكتاب اللـه وسنة الرسول صلى اللـه عليه وسلم وكلام الصحابة رضى اللـه عنهم وآثَارِهِم وغير ذلك من معرفة كلام العَرَب واللُّغَة العَرَبية والشِعْر حتى انّ الاَصْمَعيّ مع جلالة قدره في هذا الشأن قرأ عليه أشعار الهُذَلِييّن ما لم يَجْتَمع في غيره حتى قال أحْمد بن حَنْبَل رضى اللـه عنه ما عَرَفْتُ ناسِخ الحَديث من منسوخه حتى جَالَسْتُ الشافِعيّ وقال رضى اللـه عنه قَدمْت على مَالِك بن أنَس وقد حَفِظْتُ المُوَطّأ فقال لي أحْضِرْ مَن يَقْرَأ لَكَ فقلت أنَا قارئ فقرأت عليه الموطأ حفظا فقال إن يَكُ أحَدٌ يُفْلح فهذا الغُلام وكان سُفْيَان بن عُيَيْنَة اذا جاءه شئ من التَفْسِير أو الْفُتْيا الْتَفَت إلى الشافعي فقال سَلُوا هذا الغُلَام وقال احْمَد بن حنبل ما أحَدٌ ممن بيده مَحْبَرَةٌ أوْ وَرَقٌ الا ولِلشّافِعيّ في رَقَبَته مِنّة فَفَضَائِله أكْثَر من أَن تُعدَّ ووُلِدَ سنة 150 وقيل إنّه ولِد في اليوم الذي تُوُفّي فيه الامام أبو حَنيفة وكانت

ولَادُته على الاصحّ بمدينة غَزّة وحُمل منها إلى مكّة وهو ابن سَـنَتَين فَنَـشَأ بهـا وقرأ القرآن الكريم وقِدمَ بَغْداد سنة 195 فأقام بها سَنَتَين ثـم خـرج إلى مكـة ثم عاد إلى بغداد ثم خرج إلى مصر ولم يزل بها إلى أن تُوُفِّ سنة 204 .

الفَرَّاء (144 - 207 هـ)

هو أبو زكرياء يَحْيى بن زِيَاد الَاسْلمِيّ المعروف بالفَرّاء الـدَيْلَمِي الكُـوفي كـان أبْرعَ الكُوفِيين وأعْلَمَهم بالنحو واللغـة وفنـون الادب وحـكى عـن أبي العبـاس ثعلب أنه قال لولا الفَرّاء لَمَا كانت عربية لانه خَلّـصها وضـبطها ولـولاه أيـضا لَسَقَت لانها كانـت تُتَنَـازَع ويَـدّعِيها كُـلُّ مـن أراد وتـتكلم النـاس فيهـا عـلى مقادير عقولهم وقرائحهم فَتَذْهَب أخَذَ النحـوَ عـن أبي الحَـسَن الكِـسَائِي ولما اتصل بالمأمون أمَرَه أن يُؤَلِّف ما يَجْمع أصولَ النحـو ومـا سُـمع مـن العربيـة فصنَّف الحُدُود وأمَر المأمون بكَتْبه بالخزائن ثم ألّف كتاب المعاني وله كتابـان في الشَكْل وله كتاب اللغات وكتاب الجَمْع والتثنية في القـرآن وكتـاب الوقـف والابتداء وغير ذلك من الكتب وتوفى سنة 207 في طريق مكة وعمره 63 سنة.

أبو العتاهية (130 - 211 هـ)

هو أبو اسحاق اسماعيل بن القاسم المعروف بـأبِي العَتاهِيَـة الـشاعر المـشهور وُلِد سنة 130 ببلدة تُسَمَّى عَـيْنَ التَمـرْ بالحِجَـاز قُـرْبَ المَدِينـة المنَـورة ونَـشَأ بالكوفة وسَكَن بَغْدَاد ومِن شِعْره في حضرة الخليفة المهدي

أتتــــه الخلَافـــــةُ مُنْقَـــادَةً	إليـــــه تُجَـــــرِّر أذْيَالَهـــــا
فَلَـــم تَـــكُ تَـــصْلُح إلّا لَـــهُ	ولَـــمْ يَـــكُ يَـــصْلُح إلّا لَهَـــا
ولـــو رَامَهـــا أحَـــدٌ غَـــيْرُه	لَزُلْزِلَــــــت الارضُ زِلْزَالَهـــــا
زلَـوْ لَـمْ تُطِعْـهُ نِيَـاتُ القُلُـوب	لَـــمَا قَبِـــلَ اللـــــه أعْمَالَهَـــا

وله في الزُّهْد أشعار كثيرة وهو من مُقَدَّمي المُوَلَّدِين في طَبَقَة بَشَّار وأبي نُـوَاس وتُوُفِّ سـنة 211 ببغـداد وقبـل وفاتـه قـال أشْـتَهي أن يجـئ مَخَـارِقُ المُغَنِّـي ويُغَنِّي عند رأسِي بهذين البيتين

اذا ما انتقضَت عَنّـي مـن الـدهر مُـدَّتِي	فـــانَ عَـــزَاء الباكيـــات قَلِيـــلُ
سَـــيُعْرَض عَـــنْ ذِكْـــرِي وتُنْـــسَى مَـــوَدّتِي	ويَحْـدُث بعـدِي للخَليـل خَليـلُ

هو ابو سَعِيد عبد المَلِك بن قُرَيْب وأصْـمَعُ جَـدُّه الخـامس وينتهـي نـسبة إلى مُضَرَ بن نِزَار بن مَعَدّ وهو مـن أهـل البـصْرة وقَـدِمَ بَغْـداد في خلافـة هـارون الرشيد ثم عاد إلى البصرة ولما كانـت خلافـة المـأمون دعـاه إليـه فلـم يُجِـبْ واحْتَجَّ بِكبَرِ سِـنّه وضَـعْف قُوَّتـه فكـان المـأمون يَجْمَـع المُـشْكِلَ مـن المـسائل ويرسلها إليه ليُجِيب عنها.

وقد كان الَاصْمَعِيّ اماما في اللغة والغرائب والمُلَح كثيرا الحفـظ قـويّ الـذاكرة حتى قال بعضهم انه كـان يحفـظ سـتة عـشر ألـف أُرْجـوزة وقـد ألـف نحـو الاربعين كتابا أغْلَبُها في اللغة وما يختص بها. ومما يحكى عنه أنـه اجتمـع مـع أبي عُبَيدة عند الفضل بن الربيع وقد ألّف كلُّ مـنهما كتابـا في الخليـل فـسُئل الاصمعي عن كتابه فقال هو مُجَلَّد واحد وسئل أبـو عُبَيـدة عـن كتابـة فقـال خمسون مُجَلّدا فقيل له قُمْ إلى هذا الفَرَس وأمْسك كلَّ عُضْو منه وسَمِّه فقال لَسْتُ بَيْطارا وانما أخَذْتُ هذا عن العرب فقيل للاصمعي قُمْ أنْتَ وافْعَلْ فقام وجَعَل يَضَع يَدَه على كلّ عُضْو ويُسَمِّيه ويُنْشِد ما قالت العرب فيه فلما فَـرَغ أُعْطِي الفَرَس ويقال انه كـان اذا أراد اغاظـة أبي عبيـدة يـأتي إليـه راكبًـا تلْـك الفَرَسَ وتُوُفِّ سنة 216 بالبصرة.

أبو تَمّام (188 - 231هـ)

اسُمه حَبِيب بن أوَسْ بن الحارث ينتهي نسبه إلى طيئ ولـد سـنة 188 ونـشأ بمصر وقد قيل انه كان يَسقِي الماءَ بـالجَرّة في جـامع مـصر وقيـل كـان يَخْـدُم حائكا ويعمَل عنده ثـم اشـتغل وتنقَّـل إلى أن صـار واحـد عـصره في ديباجـة لفظه وفصاحة شعره وحُسْن أُسْلوبه وكان له من المحفوظات مالا يلحقه فيـه غيره حتى قيل انه كان يحفظ أربعة عشر ألف أُرْجُوزة للعَـرب غَـيْرَ المَقَـاطيع والقصائد ولـه كتـاب الحَمَاسـة الـذي دَلَّ عـلى غَـزَارة فـضله واتقـان معرفتـه وحُسْن اختياره وله مجموع سَمّاه فُحُولَ الشعراء جَمَع فيه طائفـة كثـيرة مـن شعراء الجاهلية والمُخَضْرَمين والاسلاميين وتوفى سنة 231 هجرية.

الامام احمد بن حنبل (164 - 241 هـ)

هو أحمد بن محمد بن حَنْبل ينتهي نَسَبه إلى عَدْنَان وُلِدَ في بغداد سـنة 164 ومان إمَام المُحَدِّثين صنّف كتابه المسْنَد وجَمَع فيه مـن الحـديث مـا لم يَتّفِـق لِغَيْره وكان يحفظ أحادِيثَ كثيرةً وكـان صـاحب الامـام الـشافعي رضى الـلـه عنه ومن خواصّه ولم يَزَل مُصَاحِبَه إلى أن ارتحـل الـشافعي إلى مـصر وقـال في حقه خَرَجْت من بغداد وما خَلّفت بها أتْقَى ولا أفْقَه من ابن حنبل ودُعِيَ إلى القول بخَلْق القرآن فلم يُجِبْ فضُرب وحُبِس وهو مُصِرّ على الامتناع أخَذَ عنه الحديثَ جماعة من الامَاثل منهم محمد ابن اسـماعيل البخـاري ومُـسْلِم بـن الحَجّاج النَيْسَابُورِي ولم يكن في آخر عَصْره مِثْلُـه في العِلْـم والـوَرَع تـوفى سـنة 241 ببغداد.

هو ابو عبد الله محمد بن أبي الحسن البخاري الحافظ الامام في علم الحديث صاحب الجامع الصحيح والتاريخ رَحَل في طَلَب الحديث إلى أكثر مُحَدِّثي الآمْصار وكَتَب بخُرَاسانَ والجبال ومُدن العِرَاق والحِجَاز والشام ومِصْر وقَدِم بغداد واجتمع إليه أهلها واعترفوا بفضله وشهِدُوا بتَفَرُّده في عِلْم الروَاية والدِرَاية وحكى أبو عبد الله الحُمَيدي في كتاب جَذْوة المُقْتَبِس والخطيب في تاريخ بغداد أن البخاري لما قِدم بغداد سمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وعَمَدوا إلى مائة حديث فَقَلبوا مُتُونَها وأسَانيدَها وأعْطَوْها لعشرة أنْفُس وأمَرُوهم اذا حضروا المجلس أن يُلْقُوا ذلك على البخاري وأخَذُوا المَوْعِد للمجلس وقد حضره كثير من أصحاب الحديث فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب إليه واحد من العشرة فسأله عن حديثٍ من تلك الاحاديث فقال لا أعرفه ثم سأله عن آخر فقال لا أعرفه أيضا وهكذا حتى انتهى الجميع فلمَّا عَلِم البخاري أنَّهُم فَرَغوا التَفَتَ إلى الاول منهم وقال له أما حديثك الاول فهو كذا وحديثك الثاني فهو كذا والثالث والرابع على الوَلَاء حتى أتَمّ العشرة وفَعَل بالآخَرِين كذلك ورَدَّ مُتُونَ الاحاديث كلّها إلى أسَانيدها إلى متونها فأقَرّ له الناس بالحِفْظ وأذْعَنُوا له بالفَضْل ورَوَىَ عنه أبُو عيسى التِرْمِذِي وُولد سنة 194 وتوفى سنة 256 .

هو أبو الحُسَين مُسْلِم بن الحَجّاج بن مسلم القُشَيْري النَيْسَابُورِي صاحب الصحيح أحَد الأئمة الحُفّاظ وأعْلام المُحَدّثين رَحَل إلى الحجاز والعراق والشام ومصر وسمع يحيى النيسابوري واحمد بن حنبل وغيرهما وقدِم بغداد غيرَ مَرَّة فروَى عنه أهلها وقال الحافظ أبو علي النيسابوري ما تحت أديم السماء أصحّ من كتاب مسلم في علْم الحديث وتُوُفّي مسلم المذكور سنة 261 بنيسابور وعُمْره خمس وخمسون سنة وقال ابن الصلاح انه ولد سنة 202 .

ابن الرّومي (221 - 284هـ)

هو أبو الحَسَن علىّ بن العباس الشاعر المشهور صاحب النظم العجيب والتوليد الغريب يغوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مَكامِنِها ويُبْرِزها في أحسن قالَب وكان اذا أخذ المعنى لا يزال يستقصي فيه حتى لا يَدَع فيه فَضْلة ولا بَقِيّة ومن كلامه وهو في مَرَض موته وكان الطبيب يتردّد إليه ويعالجه بالأدوية النافعة فزَعَم انه غلط في بعض العَقَاقِير قوله

غَلِط الطبيبُ عَلىّ غَلْطَةَ مُوردٍ　　　عَجَزت مَوَارِدُه عن الاِصْدَار

والنَاسُ يَلْحَوْنَ الطَبيب وإنّما　　　غَلَطُ الطَبِيب إصابَة الاَقْدَار

ابن دريد (223 - 321هـ)

هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دُرَيد بن عَتَاهِيَـة يَنْتَهـي نَـسَبُه إلى قحطـان كان امام عـصره في اللغـة والأدب والـشعر وقـال المـسعودي في كتـاب مـروج الذَهَب في حَقّه كـان ابـن دريـد ببغـداد ممّـن بَـرَع في زماننـا في الـشعر كـل مذهب وله تصانيف مشهورة منها كتاب الجَمْهَرَة وهو من الكتب المعتـبرة في اللغة وكتاب الاشتقاق وكتاب السَرْج واللِجَام إلى غير ذلك من الكتب الجليلـة وكانت ولادته بالبصرة سنة 223 ونـشأ بهـا وتعلّـم فيهـا وأخـذ عـن أبي حـاتم السِجِسْتاني والريَاشي وغيرهما ثم انتقل مع عمه الحُسَين إلى عُمَانَ وأقام اثنتى عشرة سنة ثم عاد إلى البصرة ثم خرج إلى نواحي فارس ثـم إلى بغـداد ومـات بها سنة 321 ورثاه أحد البرامكة وهو جَحْظَة بقوله :

فَقَـدْتُ بـابن دُرَيـد كـلَّ فائـدة ... لَـمّا غـدا ثالـثَ الأحجـار والـتُّرَب

وكُنْـت أَبْـكِي لِفَقْـد الجُـود مُنْفَـرِدا ... فـصِرْتُ أَبْـكِي لفَقْـد الجُـود والأَدَب

ابن عبد ربه (246 - 328هـ) (861 - 940م)

هو الفقيه العالم أبو عُمَر أحمد بن عبد رَبِّه وقد اشتهر بأدبه في الاندلس واتصلت شهرته إلى الشرق وقد زاد في شهرته وأبْقى ذِكْرَه الآن كتابُ العقْد الفريد المعروف في الادب وقد عّمر أكَثَر مِن اثنتين وثمانين سنة كما يؤخذ من قوله في قصيدته

وما لىَ لا أبْلَى لسَبْعِينَ حجَّةً ... وعَشْرٍ أتت من بعدها سَنَتَان

ولَسْتُ أبَالِي من تَبَارِيح عِلَّتي ... اذا كان عَقْلي باقِيًا ولِسَانِي

اسمُه أحْمد بن الحسين بن الحسن الكِنْـدي الكـوفي المتنبـي الـشاعر المـشهور وانما قيل له المتنبي لأنه ادّعَى النُبُوة في بداية السَّماوة وتبعِه خَلْـق كثِـير مـن بني كَلْب وغيرهم فخرج إليه لؤلؤ أمير حِمْص نائبُ الاخْشِيدِيّة فَأسَرَه وتَفَـرَّق أصْحَابه وحَبَسَه طوِيلا ثم اسْتَتَابه وأطْلَقه ولما أُطْلِقَ من السجن الْتَحق بالأمير سيف الدولة ثم فَارَقه ودخل مصر سنة 346 ومدح كافورا الاخشيدي ولَمّا لَمْ يُرْضِهِ هَجَاه وقَصدَ بلاد فارس ومدح عَضُد الدولة بن بُوَيهْ فأجزل صِـلَتَه ولَـمّا رجع من عنده عَرَض له فاتِك بن أبي جهل الاَسَدي في عدّة من أصحابه فقاتلـه فَقُتِل المتنبي وابنْهُ وقيل ان السَبب في قَتْله عضد الدولة لأنـه لَـمّا وفَـدَ عليـه وَوَصَلَه بثلاثة آلاف دينار وثلاثة أفـراس مُـسْرَجة مُحَـلّاة وثيـاب مُفْتَخَـرَة دَسّ عليه مَن سَأله أيْنَ هذا العطاء مِن عطاء سيف الدولة فقال له هذا أجْـزَل الا أنه عَطاءٌ متَكَلّف وسيفُ الدولة كان يُعْطِي طَبْعًا فَغَـضِب عـضد الدولـة مـن ذلك وجَهَّز عليه قَوْما مِن بَنِي ضَبَّة فَقَتَلُوه بعد أن قاتل قتالا شديدا وقد قـال له غلامه لَمّا انهزم أين قولك:

الخيل والليـل والبَيْـداء تَعْرفُنـي والطعـن والـضرب والقرطـاس والقلـم

فقال قَتَلْتَنِي قَتَلَك الـلـه ثم قاتل فَقُتِلَ وكان قَتْلُه سنة 354 ومولِدُه سنة 303 بالكُوفة.

أبو فراس (320 - 357 هـ)

هو الحَارث بن أبي العلاء ابن عمّ ناصر الدولة وسَيْف الدولة قال الثَّعَـالِبِي في وَصْفِه كان فَرْدَ دَهْره وشَمْس عَصْره أدَبا وفَضْلا وكَرمًا ومَجْـدا وبلاغـة وبراعـة وفُرُوسِيّة وشَجَاعة وشِعْرُه مشهور بَـيّن الحُـسْن والجـودة والـسُهُولة والجَزَالـة والعُذُوبة والفَخَامة والحَلَاوة ولم تجتمع هـذه الخِـلال قَبْلـه إلا في شِـعر عبْـد الـلـه بن المُعْتَزّ وأبو فِرَاس هذا يُعَدّ أشْعَرَ منه عنه أهل الصنعة ونَقَدَةِ الكلام وكان المتنبي يشهد له بالتقدم فلا يَنْبَرِي لمُبَارَاته ولا يَجْترئ على مُجَاراته وكان سيف الدولة يُعْجَب جِدّا بمَحاسنه ويُمَيِّزه بالاكرام على سائر قومه ويَسْتَصْحبه في غَزَوَاته ويَسْتَخْلِفه في أعْماله وقد أسَرَه الرُوم في بعض الوقـائع أقـام بـالاَسْر أربعَ سنين وله في الاَسْر أشعار كثيرة من أجْوَد ما قاله ومن شعْره حين حَـضَرَتْه الوفاة سنة 357 مُخَاطِبا ابْنَته

أبُنَيَّتـــــــي لا تَجْزَعـــــــي	كُـــــلّ الاَنَـــــام إلى ذَهَـــــاب
نُـــــوحِي عَـــــلَيَّ بِحَـــــسْرة	مِـــن خَلْــف سِـــترِك والحِجَـــاب
قُــــــولِي اذا كَلَّمْتِنـــــــي	فَعَيِيْـــــت عَـــــن رَدِّ الجَـــوَاب
زَيْـــنُ الـــشَبَاب أبُـــو فِـــرَا	سٍ لَـــمْ يُمَتَّـــعْ بالـــشَبَاب

وولد سنة 320

أبو الفرج الاصفهاني (284 - 356 هـ)

هو علي بن الحسين وجدّه السابع مَرْوان بن محمد آخِر خلفاء بني أمَيّـة ولُـدِ بأصْبِهَانَ ونَشَأ ببغداد وقد كان من أعيان الأُدَباء وأفراد المُـصَنّفِين وكـان عالما بأيام الناس والأنـساب والـسِيرَ يحفـظ مـن الـشعر والأغـاني والأخبـار والآثـار والأحاديث المُسْنَدة والنَّسَب شيأ كثيرا جدّا مع الالمام بعلوم أخرى مثل اللغـة والطب والنجوم وكان له من جَيّد الشعر شئ كثير وألّف كثـيرا مـن الكتـب في العلومالمختلفة وأشهر هذه الكتب كتاب الأغَانِي في واحد وعشرين مُجَلَّدا وقد كان أبو الفرج منقطعا إلى الوزير المُهَلَّبِي وله فيه مَدَائحُ وعاش فوق الـسبعين سنة وتوفى سنة 356

الخوارزمي (توفى سنة 383 هـ)

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارِزْمِيّ الشاعر المشهور وهو ابـن اخـت أبي جعفر محمد بن جَرِير الطَبَري صاحب التاريخ والخوارزمي المذكور كـان أحـد الشعراء المُجِيدين اماما في اللغة والانساب أقام بالـشام مـدة وسـكن بنـواحي حلب وكان يشار إليه في عصره وحكى أنه قصد حضرة الصاحب بن عَبّاد وهـو بأَرَّجَانَ فلما وصل إلى بابه قال لأحـد حُجَّابـه قـل للـصاحب عـلى البـاب أَحَـدُ الأدبَاء وهو يستأذن في الدخول فدخل الحاجب وأعلمه فقال الصاحب قل لـه قد ألزمتُ نفسي أن لا يدخل عليّ من الأدباء إلّا من يحفظ عشرين ألف بيت من شِعْر العرب فخرج إليه الحاجب وأعلمه بذلك فقال له أبو بكر ارجع إليه وقل له هذا القَدْر مِن شِعْر الرجال أم من شعر النساء فدخل الحاجب فأعـاد إليه ما قال فقال الصاحب هذا يكون أبا بكر الخوارزمي فأذن لـه في الـدخول فدخل فعرفه وانبسط له ولما رجع من الشام سكن نيـسابور ومـات بهـا سـنة 383

بديع الزمان (توفى سنة 398 هـ)

هو أبـو الفـضل أحمـد بـن الحـسين بـن يحيـى بـن سـعيد الهَمَـذَانِي الحـافظ المعروف ببديع الزمان صاحب الرسائل الرائقة والمقامات الفائقة وعلى منْوالِـه نَسَجَ الحَرِيريُّ مَقَامَاته واحْتَذَى حَذْوَه واقتفَى أثره واعترف في خطبته بفـضله وانه الذي أرشده إلى سلوك ذلك المنهج وهو أحد الفضلاء الفُـصَحاء روى عـن أبي الحسين احمد بن فارس صاحب المُجْمَل في اللغة وعـن غـيره ولـه الرسـائل البديعة وسَكَنَ هَرَاة من بلاد خُرَاسَان وكانت وفاته سنة 398 مسموما بمدينـة هراة وقيل انه مات من الـسكتة وعُجّـل دَفْنُـه فأفـاق في قـبره وسـمع صـوته بالليل وأنه نبش عنه فوجدوه وقد قبض على لحيته ومات من هول القبر.

ابن زيدون (سنة 394 – 463 هـ)

هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي الاندلسي القرطبي الشاعر المشهور قال ابن بسام صاحب الذخيرة في حقه كان أبو الوليد خاتمة شعراء بني مخزوم وكان من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة وبرع أدبه وجاد شعره وعلا شأنه وانطلق لسانه ثم انتقل عن قرطبة إلى المعتضد عباد صاحب اشبيلية فجعله من خواصه يجالسه في خلواته ويركن إلى اشاراته وكان معه في صورة وزير وله القصائد الطنانة منها قصيدته النونية المشهورة التي منها

نكاد حين تُناجيكم ضمائرنُا ... يَقضي علينا الأسى لولا تأسّينا

حالَت لِبُعْدِكُمُ أيامُنا فغدت ... سُودًا وكانت بكم بيضًا لَيالِينا

بالأمس كنّاوما يُخْشَى تفرُّقنا ... واليوم نَحْنُ وما يُرْجَى تَلاقينا

وكانت ولادته سنة 394 بِقُرْطُبَةَ وتوفى سنة 463 بِأشْبِيلِيَّة

هو أبو الحسن محمد بن الطاهر ينتهي نَسَبه إلى زَين العابدين ابـن الحسين رضى الـلـه عنهما وهو المعروف بالمُوسَوِيّ صاحب ديوان الشِعْر المشهور وقال الثعالبي في كتاب اليتيمة في ترجمته انه ابتـداء يقـول الـشعر بعـد أن جاوز عشر سنين بقليل وقال أيضا انه اليومَ أَبْدَعُ ابناءِ الزمان وأَنْجَب سادات العراق ولو قلتُ انه أَشْعَرُ قُرَيش لم أَبعُد عـن الـصِدْق ويـشهد بـذلك شعره وكَلَامُـه الذي يَجمَع إلي السَلَاسة مَتَانَةً وإلى السُهُولة رَصَانة وكـان والـده يتـولّى قـديما نقَابةَ الطالبّين ويَحْكُم فيهم أجمعين وينظر في المظالِم ثم رُدَّت هذه الاعمالُ إلى وَلَدِه الرَّضي المذكور وأبُـوه حـيٌّ ومـن غُـررِ شعْره مـا كتبـه إلى الامـام أبي العباس احمد بن المُقْتَدر

عَطْفًـا أمـيرَ المـؤمنين فاننـا ... في دَوحـة العَليـاء لا نَتَفَـرّق

مـا بَيْنَنـا يـومَ الفخـار تَفـاوُت ... أبَـدًا كِلانـا في المَعـالي مُعْـرِق

الا الخلَافـة مَيَّزَتْـك فـانِنَّني ... أنَـا عاطِـلٌ منهـا وأنْـتَ مُطَـوَّق

وديوانُ شعْره مَشْهُور وقد صَنَّفَ كِتَابًا في مَعَانِي القرآن الكَريم وصَنّف كتابا آخـر في مَجَازَاته وكانت ولادته سنة 359 ببغداد وتـوفى سـنة 406 ويقـال انـه جمـع كتـاب نهْج البلاغة من مختار كلام أمير المؤمنين على رضي الـلـه عنه وقال الامـام الـذَهَبي في ميزان الاعتدال مَن طَالَعَ كتاب نهج البلاغة جَزَم بأنّه مَكْذُوب على أمير المـؤمنين على رضى الـلـه تعالى عنه فان فيه السّبّ الـصريح والحَـطّ عـلى الـسَيّدَين أبي بكـر وعمر رضى الـلـه تعالى عنهما ا ه .

ابن سيناء (370 - 428هـ)

هو أبو علي الحسين بن عبد اللـه بن سيناء البخاري المشهور بالشيخ الرئيس كان من أشهر الحكماء والاطباء فهو أبُقراطُ الطّب وأرِسطو الحكْمة عند العرب والافرنج وقد جَمَع في فسيح صدره كتابات أرسطو وأوعى في خزانة معارفه حِكَمه وقواعِدَه وقد نَقَل الافرنج عنه أكثر ما عندهم من كتابات جَالِينُوس وابقراط ونشروا أشهر تآليفه في اللغة العربية وترجموا أكثرها إلى لغاتهم وكان هو المُعَوّل عليه شرقا وغربا في قواعد الحكمة والطب وقد اعترف له الجميع بالفضل فافتخر به الشرق وأخذ عنه ومدحه الغرب وانتفع بتصانيفه وكان والده من اهل بَلْح وانتقل إلى بُخَارَى وكان من العُمّال الكُفَاةِ واشتغل ابن سيناء بالعلوم والفنون ثم توجه نحوهم الحكيم أبو عبد اللـه النّاتلي فأنزله عنده وابتدأ يقرأ عليه كتاب ايساغوجي وأحكم عليه علم المنطق حتى بَرَع ويقال انه فاقه كثيرا حتى أوضح له رموزا وفَهمّه اشكالات ثم اشتغل بعد ذلك بالعلوم الطبيعية والالهية وفتح اللـه عليه أبواب العلوم ثم رغب بعد ذلك في علم الطِّب فتعلم حتى فاق فيه الاوائل والأواخر وأصبح عديم القرين تَرِد إليه الناس لتتعلم منه أنواعه والمعالجات المقتبسة من التجربة ويقال ان سِنُّه اذ ذاك لم يزد عن ست عشرة سنة لانه لم يشتغل بغير المطالعة وكان اذا أشكلت عليه مسألة توضأ وقصد المسجد وصلّى ودعا اللـه أن يُسَهّلها عليه وقد عالج الاميرَ نُوحَ بن نصر السّامَاني صاحب خُرَاسان من مَرَضِه

حين استحضره لَمّا سَمِع بحكمته حتى برِئ فاتصل بـه وقـرُب منـه ودخـل إلى دار كتبه وكانت عديمة المثل فيها من كل فن فظفِر بما حـصل عليـه منهـا مـن ثمرات العلوم واتفق بعد ذلك أن حُرِقت خزانة هـذه الكتـب (ويقـال ان أبـا علي هو السبب في احراقها لينفرد بما حَصّله منها) ولما اضطربت أمور الدولـة السامانية خرج أبو علي من بخاري إلى قَصَبَة خوارزم ولم يزل ينتقـل في الـبلاد إلى أن ذهب إلى جُرْجَان وصنَّف بها الكتاب الاوسط ولهذا يقـال لـه الاوسـط الجرجاني ثم بعد ذلك ذهـب إلى هَمَـذَان وتقلّـد الـوزارة لـشمس الدولـة ثـم ثارت العسكر عليه فَأغارُوا عـلى داره ونَهَبُوهـا وقَبَـضوا عليـه وسـألوا شـمس الدولة قَتْلَه فامتنع ثم أُطْلِـق فَتَـوَارَى ولَـمّا مـرِض شـمس الدولـة وتـولى تـاج الدولة ولم يستوزره توجه إلى إصْبِهَانَ وكان بها أبو جعفر فأحسن إليه وكانـت ولادته سنة 370 وتوفى سنة 428 بهَمَذَان بعد أن اغتـسل وتـاب وتـصدق بمـا معه على الفقراء ورَدّ المَظَالِم عـلى مـن عَرَفـه وأعْتَـقَ مماليكـه وجعـل يخـتم القرآن الكريم كل ثلاثة أيام مَرّة.

هو احمد بن عبد اللـه بـن سـليمان التَنُـوخِي المَعّـرِي اللغـوي الـشاعر كـان متضلعا من فنون الأدب قرأ النحو واللغة على أبيه بالَمَعرّة وعلى محمـد ابـن عبد اللـه بحَلَب وله التصانيف الكثيرة المـشهورة والرسـائل المـأثورة ولـه مـن النظم لزوم مالا يلزم وله سَقْط الزَنْد وشرَحَه بنفسه وسَمّاه ضوء الـسقط ولـه غير ذلك وكان علّامة عَصْره وأخَذَ عنه أبو القاسم عـلي بـن المُحْـسِن التَنُـوخِي والخطيب أبو زكرياء التَبْرِيزي وغيرهما وكانت ولادته سنة 363 بالَمَرّة وعَمِـىَ سنة 367 من الجُدَرِيّ وقد اختصر ديوانَ أبي تَمّـام والبُحْـتُرِي والمتنبـي وتكلـم على غريب أشعارهم ومعانيها ومآخذهم من غيرهم وما أُخِذ عليهم وبعد أن لزم منزله سنة 401 سار إليه الطلبة من الآفاق وكاتَبَه العلماء والوزراء وأهـل الاقدار ومكث مدة خمس وأربعين سنة لا يأكل اللحم تَزَهُّـدا لانـه كـان يَعُـدّ ذَبْح الحيوان تعذيبا وعمل الشِعر وهو ابن احدى عشرة سـنة ومـن كلامـه في اللزوم

لا تطلـــبنّ بآلـــهٍ لَـــكَ رُتْبَـــة ... قَلَـمُ البَلِيـغ بغـير جَـدّ مِغْـزَلُ
سَـكَنَ الـسِمَا كَـانِ الـسماءَ كِلَاهُـمَا ... هـــذا لـــه رُمْـــحٌ وهـــذا أعْـــزَلُ

وتوفى سنة 449 بالمعرّة وأوصى أن يُكْتَب على قبره

هذا جَنَاه أبي عَلَيّ وما جَنَيْتُ عَلَى أحَد

حجة الاسلام الغزالي (450 - 505 هـ)

هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن احمد الغزالي المُلَقّب حُجَّة الاسلام زَين الدين الطُوسِي الفقيه الشافعي ولم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله اشتغل في مبدأ أمره بطُوس ثم قَدِم نَيْسَابُور وجدّ في الاشتغال على امام الحَرَمين أبي المعالي حتى تَخرَّج في مدة قريبة وصار من الأعيان المشار إليهم في زمن أستاذه ولم يزل ملازما له إلى أن توفي فخرج من نيسابور إلى العسكر ولقى الوزيرَ نِظَامَ المُلْك فأكرمه وعظّمه واقبل عليه وكان بحضرة الوزير جماعة من الافاضل فجرى بينهم الجدال والمناظرة في عدة مجالس وظهر عليهم واشتهر اسمُه وسارت بذكره الركبان ثم فُوِّض إليه التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد وأُعْجِبَ به أهلُ العراق وارْتَفَعَت عندهم منزلَتُه ثم ترك جميع ما كان عليه وسلك طريق الزُهْد والانقطاع وقَصَد الحَجّ ولَمّا رجع توجه إلى الشام فأقام بمدينة دِمَشْق ثم انتقل منها إلى بيت المقدس واجتهد في العبادة ثم قصد مصر وأقام بالاِسكَنْدَرِية مدة ثم عاد إلى وطنه بطوس واشتغل وصنّف الكتب التي أشْهَرُها احياء علوم الدين وكتاب الوسيط والبسيط والوجيز والخلاصة في الفقه والمقصد الاسني في شرح أسماء الله الحسنى ومشكاة الأنوار والمُنْقِذِ من الضلال إلى غير ذلك من الكتب النفيسة ثم أُلْزِم بالعَوْد إلى نَيْسَابُور والتدريس بها بالمدرسة النظامية ثم ترك ذلك وعاد إلى بيته في وطنه ووزّع أوقاته على أعمال الخير والعبادة وكانت ولادته سنة 450 هجرية وتوفي سنة **505**

الطغرائي (توفي سنة 513 هـ)

هـو العَمِيـد أبـو اسـماعيل الحـسين بـن عـلي الملقـب مُؤَيّـد الـدين المـشهور بالطُغْرَائِي كان غَزِيرَ الفضل لطيف الطبع فاق أهل عصره بصنعة النظم والنثر وقال أبو المعالي في كتابه زينة الدهر ان الطغـرائي كـان يُنْعَـت بالأُسْـتاذ وكـان وزير السلطان مسعود بن محمد السَلْجُوقي بالمَوْصـل ولَـمّا جَـرَى بينـه وبـين أخيه السلطان محمود المَصَافّ بـالقرب مـن هَمَـذَان وكانـت النـصرة لمحمـود وُشِي به فَقُتِل وكانت هذه الواقعة سنة 513 وقيل سنة أربع عشرة وقد جاوز ستين سنة والطغرائي نسبة لمن يكتب الطُغْرَى وهى الطُرَّة التي تُكتَب في أعلى الكُتُب فوق البسملة بالقلم الغليظ وهى لفظـة أعجميـة وللطغـرائي المـذكور ديوان شعر جيّد ومن محاسن شـعره قـصيدته المعروفـة بلامِيـة العجـم التـي اولها

(اصالة الرأي صانَتْني عن الخطل الخ)

الحريري (446 - 516 هـ)

هو أبو محمد القاسم الحريري البصري صاحب المقامات أحَدُ أئمة عصره ورُزِق الحُظْوة التامَّة في عمل المقامات واشتملت على شيء كثير[3] من كلام العرب من لغاتها وأمْثالها ورموز أسرار كلامها وبها يُسْتَدَلّ على فضل هذا الرجل وعلى كثرة اطلاعه وغَزَارة مادّته وسَبَبُ وضعِه لها ما حكاه ولَدَهُ أبو القاسم قال كان أبِي جالسا في مسجده ببَنِي حَرَامٍ فدخل شيخ ذُو طِمْرَيْنِ عليه أُهْبَة السفَرَثَّ الحال فصيح الكلام حسن العبارة فسألته الجماعة من أين الشيخ فقال من سَرُوج فاستخبره عن كُنْيَته فقال أبُو زَيد فعَمِل أبِي أبِي المقامة المعروفة بالحَرَامِيّة وعزاها إلى أبي زيد المذكور واشتهرت فبلغ خَبَرُها الوزيرَ شرف الدين وزير الامام المسترشد بالله فلما وقف عليها أعجبته وأشار على والدي أن يَضُمّ إليها غيرها فأتَمّها خمسين وكانت ولادة الحريري سنة 446 وتوفي سنة 516 بالبصرة في سِكّة بني حَرَام.

وقد حَاوَل كثير من الافرنج تَرْجمة المَقَامَات إلى لُغَتهم ولكن مِثل هذا الكتاب لا يُتَرْجم وللحريري غير المقامات كتب كثيرة منها دُرّة الغَوّاص ومُلْحَة الاعراب في النحو وديوان شعر ورسائل.

[3] (3) ادبيات اللغة العربية (الهيئة العامة لقصور الثقافة)

ابن رشد (514 - 595 هـ)

هو ابو الوليد محمد بن أحمد بن رشد أشهر فلاسفة العرب ولد في قرطبة سنة 514 هجرية وكان أبوه متوليا فيها الفتوى أخّ عن أشهر الفلاسفة في عصره وتخرج في الفقه والطب والفلسفة وقَرَّ به المهدي يوسف لثقته به وحذقه ورقّاه أسمى المراتب فخَلَفه بها في فتوى الاندلس ثم تولى الفُتْيا في مَرَّاكُش وأقام فيها مدة وسكن إشْبِيلِيّة وكان له نفس الرعَاية والاعتبار في أوائل عهد المنصور خَلَف المهدي يوسف الا أنه وُشِيَ به حَسَدًا وعُدْوَانا ففسد أمْرُه عند المنصور فَعَزَلَه عن رُتْبته ونفاه عِدة سنين ثم دُعِي إلى مَرَّاكُش فشُمِل بالعطايا والمكارم وتوفي بها بعد أمَد وَجِيز سنة 595 هجرية.

وقد ذهب ابن رشد إلى أن أرِسطو هو أعظم الفلاسفة وترجم مؤلّفاته وَشَرَحَها بضَبْطٍ وَتَرَوٍّ وله شرح أُرْجُوزةٍ في الطّبّ للشيخ الرئيس ابن سيناء وله كتاب فصل المقال فيما بين الشرعية والطبيعة من الاتصال ومن أشهر مؤلفاته الكليات في الطب وله غير ذلك كثير وأصل مؤلفاته في العربية نادر الوجود ولكن الاوروبيين اهتمّوا بترجمتها إلى لغاتهم فمن ذلك شرح أقوال آرسْطُو مع الرّد على الغزالي فانه تُرْجم إلى اللاتينية وحسب أحد عشر مجلدا وطبع بالبندقية سنة 1560 ميلادية وكذلك كلياته ترجمت وطبعت بالبندقية أيضا وقد اهتم الاوربيون بفلسفة ابن رشد ومذهبه ذكر فيه سيرته ومؤلفاته وقال انه كان أعظم فلاسفة القرون المتوسطة التابعين لأرسطو والناهجين سبيل الحرية في الافكار والاقوال وقد طبع هذا الكتاب بباريس سنة 1852.

ابن جبير (540 - 614 هـ)

هو ابو الحسن محمد بن احمد بن جُبَيْر الكناني ولد ببَلَنْسِيَة في سنة 540 وقد برع في العلم والشعر ورحل إلى المشرق أكثر من مرّة فخرج من غَرْنَاطَةَ في رِحلته الاولى سنة 578 ووصل إلى الاسكندرية بعد ثلاثين يوما وحج ورحل إلى الشام والعراق والجزيرة وغيرها ثم عاد إلى الاندلس سنة 581 ثم سافر بعد ذلك إلى المشرق وتوفى بالاسكندرية سنة 614 وهو ممن أثْرَوْا بالادب ثم تزهد وأعرض عن الدنيا وكان من أهل المروآت مؤنسا للغُرَباء عاشقا لقضاء حوائج الناس

ابن الفارض (576 - 632 هـ)

هو أبو حفص وأبو القاسم عمر بن أبي الحسن المعروف بابن الفارض المنعوت بالشرف له ديوان شعر لطيف وأسلوبه فيه رائق ظريف ينحو منحى طريقة الصوفية ومن كلامه

لَم أخْلُ مِن حَسَد عليك فلا تُضِع سَهَرِي بتشيِيع الخَيَال المُرْجِفِ

واسْألْ نُجُوم الليل هل زار الكَرَى جَفْني وكيف يَزُور من لم يَعْرِفِ

وكان رحمه الله صالحا كثير الخير حسن الصحبة محمود العشيرة جاور بمكة المكرمة زمانا وكانت ولادته سنة 576 بالقاهرة وتوفي بها سنة 632 ودُفن بسَفْح المُقَطَّم .

ابن الاثير

يطلق هذا الاسم على كل واحد من اخوة ثلاثة وهم العالم المحدّث ابو السعادات مَجْد الدين المبارك (544 - 606 هـ) والمؤرّخ المدقق أبو الحسن عِزّ الدين علي (555 - 630هـ) والوزير الأديب ضياء الدين أبو الفتح نصر الله (000 - 637هـ) وهم أبناء أبي الكرم محمد ابن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشَيْبَاني وُلِدُوا جميعا بجزيرة

ابن عُمَر بالجزيرة ثـم رحلـوا مـع أبـيهم إلى المَوْصِـل واشـتغلوا بهـا وحَـصّلوا العلوم وكانوا جميعا فقهاء مُحَدّثين أدَبَاء مُؤَرّخين الا أن كل واحد مـنهم تفـرّد بعِلْم وألّف مُؤَلّفَات لا تزال طائرة الصِيت إلى يومنا هذا.

فَتَفَرّد المبارك بالحديث وألّف فيه كتاب النهاية في غريب الحـديث وقـد كـان اعتراه مرض كفّ يديـه ورجليـه فمنعـه مـن الكتابـة وأقـام في داره وفي هـذه الحالة صنف كتبه وكان له جماعة يعينونه عليها وتفـرّد ضـياء الـدين بـالأدب ومن أشهر كتبه فيه المَثَل الـسائر في أدَب الكاتـب والـشاعر وقـد كـان اتـصل بخدمة صلاح الدين الأيُّوبي ثم انتقل إلى ولده الملك الأفضل فاستوزره وكانـت وفاته سنة 637

ابن الحاجب (570 - 646هـ)

هو أبو عَمْرو عثمان بن عُمَر الفقيه المالكي المعروف بابن الحاجب الملقب جمال الدين كان والده حاجبا للامير عز الدين وكان كُرْدِيًّا واشتغل ولده أبو عمرو في صغره بالقرآن الكريم ثم بالفقه على مذهب الامام مالك ثم بالعربية والقراآت وبَرِعَ في علومه وأتْقَنَها غاية الاتقان وكان ذلك بالقاهرة ثم انتقل إلى دِمَشْقَ ودرس بجامعها وأكَبَّ الخلق على الاشتغال عليه وتَبحّر في الفنون وكان الأغلب عليه عِلْمَ العربية صَنَّف مختصرا في مَذْهَبه ومُقَدِّمَةً وجيزة في النحو وسَمّاها الكافية وأخرى مِثْلَها في التصْرِيف وسَمَّاها الشافية وشَرَحَ المُقَدَّمَتَين وصنّف في أصُول الفقه وخالَف النُّحاةَ في مواضِعَ وأوْرَد عليهم اشْكالات والزامات تَبْعُد الاجابة عنها وكان مِن أحْسَن خَلْق الله ذِهْنا ثم عاد إلى القاهرة وأقام بها والناس ملازمون للاشتغال عليه ثم انتقل إلى الاسكَنْدَرية للاقامة بها فلم تَطُل مدّته هناك وتُوُفِّيَ بها سنة 646 وولد سنة 570 باسنا

هو أبو الفضل زُهَير بن محمد بن علي الملقب بهاء الدين الكاتب كان من فضلاء عصره وأحسنهم نظما ونثرا وخَطّا ومن أكبرهم مُرُوءة وكان قد اتصل بخدمة السلطان الملك الصالح نجم الدين أبي الفتح أيّوب ابن الملك الكامل بالديار المصرية وتوجّه في خدمته إلى البلاد الشرقية وأقام بها إلى أن مَلَك المَلِكُ الصالح مدينة دِمَشْقَ فانتقل إليها في خدمته وأقام كذلك إلى أن جرت الواقعة المشهورة على الملك الصالح وخرجت عنه دمشق وخانه عسكره وقَبضَ عليه ابْن عَمّه الملك الناصر داود صاحب الكَرَكِ واعْتَقَله بقَلْعة الكَرَكِ فأقام بَهاءُ الدِين زهير المذكور بنابلس محافظة لصاحبه ولم يتصل بغيره ولم يَزَل على ذلك حتى خرج الملك الصالح وملك الديار المصرية فَقَدِم إليها في خِدمته لما كان عليه من مكارم الاخلاق ودماثة السجايا ولذلك كان متمكنا من صاحبه كبير القدر عنده لا يَطّلع على سِرّه الخَفِيّ غيره ومن محاسن شعره مُلْغِزا في القُفْل قوله

وأسْوَد عَارٍ أنْحَلَ البَرْدُ جِسْمَه ... وما زال من أوصافه الحِرْص والمَنْع

وأعْجَب شَيءكَوْنُه الدهْرَ حَارِسًا ... وليس له عَيْنٌ وليس له سَمْع

أبو الفداء (672 - 732 هـ)

هو السلطان الامام والملك المُؤيَّد اسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهِنْشَاْه بن أيّوب صاحب حَمَاة وكانت ولادته بدمشق لان أهله كانوا خرجوا من حماة خوفا من التَّتر وكان أبو الفداء بَطَلا شجاعا خدم الملك الناصر محمد بن قَلَاوُون لَمّا كان في الكَرَك وسَاعَدَه في محاربة التَتَر فوَعَده بحَمَاة التي كانت اقْطاعا لأُسْرَتِّهم ووَفَى له بذلك وجعله سلطانا عليها يَفْعَل فيها ما يَشَاء من اقْطاع وغيره وليس لأحد من الدولة بمصر معه حُكْم ولَقَّبَه بالسلطان المؤيد.

ويقال أن أجْوَد ما كان يَعْرِفه أبو الفِداء عِلْم الهيئة لأنه أتْقَنَه وان كان قد شارك في سائر العلوم مشاركة جيدة وله مُؤلّفات كثِيرة في علوم مُخْتَلِفة أهَمّها التاريخ المُتَضَمّن التاريخ القديم وتاريخ الاسلام إلى سنة 1328 ميلادية والجعرافية المتضمنة على الخصوص وصف مصر وسورية وبلاد العرب وفارس وهى أحسن الجغرافيات الشرقية وقد طبعت هى وتاريخه مرارا باللغة العربية واللغات الافرنجية بعد ترجمتها ومات في الستين من عمره سنة 732

ابن خلدون (732 - 808هـ)

هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد وأصْل بَيْتِه مِن اشبيلِيّة من أعمال الاَنْدَلُس انتقلوا إلى تونس في أواسط القَرْن السابع للهجرة عند الجلاء ونسبهم في حضرموت من عرب اليمن وأوّل مَن رَحَل إلى الاَنْدَلُس منهم هو خَلْدُون الجَدّ العاشر للمترجم.

ووُلِدَ ابن خلدون بِتُونِسَ سنة 732 للهجرة ورُبي في حجر والده وقرأ القرآن الكريم بالقراآت السبع ثم أخذ في دراسة الفقه والأدب فبرع فيهما وكان كاتبا بليغا وشاعرا نابغا تَنَقّل كثيرا في بلاد المغرب والاندس وتَوَلّى الكتابة لكثير من الملوك ورأي من النعيم والبَأْسَاء ما يراه أهل النباهة والشرف والصدق في كل زمان من الملوك الذين تَرُوج عندها الوشَايَات ثم حضر إلى مصر في سنة 784 وأخَذَ يُعَلّم بالجامع الازهر ثم اتصل بالسلطان برقوق فأكرمه وأحسن مثواه وفي سنة 786 ولاه القضاء بمصر فَعَدَل بين الناس ولم تُؤثّر فيه وِشَايةُ الوَاشِين وسِعَاية السَاعِين ولم يزل بالقاهرة إلى أن مات سنة 806 وقيل سنة 808 وقد أبْقَى شُهْرَتَه إلى الآن تاريخُه المشهور ومُقَدِّمته التي تَدُلّ على ان الرَجُل كان أكبر من نظروا في الاجتماع في عَصْره

روى ابن القُطَامِي عن الكَلْبي قال قدم النعمان بن المنذرعلى كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين فذكروا من ملوكهم وبلادهم فافتخر النعمان بالعرب وفضّلهم على جميع الامم لا يَسْتَثْنِي فارسَ ولا غيرها فقال كسرى وأخَذَتْه عزّة المُلْك يا نعمان لقد فَكَّرْتُ في أمْر العرب وغيرهم من الامم ونظرت في حالة من يَقْدَم عليَّ من وفُود الأُمَم فوجدت للرُّوم حظّا في اجتماع ألفتِها وعِظم سُلْطانها وكثرة مدائنها ووَثِيق بُنْيَانِها وانّ لها دِيْنًا يُبَيِّن حَلاَلَها وحَرَامها ويرد سَفِيهَهَا ويُقِيم جاهَهَا ورأيت الهند نحوا من ذلك في حِكْمَتِها وطبّها مع كثرة أنْهار بلادها وثِمارها وعجيب صنَاعتها وطِيب أشجارها ودقيق حِسَابها وكثرة عَدَدها وكذلك الصين في اجتماعها وكثرة صناعات أيديها وفُرُوسيتها وهِمّتها في آلة الحرب وصناعة الحديد وان لها مُلْكًا يَجْمَعُها والتُّرك والخَزَر على ما بهم من سوء الحال في المَعَاشِ وقِلَّة الريف والثمار والحُصُون وما هو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس لَهم مُلوك تَضُمّ قَوَاصِيَهم وتُدَبِّر أمْرهم ولم أرَ للعرب شيأ من خصال الخَيْر في أمْرِ دِين ولا دنيا ولا حزم ولا قوة ومع ان مما يَدُلّ على مَهَانتها وذُلّها وصِغَر هِمّتها مَحِلَّتهم التي هم بها مع الوحوش النافرة والطير الحائرة يقتلون أولادَهم من الفاقة ويأكل بعضهم بعضا من الحاجة قد خرجوا من مَطَاعِم الدنيا ومَلَابسها ومَشَارِبها ولَهْوِها ولَذّاتها فأفْضَل طعام ظَفِر به نَاعِمُهم لحومُ الإبِل التي يَعَافُها كثير من السّباع لِثِقَلها وسوء طعمها وخوف

دائها وان قرى أحَدُهم ضَيفا عَدّها مَكْرُمة وان أُطْعم أكْلة عَدّها غَنِيمة تَنْطِق بذلك أشعارهم وتفتخر بذلك رجالهم ما خلا هذه التَنُوخِية التي أسّس جّدّي اجتّماعَها وشَدّ مَمْلكتها ومنَعها مِن عَدُوّها فَجَرى لها ذلك إلى يومنا هذا وان لها مع ذلك آثارا ولَبُوسا وقُرًى وحُصُونا وأمورا تُشْبه بعض أمور الناس يعني اليَمَن ثم لا أرى كم تَسْتَكِنون على ما بكم من الذِّلّة والقلّةِ والفَاقة والبُؤْس حتى تفتخروا وتريدوا أن تنزلوا فوق مراتب الناس قال النعمان أصلح الله الملك حَقّ لِأُمَّةٍ المَلِك مِنْهَا أنْ يَسْمُو فَضْلها ويَعْظُم خَطْبها ويَعْلُو دَرَجتها إلّا أنّ عندي جَوَابا في كل ما نطق به الملك في غَير رَدٍّ عليه ولا تكذيب له فان أمَّنَنِي من غضبه نَطَقْتُ به قال كسرى قُلْ فأنْتَ آمِن قال النعمان أمّا امُّتَكُ أيها الملك فليست تُنَازَع في الفضل لموضعها الذي هى به من عقولها وأحلامها وبَسْطه محلها وبُحْبوحة عِزّها وما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك وأمّا الامُمَمُ التي ذَكَرْتَ فأيّ أمة تَقْرُنُها بالعَرَب إلا فَضَلَتْها قالكسرى بماذا قال النعمان بِعِزّها ومَنَعَتِها وحُسْن وُجُوهها وبأسها وسخائها وحِكْمة ألْسِنَتِها وشِدّة عقولها وأنَفَتِها ووَفَائها.

فأما عِزّها ومَنَعَتُها فانها لم تَزَل مُجَاوِرَة لآبائك الذين دوّخوا البلاد ووَطّدوا المُلْك وقادوا الجُنْد لم يَطْمَع فيهم طامع ولم يَنَلْهُم نائل حُصُونُهم ظهور خَيْلِهم ومِهَادُهم الارْض وسُقُوفُهم السماء وجُنّتُهم السُّيوف وعُدّتُهم الصَبْر اذ غَيْرهُا من الأُمَم انمّا عِزُّها الحِجَارة والطين وجَزَائِر البُحُور.

وأما حُسْن وُجُوهِها وألْوَانِها فقد يُعْرَف فَضْلُهم في ذلك على غيرهم من الهند المُنْحَرفة والصِين المُنْحفَة والتُّرْك المُشَوَّهة والرُّوم المُقَشَّرة وأما أنْسَابُها وأحْسابُها فليست أمّة من الامم الا وقد جهلت آباءها وأصُولَها وكثيرا مِن أوّلها حتى انّ أحَدَهم ليُسْئل عمن وراء أبيهِ دُنْيَا فلا يَنْسُبه ولا يَعْرِفه وليس أحد من العرب الا يُسَمِّي آباءه أبًا فأباً حَاطُوا بذلك أحْسَابَهم وحَفِظوا به أنْسَابَهم فلا يَدْخل رجل في غير قومه ولا يَنْتَسِب إلى غير نَسَبه ولا يُدْعى إلى غير أبيه وأما سخاؤها فانّ أدْنَاهُم رَجُلا الذي تكون عنده البَكْرة والنَّاب عليها بَلَاغه في حَمُوله وشبَعه ورِيّه فَيَطْرُقُهُ الطارِق الذي يَكْتَفي بالفَلْذة ويَجْتَزِي بالشَرْبة فَيَعْقِرها له ويَرْضَى أن يَخْرُج عن دُنْياه كُلّها فيما يُكْسِبه حُسْن الأحْدُوثة وطَيّبَ الذِكْر وأما حِكْمة ألْسِنَتهم فان الله تعالى أعطاهم في أشْعارهم ورَوْنَق كَلَامِهم وحُسْنِه ووَزْنِهِ وقَوَافِيه مع معرفتهم بالاشياء وضربِهم للأَمْثال وابلاغهم في الصفات ما ليس لشئ من ألسنة الأجناس ثم خَيْلُهم أفْضَل الخَيْل ونِساؤهم أعَفّ النساء ولِبَاسُهم أفضل اللباس ومَعَادِنُهُم الذَهَب والفضّة وحجارة جبالهم الجَزْعُ ومَطَايَاهم التي لا يُبْلَغ على مِثْلِها سَفَرٌ ولا يُقْطَع بمثلها بَلَدٌ قَفْرٌ.

وأما دِينُها وشَريعتها فانهم مُتَمَسّكون به حتى يبلغ أحَدُهم من نُسْكِه بِدِينه انّلهم أشْهُرًا حُرُما وبَلَدًا مُحَرَّما وبَيْتًا مَحْجُوجا يَنْسُكون فيه مَنَاسِكَهُم ويَذْبَحُون فيه ذَبَا ئحهم فَيَلْقى الرَجُل قاتلَ أبيه أو أخِيه وهو قادر على أخْذ ثَارِه وإدْرَاك رَغْمه منه فَيَحْجُزُه كَرَمُه ويَمْنَعه دِينُه عن تَنَاوُلِه بِأذى وأما وفَاؤها فان أحَدَهم يلحَظ اللَحظة ويُومِئ الأيِمَاءَة فهى وَلْثٌ (أي

عَهْد) وعُقْدَة لايَحُلُّها إلا خُرُوج نَفْسه وانّ أحَدَهم يَرْفَع عُودًا من الأرض فيكون رَهْنا بدَيْنه فلا يَغْلَق رَهْنُه ولا تُخْفر ذِمّته وانّ أحَدَهم ليَبْلُغه أنّ رَجَلا اسْتَجَار به وعَسَى أن يَكون نائِيًا عن دَارِه فَيُصَاب فلا يَرْضَى حتى يُفْنِي تلك القَبيلة التي أصابته أو تَفْني قبيلَته لِما أُخْفِر مِن جِوَاره وانه ليَلْجَأ إليهم المُجْرِم المُحْدث من غير معرفة ولا قَرَابة فتكون أنْفُسهم دون نَفْسه وأمْوالُهم دون مَالِه.

وأما قولك أيها الملك يَئدون أوْلَادهم فانما يَفْعَله منهم بالِانَاث أنَفَةً من الْعَار وغَيْرَة من الأزْواج وأما قولك انّ أفْضَل طَعَامِهِم لُحُوم الابِل على ما وَصَفْت منها فما تركوا ما دُونَها إلّا احْتِقارًا له فعَمَدُوا إلى أجَلّها وأفْضَلها فكانت مَرَاكِبَهم وطَعامَهم مع أنّها أكْثَر البَهَائم شُحُوما وأطْيَبُها لُحُوما وأرَقّها ألْبانا وأقَلُّها غائِلة وأحْلَاها مَضْغة وانه لا شئ يُعَالَج به لَحْمُها إلّا اسْتبان فضْلُها عليه.

وأما تَحارُبُهم وأكْل بعضهم بعضا وتَرْكُهم الانقِياد لِرَجل يَسُوسُهم ويَجْمَعُهم فانما يَفْعَل ذلك من يَفْعَله من الُامَم اذا أنِسَت من نَفْسها ضَعْفا وتَخَوّفت نُهُوض عَدُوّها إليها بالزَحْف وانّه انما يكون في المملكة العظيمة أهلُ بَيْتٍ واحدٍ يُعْرَف فَضْلُهم على سائر غيرهم فَيُلْقُون إليهم أمُورَهم ويَنْقَادُون لهم بأزِمتِهم.

وأما العرب فان ذلك كَثِيرٌ فيهم حتى لقد حَاوَلُوا أن يَكُونوا مُلُوكا أجمعين مع أنفَتِهم من أدَاء الخَرَاج والوَطْثِ (أي الضَرْب الشديد بالرِجْل على الارض) بالعَسْف. وأما اليمن التي وصفها الملك فانما أتَى جَدّ المَلِك

إليها الذي أتاه عند غلبة الحبش له على مُلْكٍ مُتّسق وأمْرٍ مُجْتَمِع فَأتَاه مَسْلُوبا طَرِيدا مُسْتَصْرِخا ولولا ما وُترِ به يلِيه من العرب لَمالَ إلى مَجَال ولوَجَد مَن يُجيد الطِعان ويَغْضَب للأحْرار من غَلَبة العَبيد الأشْرار. قال فعجِب كسرى لِمَا أجابه النعمان به وقال إنك لأهْلٌ لِمَوْضِعِك من الرَآسة في أهْل إقْليمك ثم كَسَاه من كسوته وسَرّحه إلى موضعه من الحِيرة. فلما قَدِم النعمان الحِيرة وفي نفسه ما فيها مما سمِع من كسرى مِن تَنَقّص العَرَب وتَهْجين أمْرِهم بَعَثَ إلى أكْثم بن صَيْفِي وحاجِب بن زُرَارة التّمِيميَّين وإلى الحارث بن ظالم وقيس بن مسعود البَكْرِيَّين وإلى خالد بن جعفر وعلقمة بن عُلَاثَة وعامر بن الطُفَيل العامريّيْن وإلى عَمْرو ابن الشَرِيد السُلَمِي وعَمْرو بن مَعْدِ يكَرِبَ الزبيدي والحارث بن ظالم المُرِّيّ فلما قَدِموا عليه في الخَوَرْنَق قال لهم قد عرفتم هذه الاعاجم وقُرْب جِوَار العرب منها وقد سمعتُ من كسرى مقالات تَخَوّفْت أن يكون لها غَوْر أو يكون انّما أظْهَرَها لِامْر أراد أن يتخذ به العرب خَوَلا كبعض طَمَاطِمَتِه في تَأدِيَتهم الخَرَاج إليه كما يفعل بملوك الأُمَم الذين حَوْلَه فاقتصّ عليهم مقالات كسرى وما ردّ عليه فقالوا ايُّها المَلِك وفّقك الله ماأحسن ما رَدَدْتَ وأبلغ ما حَججْتَه به فَمُرْنا بأمْرك وادْعُنا إلى ما شئت قال انما أنَا رَجُل منكم وانما مَلَكْتُ وعَزَزْتُ بمَكانكم وما يُتَخَوف من ناحيتكم وليس شئ أحبّ إليّ مما سَدّد الله به أمْرَكم وأصلح به شأنكم وأدام به عِزّكم والرأي أن تَسِيروا بجماعتكم أيُّها الرَهْط وتنطلِقوا إلى كسرى فاذا دخلتم نَطَق كل رجل منكم بما حضره ليَعلم أن العرب على غير ما ظَنّ أو حَدّثَتْه نَفْسُه ولا يَنْطِق رجل منكم بما يُغْضِبه فانه ملك عظيم السلطان

كثير الاعوان مُـتْرَف مُعْجـب بنَفـسه ولا تَنْخَزِلُـوا لـه انْخِـزَال الخاضـع الـذليل وَلْيَكُنْ أمْرٌ بين ذلك تظهر به دَمَاثَةُ حُلُومِكم وفضل منزلتكم وعظيم أخطاركم وليكن أول من يبدأ منكم بالكلام أكْثم بن صَيفيٍ ثم تتـابعوا عـلى الاَمْـر مِـن مَنَازلكم التي وَضَعْتكم بها فانما دعاني إلى التَقْدمة إليكم عِلْمِي بميل كلّ رجل منكم إلى التَقَدُّم قَبْل صاحبه فلا يَكُوننَّ ذلك مـنكم فَيَجِـدَ في آدابكـم مَطْعَنـا فانه ملِك مُتْرَف وقادِر مُسَلّط ثم دعـا لهـم بمـا في خزائنـه مـن طرائـف حُلَـل الملوك كُل رجل منهم حُلّة وعَمّمـه عِمامـة وخَتّمـه بياقوتـة وأمـر لكـل رجـل منهم بنَجيبة مَهْرِيَّة وفرسٍ نجيبة وكتب معهم كتابا أما بعد فـان الملـك ألقَـى إلى من أمر العرب ما قد علم وأجَبْتُه بما قد فهـم مـمَّا أحْبَبْـت أن يكـون منـه على عِلْم ولا يَتَلَجْلَج في نَفْسه أنّ أمّة مِن الأمم التي احتجزت دونـه بمملكتهـا وحَمَت ما يليها بفضل قُوتها تبْلُغُها في شئ مـن الأُمـور التـي يَتَعَـزَّزُ بهـا ذَوَو الحَزْم والقُوَّة والتدْبِير والمكِيدة وقد أوْفَدْت أيُها الملِك رَهْطا مـن العـرب لهـم فضل في أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم فَلْيَـسْمع المَلِـك ولْـيُغْمضْ عـن جَفَاء انْ ظَهر من مَنْطِقِهم وَلْيُكْرِمْني باكرامهم وتعجيل سَرَاحِهم وقد نَـسَبْتهم في أسفل كتابي هذا عَشَائرهم فخرج القوم في أهْبَتهم حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن فدفعوا إليه كتاب النعمان فقـرأه وأمـر بـانزالهم إلى أن يجلـس لهـم مجلسا يَسْمَع منهم فلما أن كان بعـد ذلـك بأيـام أمَـر مَرَازِبَتَـه ووُجُـوه أهـل مملكته فحضروا وجلسوا على كراسي عن يمينه وشماله ثم دعا بهم على الـولاء والمراتب التي وصفهم النعمان بها في كتابه وأقام التَرْجُمان ليُؤدِي إليه كَلامَهم ثم أذن لهم في الكلام.

فقام أكثم بن صيفي فقال ان أفضل الاشياء أعاليها وأعْلَى الرجال مُلُوكهم وأفْضَل الملوك أعَمُّها نَفْعا وخيرُ الأَزْمنة أخْصَبُها وأفضل الخُطَباء أصْدَقُها الصِّدق مَنْجَاة والكَذب مَهْوَاة والشَّرّ لجاجة والحَزْم مَرْكَب صَعْب والعَجْز مَرْكب وَطْئ آفَةُ الرأي الهَوَى والعَجْز مفتاح الفَقْر وخير الامور الصَبْر حُسْن الظَنّ وَرْطة وسوء الظن عِصْمَة إصلاح فساد الرَّعيّة خير من إصْلاح فَسَاد الراعي مَن فَسَدَت بِطَانَتُه كان كالغَاصّ بالماء شَرُّ البلاد بلاد لا أمير بها شَرُّ المُلُوك من خَافه البَرِئ المَرْء يَعْجِز لا مَحَالة أفضل الاولاد البَرَرة خير الأَعْوانِ منْ لم يُرآء بالنصيحة أحَقّ الجُنُود بالنَصْر من حَسُنَتْ سَريرته يكْفيك من الزاد ما بَلَّغَك المَحَلّ حَسْبُك مِن شَرٍّ سَمَاعه الصّمْتُ حِكَم وقَليلٌ فاعِلُه البَلَاغة الايجاز مَن شَدّد نَفّر ومن تَرَاخى تألّف فتعجب كسرى من أكثم ثم قال ويحك يا أكثم الصِدْق يُنْبئ عنك لا الوَعيد قال كسرى لو لم يكن للعرب لكفى قال أكثم رُبَّ قَوْل أنْفَذُ مِن صَوْل. ثم قام حاجب بن زُرَارة التميمي قال وَرَى زَنْدُك وعَلَتْ يَدُك وهِيْبَ سُلْطَانُك ان العرب أمّة قد غَلُظَت أكْبادُها واسْتَحْصدت مِرَّتُها ومُنعَت دِرّتها وهى لكَ وامِقة ما تَأَلّفْتَها مُسْتَرْسِلة مالايَنْتَها سامعة ماسامَحْتَها العلْقَم مَرَارة وهى الصَابُ غَضَاضة والعَسَل حَلَاوة والماءُ الزُلَال سَلَاسَةً نَحْنُ وفُودُها إليك وألْسِنَتُها لديك ذِمتنا مَحفُوظة وأحْسَابُنَا مَمْنُوعة وعَشَائرنا فينا سَامِعه مُطِيعة إن نَؤُب لَكَ حَامِدِين خَيْرا فلك بذلك عُمُوم مَحْمَدَتِنا وان نَذُمّ لم نُحَصّ بالذَّمّ دُونَهَا قال كسرى يا حاجب ما أشبه حَجَر التِّلال بألوان صَخْرها قال حاجب بل زَئير الأُسْد بصَوْلَتها قال كسرى وذلك ثم قام الحارث البكري فقال دامت لك

المملكة باستكمال جزيل حظها وعُلُوّ سَنَائها مَن طال رِشَاؤة كَثُر مَتْحُه ومن ذَهَب مالُه قَلّ مَنْحُه تَنَاقُل الأقاويل يُعَرِّف اللُّبّ وهذا مقام سَيُوجِب بما تَنْطِق به الرَّكْب وتَعْرِف به كُنْه حَالِنا العَجَم والعَرَب ونَحْنُ جِيرانُك الأدْنَوْن وأعْوَانُك المُعِينون خُيُولُنا جَمّة وجُيُوشَنا فَخْمة ان اسْتَنْجَدْتَنا فَغَيْرُ رُبُض وان اسْتَطْرَقْتَنا فَغَيْرُ جِهْض وان طلبتنا فغير غُمْض لانَنْثَنى لِذُعْر ولا نَتَنَكَّر لدَهْر رِمَاحُنا طِوال وأعْمَارنا قصار قال كسرى أنْفُسٌ عَزيزة وأمّةٌ ضعيفة قال الحارث أيها الملك وأنّى يكون لضعيفٍ عزّة أو لصغير مِرّة قال كسرى لو قَصُرَ عُمْرُك لم تَسْتَوْلِ على لِسَانك نَفْسُك قال الحارث أيها الملك ان الفارس اذا حَمَل نَفْسَه على الكَتِيبة مُغَرِّرا بنفسه على الموت فهى مَنِيَّة اسْتَقْبَلَها وجِنَانٌ اسْتَدْبَرَهَا والعَرَب تَعْلَم أني أبْعَث الحرب قُدُما وأحبِسها وهى تَصَرَّفُ بها حتى اذا جاشَتْ نَارُها وسَعَرَتْ لَظَاها وكَشَفَتْ عن ساقِها جَعَلَتُ مَقَادَها رُمْحِي وبَرْقَها سَيْفي ورَعْدَها زَئِرِي ولم أُقَصِّر عن خَوْض خَضْخَاضِها حتى أنْغَمِسَ في غَمَرَات لُحجِها وأكُونُ فُلْكًا لِفُرْسَانِي إلى بُحْبُوحة كَبْشِها فأسْتَمْطِرُها دَمًا وأتْرُكُ حُمَاتها جَزَرَ السِّبَاعِ وكلّ نَسْرٍ قَشْعَم ثم قال كسرى لمن حضره من العرب أكذلك هُوَ قالوا فِعَالُهُ أنْطَق مِن لِسَانِه قال كسرى ما رأيتُ كاليوم وَفْدًا أحْشَد ولا شُهُودا أوْفَد ثم قام عمرو بن الشَرِيدالسُّلَمِي فقال أيها الملك نَعِم بَالُك ودَامَ في السرور حَالُك انَّ عَاقِبة الكلام مُتَدَبَّرة وأشْكال الامور مُعْتَبَرة وفي كثيرٍ ثِقْلة وفي قليل بُلْغة وفي المَلُوك سَوْرَة العِزّ وهذا مَنْطِقٌ له مابَعْده شَرُف فيه مَنْ شَرُف وخَمَل فيه من خَمَل لَمْ نَأتِ لِضَيْمك ولم نَفِد لسُخْطك ولم نَتعرّض لِرِفْدِك انَّ في أمْوالِنَا مُنْتَقَدا وعلى عِزِّنا مُعْتَمَدًا إن

أَوْرَيْنَا نارا أَثْقَبْنَا وإن أَوِدَ دَهْرٌ بِنَا اعْتَدَلْنَا إلا أَنَّـا مـع هـذا لِجِـوارِك حـافظون ولَمن رَامَك كافحُون حتى يُجمْدَ الصَّدَر ويُسْتَطَاب الخَبَر قال كسرى مـا يقـوم قَصْدِي هَادِيا وبأيْسَر إفراطِي مُخْبِرا ولم يُلَمْ مَن غَرَبَت نَفْسُه عَمَّا يَعْلَـم ورَضِيَ من القَصْد بما بَلَغ قال كسرى ما كُلُّ ما يَعْرِف المرء يَنْطِق بـه اجلـس. ثـم قـام خالد بن جعفر الكلابي فقال أَحْضَرَ الـلـه المَلِك إسعَادا وأَرْشَده إرْشادا إن لِكُلّ مَنْطِقٍ فُرْصَة ولِكُلّ حاجة غُصّة وعِيُّ المَنْطِـق أشَـدّ مِـن عِـيّ الـسُكُوت وعِثَـار القَوْل أنْكَأ مِن عِثـار الوَعْـث ومـا فُرْصـة المَنْطِـق عنـدنا إلا بمـا نَهْـوَى وغُـصَّة المَنْطِق بما لا نَهْوَى غَيْرُ مُسْتَسَاغة وتَركِي ما أعلَم مِن نَفْسِي ويُعْلَمُ مِن سَـمْعِي أَنَّني له مُطِيق أَحَبُّ إليّ من تَكَلُّفِي ما أَتَخَوّف ويُتَخَوّف مِنّي وقد أَوْفَدَنا إليك مَلِكُنا النُعْمان وهو لـك مِـن خَـيْر الأعـوان ونِعْـمَ حامِـل المَعْـروف والاحـسان أنْفُسنَا بالطاعة لَكَ باخعة ورِقابُنا بالنَصِيحة خاضِعة وأيْدِينا لَكَ بالوفَاء رَهِينة قال له كسرى نَطَقْتَ بعَقْل وسَمَرْتَ بفضل وعَلَوْت بنُبْل.

ثم قام عَلْقمة بن عُلاثة العامري فقال نَهَجَت لك سُبُل الرشَاد وخَضَعَت لـك رِقـاب العباد انّ للاقَاوِيل مناهِج ولـلآراء مَـوَلِج ولِلعُـوِيص مخَـارِج وخَـير القَـول أصْـدَقه وأَفْضَل الطَلَب أنْجَحُه إنّا وات كانت المَحَبَّـة أحْـضَرَتْنا والوِفـادة قرَّبَتْنـا فلـيس مـن حَضَرك مِنّا بِأفْضَل مِمّن عَزَب عنك بَل لَوْ قِسْتَ كُلّ رجل منهم وعَلِمْـتَ مـنهم مـا عَلِمْنا لَوَجَدْتَ له في آبائه دُنْيَا أنْدادا وأكْفـاء كُلُّهـم إلى الفَـضْل مَنْـسوب وبالـشَرَف والسُودَد مَوْصوف وبالرّأي الفاضل والأدَب النافـذ معـروف يَحْمِـي حِـماه ويُـرْوِي نَـداماه ويَـذُود أعْـدَاه لا تَخْمُـدُ نـاره ولا يَحْـتَرز منـه جـارُه أيّهـا الملـك مَـن يَبْـلُ

العَرَب يَعْرِفْ فَضْلَهم فاصْطَنع العرب فانها الجِبال الرَوَاسي عِزّا والبُحور الزَوَاخِر طَمْيا والنُجُوم الزَوَاهِرُ شَرفًا والحَصَى عَدَدا فانْ تَعْرِف لهم فَضْلَهم يُعِزّوك وان تَسْتَصْرِخْهُم لا يَخْذُلُوك قال كسرى وخَشِي أن يأتيَ منه كَلَام يَحْمِله على السُخْط عليه حَسْبُك أبْلَغْتَ وأحْسَنْت.

ثم قام قَيس بن مسعود الشَيْبَاني فقال أطاب الله بك المَرَاشد وجَنَّبَك المَصائب ووَقاك مَكْرُوهَ الشَصَائب ما أحَقَّنا إذ أتَيْناك باسْماعك مالا يُحْنِق صَدْرَك ولا يَزْرَع لَنا حِقْدا في قَلْبك لم نَقْدَم أيُّها المِلك لمُساماة ولم نَنْتَسب لمُعاداة ولكن لتَعْلَم أنت ورَعِيَّتُك ومَن حَضَرك مِن وُفُود الأمَم أنّا في المَنْطِق غَيرُ مُحْجِمِين وفي الناس غير مُقَصِّرين ان جُورِينا فغير مَسْبُوقِين وان سُومِينا فغير مَغْلُوبِين قال كسرى غَيْرَ أنَّكم اذا عاهَدْتُم غيرُ وافِين وهو يُعَرِّض به في تركه الوفَاء بضَمانِهِ السَوَاد قال قيس أيها الملك ما كُنْتُ في ذلك إلّا كَوافٍ غُدِرَ به أو كخافر أُخْفِرَ بِذمّتِه قال كسرى ما يكون لِضَعيفٍ ضَمان ولا لذَلِيلٍ خِفارة قال قيس أيها الملك ما أنا فِيما أُخْفِرَ مِن ذِمّتِي أحَقّ بِالزامِي العارَ مِنْك فيما قُتِل مِن رَعِيّتك وانْتُهِك مِن حُرْمتك قال كسرى ذلك لِان مَن ائْتَمَن الخانَة واسْتَنْجَد الأثَمَة نالَهُ من الخَطَأ ما نالَنِي وليس كلّ الناس سَواء كيف رأيتَ حاجِبَ بن زُرارةَ لِمَ يُحْكم قُواُه فَيُبْرِم ويَعْهَد فَيُوفِي ويَعِدُ فَيُنْجِز قال وما أحَقّه بذلك وما رأيْتُه إلّا لِي قال كسرى القَوْمُ بُزْلٌ فَأفْضَلُها أشدها ثم قام عامر بن الطُفَيل العامري فقال كَثُر فُنُون المَنْطِق وليس القول أعْمَى من حِنْدس الظَلْماء وانما الفَخْر في الفِعَال والعجْز في النَجْدةِ والسُؤدَد مُطاوَعةُ القُدْرة وما أعْلَمَك بقَدْرنا وأبْصَرك بفَضْلنا وبالحَرَا إن أدالَتْ الأيّام وثابَتْ الاحْلام

أن تُحْدِث لنا أمُورا لَها أعْلام قال كسرى وما الأمْرُ الذي يُذْكر قال مالي علم بأكثر مما خَبّرني به مُخَبِر قال كسرى مَتَى تكاهَنْتَ يابن الطفيل قال لستُ بكاهن ولكنّي بالرُمْح طاعِن قال كسرى فان أتاك آتٍ مِن جهَة عَيْنك العَوْراء ما أنْتَ صانع قال ما هَيْبَتِي في قَفايَ بِدُون هَيْبَتِي في وَجْهِي وما أذْهَب عَيْنِي عَيْث ولكن مُطاوَعةُ العَبَث. ثم قام عمرو بن مَعْديكَربَ الزبيدي فقال انما المَرْء بأصْغَرَيْهِ قَلْبِه ولِسانِه فَبلاغ اَلْمنطِق الصَواب ومِلاك النَجْدة الأرْتياد وعَفْو الرَّأي خيرٌ من اسْتِكْرَاه الفِكْرة وتَوْقِيف الخِبْرة خَيْر من اعْتِساف الحَيْرة فاجْتَبِذْ طاعَتَنا بلَفْظِك واكْتَظَم بِادِرَتَنا بحلْمك وألِنْ لَنا كَنَفَك يَسْلَس لَكَ قِيادنا فانّا أناس لم يُوَقِّسْ صَفَاتَنا قِراعُ مَناقِيرِ مَن أرادَ لنا قَضْما ولكن مَنَعْنا حِمانا مِن كُلّ مَن رامَ لَنا هَضْمنا ثم قام الحارث بن ظالم المُرِّي فقال انّ من آفة المَنْطِق الكَذِب ومِن لُؤْم اَلاخْلاق الملَق ومِن خَطَل الرَأي خِفّة الملِك المُسَلَّط فإن أعْلَمْناك أنّ مُواجَهتَنَا لَكَ عن ائْتِلاف وانْقِيادنَا لك عن تَصاف ما أنْتَ لِقَبول ذلك مِنّا بِخَلِيق ولا للاعتماد عليه بحَقِيق ولكن الوَفاء بالعُهُود وإحكام ولْث العُقُود والأمْرُ بَيْنَنا وبَيْنَك مُعْتَدِل ما لَمْ يَأت مِن قِبَلك مَيْل أو زَلَل قال كسرى من أنت قال الحارث بن ظالم قال انّ في أسماء آبائك لَدَليلا على قِلّة وَفائك وأن تكون أوْلَى بالغَدْر وأقْرَبَ من الوِزْر قال الحارث ان في الحَقّ مَغْضَبَة والسَرْوُ التَغافُل ولَنْ يَسْتَوجب أحَدٌ الْحِلم الّا مَعَ القُدْرة فَلْتُشْبِهْ أفْعالُك مَجْلسَك قال كسرى هذا فَتَى القوم ثم قال كسرى قد فهِمْتُ ما نَطَقَت به خُطَباؤكم وتَفَنّن فيه مُتَكَلّموكم ولولا أنِّي أعْلَمُ أنّ الأدَب لَمْ يُثَقّف أوَدَكُم ولَمْ يُحْكم أمْرَكم وأنّه ليس لكم مَلِك يَجْمَعُكم

فَتَنْطِقون عنده مَنْطِق الرَّعِيّة الخاضعة الباخِعة فَنَطَقْتُم بما اسْتَولَى على أَلْسِنَتِكم وغَلَب على طِباعكم لَمْ أُجِزْ لكم كثيرا مما تَكَلَّمْتُم به وانِّي لأَكْرَه أن أُجَبِّه وفُوُدِي أو أُحْنِق صُدُورَهم والذي أحِبّ من إصلاح مُدَبَّرِكُمْ وتَألُّف شَواذِّكم والِاعْذار إلى الله فيما بَيْنِي وبَيْنَكم وقد قَبِلْت ما كان في مَنْطِقِكم مِن صَوَاب وصَفَحْت عَمّا كان فيه من خَلَل فانْصَرِفوا إلى مَلِكِكم فأحْسِنوا مُوَازَرَتَه والتزموا طَاعَته وارْدَعوا سُفَهَاءكم وأقيمُوا أَوَدَهُم وأحْسنوا أدبَهم فان في ذلك صَلاحَ العامّة

اذا المَـرْء لم يَـدْنَس مـن اللُّـؤم عِرْضُـه فكُـــــلُّ رداء يرتديــــــه جَميـــــلُ
وان هـو لم يَحْمـل عـلى الـنفس ضَـيْمهَا فلـــيس إلى حُـــسْن الثنـــاء ســـبيل
تعيِّرنــــا أنّــــا قليــــل عَديــــدنا فقلـــت لهـــا ان الكِـــرامَ قليـــل
ومـــا قَــل مَــن كانــت بَقَايَــاه مِثْلَنــا شَـــبَابٌ تَـــسَامَى للعُـــلى وكُهُـــول
ومـــا ضَرَّنـــا أنّـــا قَليـــل وجَارُنـــا عَزيـــز وجَـــار الاكْـــثَرين ذَلِيـــل
لَنَـــا جَبَـــلٌ يَحْتَلُّـــه مَـــن نُجِـــيره مَنِيـــع يَـــرُدّ الطَـــرْف وهـــو كليـــل
رَسَـا أصْـلُه تحـت الـثَّرَىَ وسَـمَا بـه إلى الـــنَجْم فـــرع لا يُنَـــال طوِيـــل
هــو الأبْلَــق الفَـردْ الـذي شـاع ذِكْـرُه يَعـــزّ عـــلى مـــن رَامَـــه ويَطُـــول
وإنّـــا لَقَـــوْم لا نَـــرَى القَتْـــل سُـــبَّةً اذا مـــا رَأتْـــه عـــامِرٌ وسَـــلُول
يُقَـــرّب حُـــبُّ المـــوتِ آجالَنَـــا لَنَـــا وتَكْرَهُـــــه آجـــــالُهُم فَتَطُـــــول
ومـــا مـــات مّنّـــا سَـــيِّدٌ حَتْـــفَ أنِفْـــه ولا طُـــلّ يومـــا حيـــث كـــان قتِيـــل
تَـــسِيل عـــلى حَـــدّ الظُبَـــات نُفُوسُـــنا ولَيْـــست عـــلى غَـــير الظُّبَـــات تـــسِيل
صَـــفَوْنا ولم نَكْـــدَرْ وأخْلَـــص سِرَّنـــا إنـــاثٌ أطَابَـــتْ حَمْلَنـــا وفُحُـــول
عَلَوْنـــا إلى خَـــيْر الظُّهـــور وحَطَّنـــا لِوَقْـــتٍ إلى خَـــيْر البُطُـــون نُـــزُول
فَـــنَحْن كَـــماء المُـــزْن مـــافي نِـــصَابنا كَهَـــامٌ ولا فِينـــا يُعَـــدّ بَخِيـــل
ونُنْكِـــر إن شِـــئنا عـــلى النـــاس قَـــوْلَهم ولا يُنْكِـــرون القـــولَ حـــين نَقُـــول
اذا سَـــيّد مِنّـــا خـــلا قـــام سَـــيّدٌ قَـــؤول لِـــمَا قـــال الكِـــرَام فَعُـــول
ومـــا أُخْمِـــدَتْ نَـــارٌ لَنَـــا دُونَ طَـــارِقٍ ولا ذَمّنـــا في النـــازِلين نَزِيـــل
وأيَّامُنـــا مَـــشْهُورة في عَـــدُوّنَا لهـــا غُـــرَر مَعْلُومَـــةٌ وحُجُـــول
وأسْـــيَافُنا في كـــل شَرْق ومَغْـــرِب بهـــا مِـــن قِـــراع الـــدَّارِعِين فُلُـــول
مُعَـــوّدَةٌ أن لا تُـــسَلّ نِـــصَالُها فَتَغْمَـــد حتـــى يُـــسْتَبَاحَ قتِيـــل

سَـلِي إنْ جَهِلْـتِ النـاسَ عَنّـا وعَـنْهُمُ فَلَـــيْس سَـــواءً عـــالم وجَهُـــول

فــانّ بَنــي الــدَّيَّان قُطْـبٌ لقَــوْمهم تَـــدُور رَحَـــاهُم حَـــوْلَهُم وتَجُـــولُ

خطبة قس بن ساعدة الايادي جاهلي

يأيّها الناس اسمَعُوا وَعُوا واذا وَعَيتم شيأ فانتفعوا انـه مَـن عـاش مـات ومَـن ماتَ فَاتَ وكُلُّ مَا هُوَ آت آت مَطَرٌ ونَبَات وأرْزَاق واقوات وآبـاءٌ وأمّهـات وأحيـاء وأموات جَمْع وأشْـتَات وآيـاتٌ بَعْـدَ آيـات انّ في الـسماء الخَـبَرا وانّ في الارض لَعِبرًا لَيْلٌ دَاج وسَمَاءٌ ذاتُ أبْـرَاج وأرضٌ ذات فِجَـاج وبِحَـار ذَاتُ أمْـواج مـالِي أرَى الناس يَذْهبون ولا يَرْجِعون أرَضُوا بالمُقَام فأقَـامُوا أمْ تُرِكُـوا هُنـاك فَنَـامُوا أقْسم قُسٌّ قَسما حَقّا لا خَائِنًا فيه ولا آثِمـا انّ لِللـه دِيْنًـا هـو أحَـبّ إليـه مـن دينكم الذي أنتم عليه ونَبِيًّـا قَـدْ حَـانَ حِينُـه وأظَلَّكُـم أوَانُـه وأدْرَكَكُـمْ إبَّانُـه فَطُوبَى لمن أدْرَكَه فَآمَنَ به وهَدَاه وَوَيْلٌ لِمن خَالَفه وعَصَاه ثم قال

تَبًّا لأرْباب الغَفْلة الأمَم الخالِية والقُـرُون الماضِـية يـا مَعْـشَر إيَـادٍ أيْـنَ الآبـاءُ والاجْداد وأيْنَ المَرِيضُ والعُـوّاد وأيـن الفَرَاعنـة الـشِّداد أيْـنَ مَـن بَنَـى وشَـيَّد وزَخْرَفَ ونَجَّد أين المال والوَلَد أين من بَغَى وطَغَى وجَمَـعَ فـأوعَى وقـال أنَـا رَبّكُم الأعْلَى ألم يَكُونوا أكثَر منكم أمْـوَالاً واطَـول مـنكم آجَـالًا طَحَـنَهم الـثَرَى بكَلْكَلـه ومَـزَّقَهم بطُولـه فَتلْـكَ عِظَـامهم بَالِيَـة وبُيُـوتُهم خَالِيَـة عَمَرتَهـا

الذِئابُ العَاوِية كَلّا بَلْ هو الـلـه الواحِد المَعْبُود ليس بوَالدٍ ولا مَوْلُود ثم أنشأ يقول

في الـــــــــــذاهبين الأوّلِي	نَ مِـــنَ القُـــرُون لَنَـــا بَـــصَائِرْ
لَـــــمّا رَأيْــــتُ مَــــوَارِدًا	لِلْمَــوتِ لــيس لهــا مَــصَادِرْ
ورَأَيْــــتُ قَــــوْمِي نَحْوَهــــا	يَمْـــضِي الأصَـــاغِر والَكـــابرْ
لا يَرْجِـــــع المــــــاضي الَيْ	يّ ولا مـــن البـــاقين غَـــابِرْ
أيْقَنْــــــتُ أنّي لا مَحَــــــا	لَــةَ حيــثُ صَـارَ القَــوْم صَـائرْ

وأصيبت أعرابية بابنها وهى حاجّة فلما دَفَنَتْه

قامت على قبره وقالت

والله يا بُنَيّ لقد غَذَوْتُك رَضِيعا وفَقَدْتُك سرِيعا وكأنّه لم يكن بين الحالَين مُدّة ألْتذّ بعَيْشِك فيها فأصْبَحْتَ بَعدَ النَضارة والغَضارة ورَوْنَق الحَيَاة والتَنَسّم في طِيب رَوَائحها تحتَ أطْبَاق الثَرَى جَسدا هامِدا ورُفَاتًا سحِيقا وصَعِيدا جُرُزًا أي بُنَيّ لقد سَحَبَت الدنيا عليك أذْيَالَ الفَنَا وأسْكَنَتْك دَارَ البِلَى ورَمَتْنِي بَعْدَك نَكْبَةُ الرَدَى أي بُنَيّ لقد أسْفَرَ لي عن وجه الدُنْيَا صَبَاحٌ دَاج ظَلَامه. ثم قالت أيّ رَبِّ ومِنْك العَدْلُ ومِن خَلْقِك الجَوْر وهَبْتَه لِي قُرّة عَين فَلَمْ تُمَتِّعْنِي به كَثِيرا بَلْ سَلَبْتَنِيه وَشِيكا ثُمّ أمَرْتَنِي بالصَبْر ووَعَدْتَنِي عليه الأجْر فَصَدَّقْتُ وَعْدَكَ ورَضِيتُ قَضَاءَكَ فَرَحِمَ الله مَنْ تَرَاحَمَ على مَن اسْتَوْدَعْتُه الرَدْم ووَسَّدْتُه الثَرَى اللهم ارحمْ غُرْبَتَه وآنِس وحْشَتَه واسْتُرْ عَوْرَتَه يوم تُكْشَف الهَنَات والسَوْآت فلما أرادت الرجوعَ إلى أهلها قالت أيْ بُنَيّ إنّي قد تَزَوّدْتُ لِسَفَرِي فَلَيْتَ شِعْرِي مَازَادُكَ لبعُدْ طَرِيقِك ويَوْم مَعَادِك اللهم إنيّ أسْألُكَ له الرِضى بِرضَائِي عنه. ثم قالت اسْتَوْدَعْتُكَ مَنِ اسْتَوْدَعَكَ في أحْشَائِي جَنِينا وأثْكَلَ الوَالِدات ما أمضّ حَرَارَةَ قُلُوبِهِنّ وأقلَقَ مَضَاجِعَهُنّ وأطْوَل لَيْلَهُن وأقْصَر نهارَهُنّ وأقَلّ أُنْسَهُنّ وأشَدَّ وَحْشَتَهُنّ وأبْعَدَهُنّ مِن السُّرُور وأقْرَبَهُنّ من الأحْزَان.

وقالت الجُمَانَةَ بنت قَيس بن زُهَير تنصح جَدَّها الرَبِيع بنَ زِيَاد ان كان قَـيْسٌ أَبِي فانّك يَا رَبيع جَدِّي وما يَجب له من حق الأبُوة عليّ الّا كالّذي يجب عليك من حق البُنُوّة لي والرأيُ الصَحِيح تَبْعَثُه العِنَاية وتُجَلِّي عـن مَحْـضه النـصِيحةُ انك قد ظَلَمْتَ قَيْسًا بأخْذ دِرْعه وأجَـدٌّ مُكافَأتِـهِ إيَّـاك سـوءُ عَزْمـه والمُعَـارِض مُنْتَصِر والبادِي أظْلَم وليس قيس ممَّن يُخَوَّف بالوَعِيد ولا يَرْدَعه التَهْديد فـلا تَرْكَنَنَّ إلى مُنَابَذتَه فالحَزْم في مُتَارَكَتِه والحَرْب مَتْلَفَـة للعِبـاد ذَهَّابَـة بالطـارِف والتِّلاد والسِلْم أرْخَى لِلْبَال وأبْقَى لأنْفُس الرِجَـال وبِحَـقٍّ أقُـولُ لقـد صَـدَعْتُ بِحُكْم وما يَدْفَع قَوْلي الّا غَيْرَ ذِي فَهْم ثم أنْشَأتْ تقول

أبِي لا يَـرَى أن يَـتْرُكَ الـدَهْرَ دِرْعَـه ... وجَـدّي يَـرَى أن يأخُـذ الـدِرْع مِـن أبِي

فَـــرَأيُ أبِي رَأيُ البَخِيـــل بِمَالِـــه ... وشِـــميةُ جَـــدِّي شِـــمية الخَـــائِف الأبِي

وقالت بنت حاتم للنبي صلى اللـه عليه وسلم

يامحمد هَلَك الوَالِد وغابَ الوافـد فـان رأيـتَ أن تُخَـلِّيَ عَنِّـي فـلا تُـشْمِتْ بِي أحْيَاءَ العَرَب فإنِّي بِنْـتُ قَـوْمي كـانَ أبِي يَفُـكّ العَـانِي ويَحْمِـي الـذِّمار ويَقْـرِي الضَيْفَ ويُشْبِع الجَائِع ويُفَرِّجُ عن المكْروب ويُطْعِم الطَعَامَ ويُفْشِي السَلام ولم يَرُدّ طَالِبَ حاجةٍ قَطُّ أنَا بِنْتُ حَاتِم طَيّ فقال لها النبيُّ صلى اللـه عليه وسلم يا جاريةُ هذه صِفَةُ المُؤْمِن لو كان أبُوكِ إسْلَامِيّا لترحَّمْنا عليه خَلُّوا عَنْهـا فـان أباهَا كان يُحِبّ مَكَارِمَ الآخْلاق

وأعْلَـمُ عِلْـمَ اليَـومِ والآمْـسِ قَبْلَـه ... ولكنَّنِـي عـن عِلْـم مـافي غَـدٍ عَمـى

رَآيْـتُ المَنَايَا خَـبْطَ عَـشْوَاءَ مَـنْ تُـصِبْ ... تُمِتْـه ومَـنْ تُخْطِـئ يُعَمَّـرْ فَيَهْـرَمِ

ومَــن لا يُــصَانِعْ في أمــورٍ كثــيرة ... يُـضَرَّس بِأنْيـاب ويُوطـأ بِمَنْـسِم

ومَن يَجْعَـل المَعْـرُوفَ مِـن دُون عِرْضِـه ... يَفِـرْهُ ومـن لا يَتَّـق الـشتْمَ يُـشْتَم

ومَــن يَـكُ ذا فَـضْل فَيَبْخَـلْ بفَـضْلِهِ ... عَـلَى قَوْمِـه يُـسْتَغْنَ عَنـه ويُـذْمَم

ومَـن يُـوْفِ لا يُـذْمَمْ ومَـن يَهْـد قَلْبَـه ... إلى مُطْمَــئِنّ الــبِرِّ لا يَــتَجَمْجَم

ومَــن هَــابَ أسْـبَابَ المَنَايـا يَنَلْنَـهُ ... وإنْ يَـرْقَ أسْـبَابَ الـسَماءِ بِـسُلَّم

ومَـن يجعـل المعـروف في غـير أهلـه ... يَكُــنْ حَمْـدُه ذَمّـا عليـه ويَنْـدَم

ومَــن يَعْــصِ أطْـرَاف الزِّجَــاج فَانَّــه ... يُطِيـعُ العَـوَالِي رُكِّبَـتْ كُـلّ لَهْـذَمِ

ومَــن لم يَــذُدْ عَــن حَوْضِــه بــسلَاحه ... يَهَـدَّم ومـن لا يَظْلِـم النَـاسَ يُظْلـم

ومَـن يَغْـتَرِبْ يَحْـسَبْ عَـدُوّا صَـدِيقَه ... ومــن لا يُكَــرِّم نَفْــسَه لا يُكَــرِّم

ومَهْـمَا تكُـنْ عنـد امْـرِئٍ مـن خَلِيقَـةٍ ... وان خَالَها تَخْفَى علـى النَـاسِ تُعْلَـم

وكـائِنْ تَـرَى مِـنْ صَامِتٍ لَـكَ مُعْجِـب ... زِيادَتُــــه أو نَقْــــصُه في الــــتَكَلُّم

لِـسَانُ الفَتَـى نِـصْفٌ ونِـصْفٌ فُـؤادُه ... فَلَـمْ يَبْـقَ الّا صُـورةُ الّلَحْـمِ والـدَمِ

غيلان بن سلمة عند كسرى (جاهلي)

خرج أبو سُفْيان في جماعة من قريش يريدون العِراق بتجارة فلما ساروا ثلاثـا جَمَعَهم أبو سفيان فقـال لهـم انّـا مِـن مَـسيرنا هـذا لَعَـلَى خَطَـر مَـا قُـدُومُنا

على مَلِك جبّار لَمْ يَأذَنَ لَنَا في القدوم عليه ولَيْسَتْ بلادُه لَنَا بِمَتْجَر ولكن أيّكُمْ يَذْهَبُ بالعيرِ فان أصِيْبَ فَنَحْن بَرَاءٌ مِنْ دَمِهِ وان غَنِم فله نِصْفُ الرِّبْح فقال غَيْلَان بن سلمة دَعُونِي اذًا فَأنَا لَهَا فلمّا قَدِم بلادَ كسرى تَخَلّق ولبِس ثَوْبَيْنِ أصْفَرَيْن وشَهَرَ أمْرَه وجَلَسَ بباب كسرى حتّى أذِن له فَدخَل عليه وبَيْنَهُمَا شُبّاك من ذَهَب فخرج إليه التَرْجُمان وقال له يقول لك المَلِك ما أدْخَلَكَ بِلَادِي بغَير إذْنِي فقال قُلْ له لَسْت من أهْل عَدَاوَةٍ لَكَ ولا أتَيْتُك جَاسُوسًا لِضِدٍّ مِن أضْدَادِك وانّما جِئْتُ بِتجارَةٍ تَسْتَمْتع بها فان أرَدْتَها فَهْيَ لَكَ وإن لم تُرِدْها وأذنْتَ في بَيْعِها لِرَعِيَّتِك بِعْتُها وان لم تَأذَنْ في ذلك رَدَدْتُها قال فانَّه ليَتَكَلَّم اذْ سَمِع صَوْت كسْرَى فَسَجَدَ فَقَالَ له الترجمان يَقُول لك الملك لِمَ سَجَدْتَ فقال سَمِعْتُ صَوْتًا عالِيًا حَيْثُ لا يَنْبَغِي لِاَحَد أنْ يَعْلُوَ صَوْتُه إجْلالا للملك فَعلِمتُ أنّه لم يُقْدِم على رَفْع وامَرَ له بِمِرْفَقَة تُوضعَ تَحْتَه فَلمّا أُتِي بها رَأى عليها صورةَ المَلِك فَوَضَعَها على رَأسه فاسْتَجْهَلَه كسرى واسْتَحْمَقه وقال للتَرْجُمان قُلْ له انّما بَعَثْنا بهَذه لتَجْلِسَ عَلَيْها قال قد عَلِمْتُ ولكنّي لَمّا أُتِيتُ بها رَأيْتُ عليها صُورتَه على مِثْلِي أنْ يَجْلِس عليها ولكن كان حَقُّها التعظيم فوضَعْتُها على رأسي لأنّه أشْرَف أعْضَائِي وأكْرَمُها عَلَيّ فاسْتَحْسَن فِعْلَه جِدّا ثم قال له ألَكَ وَلَدٌ قال نعم قال فأيُّهُمْ أحَبُّ إليكْ قال الصَغِير حتى يَكْبَرَ والمَرِيض حتى يَبْرَأ والغائب حتى يَؤوبَ فقال كسرى زِهْ ما أدْخَلَكَ عليّ ودَلّك على هَذَا القَوْل والفِعْلِ إلّا حَظّك فهذا فِعْل الحُكماء وكلامُهُم وأنْتَ مِنْ قَوْمٍ جُفَاةٍ لا حِكْمَة فيهم فما غِذَاؤك قال خُبْزُ البُرّ قال هذا العَقْل من البُرّ لا مِن اللَّبَن والتَمْر ثم اشْتَرَى منه

التِجَارة بأضْعاف ثَمَنها وكَسَاه وبَعَث مَعَه مِن الفُرْس مَنْ بَنَى له أطُمًا بالطائف فكان أوّل أطُم بُنِي بِهَا.

صورة كتاب أرسله الاسكندر إلى شيخه الحكيم أرِسْطُو

يستشيره فيما يفعله بأبناء ملوك فارس بعد أن قتل آباءهم وتغلب على بلادهم (جاهلي)

عليك أيُّها الحكيم مِنّا السلام أما بعد فان الافلاك الدائِرة والعِلَل السَمَاوِيّة وان كانت أسْعَدَتْنا بالامُور التي أصبح الناس لنا بها دائنين فإنّا جِدُّ واجِدِينَ لَمِسّ الاضرار إلى حِكْمَتِك غَيْرُ جاحِدِين لفَضْلك والإقْرار بمَنْزِلتك والاستِنامة إلى مَشُورتِك والاقِتداء برَأيك والاعتماد لأمْرك وفَهْمك لِما بَلَوْنا مِن إجْداء ذلك عَلَيْنا وذُقْنا مِن جَنَى مَنْفَعَته حتى صار ذلك بنُجُوعِه فِينا وتَرَسّخِهِ أذْهاننا كالغِذاء لَنا فَما نَنْفَكّ نُعَوِّل عليه ونَسْتَمِدّ منه اسْتِمدَادا الجدَاوِل من البُحُور وتَعْويلَ الفُروع على الاصول وقُوّة الأشكال بالأشكال وقد كان مما سِيقَ إلَيْنا من النصر والفَلْج وأتِيح لنا من الظَفَر والقَهْرِ وبَلَغْنا في العَدُوّ من النِكاية والبطش ما يَعْجِز القَوْل عن وصْفه ويَقْصُر شُكْر المُنْعِم عَن مَوْقِع الانعام به وكان من ذلك انْ جاوَزْنا أرضَ سُورِيَةَ والجَزيرة إلى بابِلَ وأرْضِ فارِس فلمّا حَللْنا بعَقْوَةِ أهْلِها وساحة بلادهم لم يكن إلّا رَيْثَمَا تَلَقّانا نَفَر منهم بِرأس مَلكهم هَدِية

إلَينا وطَلَبًا للخُطْوَةِ عِنْدَنا فَأَمَرْنا بِصَلْب مَن جاء بِهِ وشُهْرَته لسوء بَلَائِه وقِلّة ارْعِوائه وَوَفائه ثم أمَرْنا بجمَعْ مَنْ كان هناك من أوْلاد مُلُوكِهم وأحْرارِهم وذَوِي الشَرَف منهم فَرَأيْنَا رِجالا عظيمةً أجْسَامُهم واحْلامهم حاضِرةً ألْبابُهم وأذْهانُهم رائعةً مَناظرُهم ومَناطِقُهم دليلا على أن ما يظهر من رُوَائِهم ومَنْطِقِهم وراءهُ من قُوّة أيْدِيهِم وشِدة نَجْدتهم وبأَسِهم مالا يكون معه لَنا يبيل إلى غَلَبتِهم وإعطائهم بأيْدِيهم لولا أن القَضَاء أدالَنا مِنْهُم وأظْفَرَنا بهم وأظْهَرنَا عليهم ولَمْ نَرَ بَعِيدا من الرّأي في أمْرِهم أنْ نَسْتأصِل شَأفَتَهُم ونَجْتَثّ أصْلَهم ونُلْحِقهم بِمن مَضَى مِن أسلافهم لتَسْكُن القُلُوب بذلك إلى الأمْن مِن جَرائِرِهم وبَوائِقهم فَرَأْينا أن لا نَعْجَل باسْعافِ بادِئ الرَأي في قَتْلِهِم دُونَ الاستظهار عليه بِمَشُورَتِك فارْفَع إلينا رَأيَك فيما اسْتَشَرْناك فيه بَعْد صِحَّته عِنْدَك وتَقلِيبِك إيّاه بجِليّ نَظَرك والسلام لاهل السلام فَليكُن علينا وعليك.

اجابة الحكيم ارسطو إلى الملك بعد ديباجة طويلة

انّ لِكُلّ تُرْبة لا محالة قسما من الفَضائل وانّ لِفارِس قِسْمَها من النَجْدة والقوة وانّك إنْ تَقْتُل أشْرافَهُم تُخَلِّف الوُضَعاء على أعقابهم وتُورِثْ سِفْلَتَهمْ مَنازِلَ علْيَتِهمْ وتُغَلِّب أدْنِياءهم على مراتب ذوي أخْطارهم ولم يُبْتَل المُلُوك قَطّ ببَلَاء هو أعْظم عليهم وأشَدّ تَوْهِينا لِسُلْطانهم مِن غَلَبة السِفْلة وذُلّ الوْجُوُه فاحْذر الحَذَر كُلّه أنْ تمكّن تِلكَ الطَبَقَةَ مِن الغَلَبة

والحَركة فانّهم إنْ نَجَم مِنْهم بَعْد اليَوْمِ على جُنْدك وأهْل بلادك ناجِمٌ دَهَمَهُم منه ما لا رَوِيَّةَ فيه ولا بَقِيّة مَعَه فانْصَرِف عن هذا الرأي إلى غيره ةاعْمد إلى مَن قِبَلكمِن أولئِك العُظماء والاحْرار فَوَزِّعْ بَيْنَهُمْ مَمْلَكَتَهُمْ وألْزِمْ اسمَ المَلِك كُلّ مَن وَلَّيْتَه منهم واعقِد التاجَ على رأسه وان صَغُر مُلْكُه فان المُتَسَمِّي بالمَلِكِ لازِمٌ لاسْمِهِ والمَعْقُود التاج على رأسه لا يَخْضَع لِغَيْره فليس يَنْشَب ذلك أنْ يُقِع كُلُّ مَلِكٍ منهم بَيْنَه وبَيْنَ صاحِبه تَدابُرا وتَقاطُعا وتَغالُبا على المُلْك وتَفاخُرا بالمال والجُنْد حتى يَنْسَوْا بذلك أضْغانَهم عَلَيك وأوْتَارَهُم فيك ويَعُودَ حَرْبُهم لك حَرْبا بَيْنَهم وحَنَقُهم عَلَيك حَنقًا منهم على أنْفُسهم ثم لا يَزْدَادُون في ذلك بَصِيرةً إلّا أحْدَثوا لك بها استِقامة إنْ دَنَوْت منهم دَنَوْا لك وإن نَأيْت عنهم تَعَزَّزُوا بِكَ حتى يَثِبَ مَن مَلَك منهم على جاره باسْمك ويَسْتَرْهِبَه بِجُنْدك وفي ذلك شاغِلٌ لَهُمْ عَنْك وأمانٌ لِإحْداثِهِم بَعْدَك وإنْ كان لا أَمانَ للدّهْر ولا ثِقَةَ بالايام وقَد أدّيْتُ إلى المَلِك ما رَأيتُه لِي حَظًّا وعلىّ حَقًّا مِن إجابَتِي إيّاه إلى ما سألَنِي عنه ومَحَضْتُه النَصِيحة فيه والمَلِكُ أعْلى عَيْنًا وأنْفَذُ رَوِيَّةً وأفْضَل رَأيًا وأبْعَد هِمّة فيما استعان بِي عليه وكَلَّفَني تَبْيِينَه والمَشُورَة عَلَيه فِيه لا زالَ المَلِك مُتَعَرِّفًا مِن عَوائد النِعَم وعواقب الصُنْع وتوطِيد المُلْك وتنفيس الأجَل ودَرْك الأمَل ما تأتِي فيه قُدْرته على غَاية أقْصى ما تَناله قُدْرة البَشَر والسلام الذي لا انقِضاء له ولا انتِهاء ولا غَاية ولا فَناء على الملك.

أي لمنتظِرِه يقال نظرته أي انْتَظَرْته وأول من قال ذلك قُرَاد ابـن أجْـدَع وذلـك أن النعمان بن المُنْذِر خرج يتصيَّد على فَرَسه اليَحْمـوم فـأجراه عـلى إثـر عَـيْرٍ فذهب به الفَرَس في الارض ولم يقدِر عليه وانْفَرَد عن أصحابه وأخَذَتْه الـسماءُ فَطَلَب مَلْجَأ يَلْجَأ إليه فَدَفَع إلى بِناءٍ فاذا فيه رَجُلٌ مِن طَيّءٍ يقال لـه حَنْظَلـة ومعه امرأة له فقال لهما هَلْ مِن مَأوى فقال حنظلة نَعَمْ فَخَرج إليه فأفأنْزَلَه ولم يَكُن للطّائِيِّ غَيْرُ شاةٍ وهـو لا يَعْـرِف الـنُعْمان فقـال لامرأتـه أرَى رَجُـلًا ذا هيئة وما أخْلَقَه أن أن يكون شرِيفا خَطيرا فَمَا الحِيلة قالـت عنِـدي شـئ مـن طَحِين كنتُ ادَّخَرْتُه فاذْبَح الشاةَ لأتَّخِذ من الطَّحِين مَلَّة قـال فأخْرَجَـت المَـرْأة الدَّقِيق فَخَبَزَتْمنه مَلَّةً وقام الطـائِيِّ إلى شـاته فاحْتَلَبَهـا ثـم ذَبَحَهـا فاتّخَـذَ مـن لحمها مَرَقة مَضِيْرة وأطْعَمَه مـن لَحْمهـا وسـقاه مِـن لَبَنِهـا واحْتَـالَ لـه شَرَابًـا فسقاه وجَعَل يُحَدَّثه بَقيَّةَ لَيْلَتِه فَلَمّا أصْبَحَ النعمان لبِس ثِيَابَـه ورَكِـبَ فَرَسـه ثم قال يا اخا طَيّء اطلُبْ ثَوَابك أنَا المَلِك النُعمان قال أفْعَلُ ان شاء الـلـه ثـم لحِق الخيلَ فمضى نحو الحِيرة ومكَثَ الطائي بعد ذلك زمانا حتى أصابيه نَكْبَةٌ وجَهْدٌ وساءت حَالُه فقالت له امرأتُه لو أتَيْتَ المَلك لأحسن إليك فأقْبَلَ حتـى انتهى إلى الحِيرة فوافق يومَ بُؤس النعمان فاذا هو واقـف في خَيْلـه في الـسلاح فلما نظر إليه النعمان عَرَفه وساءه مَكَانُه فوقَفَ الطائي المَنْزُول بـه بـين يَـدَي النعمان فقال له أنت الطائي المنزول به قال نعـم قـال أفَـلَا جئـتَ في غـير هـذا اليوم قال أبَيْتَ اللَّعْنَ وما كان علْمي بهذا اليوم قال والـلـه لو سـنح لي في هـذا

اليوم قَابُس إبني لَمْ أجِد بُدًّا مِن قَتْله فاطْلُبْ حاجَتَك مِن الدنيا وسل ما بَدَالك فانك مَقْتُول قال أَبَيْتَ اللَّعْنَ وما أصْنَع بالدُّنيا بعد نَفْسِي قال النعمان انّه لا سبِيلَ إليها قال فان كان لابُدَّ فَأجِّلْنِي حتى أُلِمَّ بأهْلِي فَأوصِي إليهم وأهَيّء حَالَهُمْ ثم أنْصَرِف إليك قال النعمان فأقمْ لي كَفِيلا بمُوَافَاتِك فالتَفَتَ الطائي إلى شَرِيك بن عمرو بن قيس من بني شَيْبَان وكان يُكْنَى أبا الحَوْفَزَان وكان صاحبَ الرِّدافَة وهو واقف بجَنْب النعمان فقال له

يا شريكا يا بنَ عمرو   هل مِنَ الموت مَحَالَهْ

يا أخا كل مُضاف   يا أخَا مَن لا أخَالَهْ

يا أخا النعمان فُكَّ الْ   يَوْمَ ضَيفا قد أتَى لَهْ

طَالَمَا عَالَجَ كَرْب الْ   مَوْت لا يُنْعِم بَالَهْ

فَأبى شَرِيك أن يَتَكَفَّل به فَوَثَب إليه رجل من كَلْب يقال له قُرَادُ ابن أجْدَع فقال للنعمان أبَيْتَ اللَّعْن هو عَلَيّ قال النعمان أفَعَلْت قال نَعَمْ فَضَمَّنَهُ إيَّاه ثم أمَر للطائي بخَمْسِمائة ناقةٍ فَمَضَى الطائي إلى أهله وجَعَل الآجَل حَوْلا مِن يَوْمِه ذلك إلى مِثْل ذلك اليوم مِن قابِل فلَمّا حَالَ عليه الحول وبقى من الآجَل يَوْمٌ قال النعمان لقُرَاد ما أراك الّا هَالِكا غَدًا فقال قراد

فإن يك صدْرُ هذا اليومِ ولّى   فانّ غَدَا لِنَاظِره قَرِيب

فلما أصبح النعمان ركبَ في خَيْله ورَجْله مُتَسَلِّحا كما كان يفعل حتى أتى الغَرِيَّيْنِ فَوَقَف بَيْنَهُما وأخْرَج مَعَه قُرَادًا وأمَرَ بقَتْله فقال له وُزَرَاؤه ليس لك أن تَقْتله حتى يستوفي يَوْمه فترَكَه وكان النعمان يشتهي أنْ يُقْتَل قُرَادٌ لِيُفْلَتَ الطفَبَيْنَما هم كَذَلِك إِذْ رُفِعَ اِئِي من القَتْل فلما كادت الشمس تَجِبُ وقُرَادٌ قائم مُجَرَّد في إِزَار على النِطَع والسَّيَّاف إلى جَنْبه أقْبَلَت امرأته وهي تقول

أيَا عَيْنُ بَكّي لِي قُرَادَ بْنَ أجْدَعَا رَهِينا لِقَتْل لا رَهِينا مُوَدّعا
أتَتْه المَنايَا بَغْتَةً دُونَ قَوْمه فأمْسَى أسِيراً حَاضِر البَيْت أضْرَعَا

فَبَيْنَما هم كَذَلِك إِذْ رُفِعَ لهم شَخْصٌ مِن بَعِيد وقد أمَرَ النُعْمان بِقَتْل قُرَاد فقِيل له ليس لك أن تَقْتُلَه حتى يأتِيكَ الشَخْصُ فَتَعْلم مَنْ هُو فَكفّ حتى انْتَهى إِلَيْهِم الرَّجُل فاذا هو الطَّائِيُّ فَلَمَّا نَظَر إليه النُعْمان شَقّ عليه مَجِيئهُ فقال له ما حَمَلَك على الرُّجُوع بَعْد إفْلَاتِك من القَتْل قال الوَفَاء قال وما دَعَاك إلى الوفاء قال ديني قال النعمان وما دِينُك قال النصرانيةُ قال النعمان فاعْرِضْها عَلَيّ فَعَرَضَها عليه فتَنَصَّر النعمان هو وأهْلُ الحِيرة أجمعون وكان قبل ذلك على دِين الجاهلية فتَرَك القَتْل مُنْذُ ذلك اليوم وأبْطَل تلك السُّنّة وأمَرَ بهَدْم الْغَرِيَّيْن وعَفَا عن قُرَاد والطائيّ وقال والله ضَمِنَه والله لا أكونَ ألْأَمَ الثلاثة فأنشأ الطائيّ يقول

ما كُنْتُ أخْلِف ظَنّه بعد الذي أسْدَى إليَّ منَ الفَعَال الخَالي
ولقد دَعَتْنِي للخِلاف ضَلَالَتِي فأبَيْتُ غيرَ تَمَجُّدِي وفَعَالي
إِنِّي امْرُؤ مِنِّي الوَفَاء سجِيَّة وجَزَاء كُلّ مُكَارِم بَذَّال

وقال أيضا يمْدَح قُرَادا

الَا انمّـا يَـسْمو إلى المَجْـد والعُـلى مَخَارِيقُ أمْثالُ القُـراد بـنِ أجْـدعَا

مَخَــارِيقُ أمْثَــال القُــرَاد وأهْلِـه فـانّهُم الاَخْيـار مِـنْ رَهْـطِ تُبَّعَـا

انتهى هذا المـشهور والـصحيح ان صـاحب الغَـرِيَّيْنِ ويـومِ البـؤس هـو المنـذر الاكبر

ان أخاك من آساك

يقال آسيت فلانا بما لي أو غـيره اذا جَعَلْتَـه أسْـوَةً لَـكَ وَوَاسَـيْتُ لُغَـة فيـه ومَعْنَى المَثَل أنّ أخـاك حقيقـةً مَـن قَـدَّمَك وآثَـرك عـلى نَفْـسه يُـضرَب في الحثّ على مراعاة الاخوان وأوّل مَن قال ذلـك خُـزَيم بـن نَوْفـل الْهَمْـداني وذلك أنّ النّعمان بن ثَوَاب العَبْدِي ثـم الـشَّنّي كـان لـه بَـنُن ثلاثـة سـعد وسعيد وساعِدة وكان أبُوهم ذا شَرَف وحِكْمة وكان يُوصِي بَنِيـه ويَحْملهُـم عَـلَى ادَبِـه أمّـا ابْنُـه سـعد فكـان شـجاعا بَطَـلا مـن شـياطين العَـرَب لا يُقَام لسبيله ولم تَفُتْه طَلِبَتُه قَطّ ولم يَفِرّ عن قِرْن أمّـا سـعيد فكـان يُـشْبه أباَه في شَرَفه وسُودَدِه وأمّا سـاعدة فكـان صـاحبَ شرَابٍ ونَـدَمى وإخْـوَانٍ فَلَمّا رأى الشيخُ حالَ بَنِيه دعا سعدا وكان صـاحب حِـرْب فقـال يـابُنَىّ انّ الصَّارِمِ يَنْبُو والجَوَاد يَكْبُو والأَثَـر يَعْفُـو فـاذا شَـهِدت حَرْبـا فرأيْـتَ نَارَهـا

تَسْتَعِر وبَطَلَها يَخْطِر وبَحْرَها يَزْخَر وضَعِيفَها يُنصَر وجَبَانَها يَجْسَرُ فأقْلِل المُكْث والانتِظار فان الفِرَار غَيْرُ عَار اذا لَم تكُن طَالِبَ ثار فانما يُنْصَرون هُمْ وإيّاك أن تكونَ صَيد رِمَاحِها ونَطِيح نِطَاحِها وقال لابنه سعيد وكان جَوَادا يابُنَيّ لا يَبْخَل الجَوَاد فابذل الطَارِفَ والتِلَاد وأقْلل التَّلَاح تُذْكَر بالسماح وابْلُ إخْوَانَك فان وافِيهِم قَلِيل واصْنَع المَعْروف عند مُحْتَمِله وقال لأبنه ساعدة وكان صاحب شَرَب يابُنَيّ ان كثْرَةَ الشَرَاب تُفْسد القَلْب وتُقَلِّل الكَسْب فأبْصِر نَدِيمَك واحْم حَرِيمَك وأعِن غَرِيمَك واعلم أن الظَمَأ القَامح خَيْرُ من الرّيّ الفَاضِح وعليك بالقَصْد فان فيه بَلَاغا ثم انّ أباهُم النُعْمان بنَ ثَوَاب تُوُفِّي فقال ابنُه سَعِيد وكان جَوَادا سَيِّدا لآخُذَنّ بِوَصيّة أبِي ولأبْلُوَنّ إخْوَانِي وثِقَاتِي في نفسي فَعَمَد إلى كَبْش فذبَحَه ثم وضعه في ناحية خِبائِه وغَشّاه ثوبا ثم دعا بعضَ ثِقاتِهِ فقال يا فلان ان أخاك مَن وَفَى لك بِعَهْده وحاطَك بِرفْده ونَصَرك بُودّه قال صَدَقْت فهل حَدَث أمْر قال نعم انّي قَتَلْت فُلَانا وهو الذي تَرَاه في نَاحِية الخِباءِ ولابُدّ من التَعاوُن عليه حتى يُوارَى فَمَا عندك قال يَالَها سَوْأة وَقَعْتَ فيها قال فانِّي أرِيد أن تُعِينَني عليه حتّى أغَيِّبَه قال لَسْتُ لك في هذا بصَاحِب فَتَرَكَه وخرج فبَعَث إلى آخَر مِن ثِقَاتِهِ فأخْبَرَه بذلك وسَأَلَ مَعُونَتَه فَرَدّ عليه مثلَ ذلك حتى بعث إلى عَدَد منهم كُلُّهم يَردُ عليه مثلَ جواب الاوّل ثم بعث إلى رجل من اخوانه يقال له خُزَيم بن نَوْفل وقال له يا خُزَيم ما لِي عندك قال ما يَسُرك وما ذَاكَ قال انِّي قَتَلْت فلانا وهو الذي تراه مُسَجَّى قال أيْسَر خَطْب فَترِيد مَاذَا قال أرِيد أن تُعِينَني حتّى أغَيِّبَه قال هَانَ ما فَزِعْت فيه إلى أخيك وغُلَام سعيد قائم مَعَهُما فقال له

خُزَيم هل اطّلَع على هذا الأمْر أحَدٌ غير غُلَامك هذا قال لا قال انظُرْ ما تَقُول قال ما قُلْتُ الَّا حَقّا فأهْوَى خُزَيم إلى غُلَامه فَضَرَبه بالسيف وقَتَله وقال ليس عَبْد أخًا لَكَ فأرْسلهَا مثلا وارتاع سعيد وفَزِعَ لِقَتْل غُلامه فقال وَيْحك ما صَنَعْتَ وجَعَل يَلُومه فقال خُزَيم إن أخَاك من آساك فأرْسَلَها مَثَلًا قال سعيد فانّي أرَدْت تَجْرِبَتَك ثم كَشَف عن الكَبْش وخَبَّرَه بِما لَقِى مِن إخْوانه وثِقَاتِهِ وما ردّوا عليه فقال خزيم سَبق السَّيْفُ العَذَل فَذَهَبَتْ مَثَلًا.

ألَا مَنْ يَشْتَرِي سَهَرًا بِنَوْم

قالوا ان أوّل من قال ذلك ذُو رُعَيْن الحِمْيَرِي وذلك أن حِمْيَر تَفَرَّقَت على مَلِكِها حَسّان و خَالَفَتْ أمْرَه لسوء سِيرته فيهم وكالوا إلى أخيه عَمْرو وحَمَلُوه على قَتْل أخيه حسان وأشاروا عليه بذلك ورغّبوه في المُلْك ووعده حُسْنَ الطاعة والمُوَازرة فَنَهَاه ذُو رُعَيْن مِن بين حِمْير عن قَتْل أخِيه وعَلم أنّه ان قَتَل أخَاه نَدِم ونَفَر عَنْه النَّوْم وانتقضت عليه أمُورُه وأنه سَيُعَاقِب الذي أشَار عليه بذلك ويَعْرِفَ غِشّهم له فلمّا رَأى ذُو عُيَن أنّه لا يَقْبَل ذلك منه وخَشِيَ العواقِبَ قال هذين البيتين الآتِيَيْن وكتبهما في صحيفة وختم عليها بخاتم عمرو وقال هذه وديعة لي عندك إلى أن أطلبها منك فأخذها عمرو فدفعها إلى خازنه وأمَرَه بَرفْعها إلى الخِزانة والاحتفاظ بها إلى أن يَسأل عنها فَلَمّا قَتَلَ أخَاه وجلس مَكَانَه في المُلْك مُنِع منه النَوْم وسُلّط عليه السَهَر فَلَمَّا اشتدّ ذلك عليه لَمْ يَدَعْ باليَمن

طَبِيبا ولا كَاهِنا ولا مُنَجِّما ولا عَرّافا ولا عَائِفا الّا جَمَعَهُم ثـم أخْـبَرَهم بِقـصّتِه وشَكا إليهم ما بِهِ فقالوا له ما قَتَل رَجُلٌ أخَـاه أوْ ذَا رَحِـم منـه عـلى نحـو مـا قَتَلْتَ أخَاكَ الّا أصَابَهُ السَهَر ومُنِع منه النوم فلما قالوا له ذلك أقْبَلَ عـلى مَـن أفْنَاهُم فَلَمّا وَصَل إلى ذِي رُعَيْن قال له أيُّها المَلِك ان لي عنْدَك بَرَاءة مـما تُرِيـد انْ تَصْنَع بي قال وما بَرَاءَتُك وآمَانُك قال مُرْا خازِنَك أن يُخْـرِج الـصَحِيفة التـي اسْتَوْدَعْتُكَهَا يوم كذا وكذا فأمَرَ خازِنَه فأخْرَجَها فنظر إلى خاتمه ثم فَـضّها فـاذا فيها

الَا مَــن يَــشْتَرِي سَــهَرًا بِنَــوْم سَـعيدٌ مَـن يَبِيـتُ قَرِيـرَ عَـيْنِ
فأمّــا حِمْــيَرٌ غَــدَرَتْ وخَانَــتْ فَمعْــذرَة الِا لَــه لِــذِي رُعَــيْنِ

ثم قال أيُّها قد نَهَيْتُك عن قَتْل أخِيـك وعَلِمْـت أنّـك إن فَعَلْـتَ ذلـك أصَابَك الذي قد أصّابك فَكَتَبْت هذين البَيْتَين بَرَاءَةً لِي عندك مما عَلِمْـت أنّـك تَـصْنَع بمَن أشَار عَليك بقَتْل أخِيك فَقَبِل ذلك مِنه وعَفَا عَنْه وأحْسن جَائِزَتَه

ان العَصَا مِنَ العُصَيَّة

قال أبو عبيد هكذا قال الاصْمَعِيّ وأنَا أحْسِبُه العُصَيَّة من العَـصَا الا أن يُرَاد أن الشئ الجليل يكون في بَدْء أمْره صَغِيرا كما قـالوا إِن الْقَـرْم مِـنَ الأفِيلِ فَيَجُوز حينئذ على هذا المعنى أن يُقَال العَصَا مـن العُـصَيَّة قـال المُفَضّل أوّل مَن قال ذلك الَافْعَى الجُرْهُمِيّ وذلك أن نِزَارا لَـمّا حَـضَرَتْه

الوَفَاة جَمَعَ بَنِيه مُضَرَ وإيَادًا ورَبِيعةَ وأَنْمَارًا فقال يـابَنِيّ هـذه القُبّـة الحَمْـرَاء وكانت من أدَم لِمُـضَرَ وهـذا الفَـرَس الادْهَـم والخِبَـاء الاَسْـوَد لِرَبيعَـة وهـذه الخَادِم وكانَتْ شَمْطاء لايادٍ وهـذه البَـدْرَة والمَجْلِـس لأنْمـار يَجْلِـس فيـه فـإنْ أشْـكَلَ عَلَـيْكُم كَيْـفَ تَقْتَـسِمون فَـأتُوا الاَفْعَـى الجُرْهُمِـيّ ومَنْزِلُـه بِنَجْـرانَ فَتَشاجَرُوا فِي مِيراثِه فَتَوَجَّهُوا إِلَى الْاَفْعَى الجُرْهُمِيّ فَبَيْنَما هُمْ فِي مَسِيرهم إليـه اذ رأى مُضَر أثَر كَلَأٍ قد رُعِيَ فقال إنّ البَعِيرِ الذّي رَعَى هَذَا لأَعوَرُ قـال ربيعـة إِنّه لَأَبْتَرُ قال أنْمارُ انَّه لَشَرُودٌ فسارُوا قَلِيلا فاذا هُمْ بِرَجُل يُنْشِد جَمَلَه فَـسَأَلَهُم عن البَعِير فقال مُضَر أهُو أعْور قال نَعَمْ قال رَبيعة أهُـو أزْوَر قـال نعـم قـال إياد أهُو أبْتَرُ قال نعم قال أنْمار أهُو شَرُودٌ قال نعم وهذه والـلـه صِفَةُ بَعِيرِي فَدُلُّونِي عليه قالوا والـلـه ما رَأيْناهُ قال هذا والـلـه الكَذِب وتَعَلّـق بهـم وقـال كيف أصدِّقكم وأنْتُم تَصِفُون بَعِيرِي بِصفَته فَساروا حتـى قَـدِموا نَجْـرانَ فَلَـمّا نَزَلُوا نادَى صاحبُ البَعِيرِ هَؤلَاء أخَذُوا جَمَلِي ووَصَـفُوا لِي صِـفَتَه ثـم قـالوا لَـمْ نَرَه فاخْتَصَمُوا إلى الاَفْعَى وهو حَكَم العرب فقال الاَفْعَى كيـف وصـفتموه ولم تَرَوْهُ قال مُضَرُ رَأيْتُه رَعَى جَانِبًا وتَرَكَ جَانِبًـا فعَلِمْـتُ أنّـه أعْـوَرُ وقـال رَبيعـة رَأيْتُ إحْدَى يَدَيْه ثَابِتَةَ الاَثَر والأُخْرَى فاسِدَتَه فعَلِمْتُ أنـه أزْوَر لاَنّـه أفْـسَدَه لِشِدّة وَطْئِه لازْوِرارِه وقال إيَادٌ عَرَفْتُ أنّه أبْتَرُ باجْتِماعِ بَعْـرِه ولـو كـان ذيّـالًا لمَصَعَ به وقال أنْمار عَرَفْتُ أنّه شَرُود لِاَنّه كان يَرْعَى فِي المَكَان المُلْتَفّ نَبْتُـه ثـم يَجُوزُه إلى مكانٍ أرَقّ منه وأخْبَث نَبْتا فَعَلِمْتُ أنـه شَرُود فَقَـال لِلرَّجُـل لَيْـسُوا بأصْحَاب بَعِيرك فاطْلُبْه ثم سألَهُم مَنْ أنْتُم فَأخْبَرُوه فَرَحَّب بِهِمْ ثم أخْبَرُوه بمـا جاءَ بِهِم فقال أتَحْتاجُون إلَيّ وأنْتُم كَما أرَى ثُمَّ أنْزَلهم فَذَبَحَ لهم شَاةً وأتـاهُمْ

بخَمْرٍ وجَلَس لهم الأفْعَى حَيْثُ لا يُرَى وهو يَسْمَع كَلَامَهُم فقال رَبِيعَةُ لَمْ أرَ كالْيَوْم لَحْمًا أطْيَبَ مِنه لولا أنّ شَاتَه غُذِيَتْ بِلَبَنِ كَلْبَةٍ فقال مُضَرَ لَمْ أرَ كَالْيَوْم خَمْرا أطْيَبَ منه لولا أنَ حُبْلَتَها نَبَتَتْ على قَبْرٍ فقال إيَادٌ لَمْ أرَ كالْيَوم رَجُلًا أسْرَى منه لولا أنّه لَيْس لِابِيه الذي يُدْعَى لَهُ فقال أنْمَار لَمْ أرَ كَالْيَوْم كَلَاما أنْفَعَ في حاجَتِنا مِن كَلَامِنَا وكان كَلَامُهم بأذُنِهِ فقال ما هَؤُلاء الّا شَيَاطِين ثُمَّ دَعَا القَهْرَمَان فقال ما هذه الخَمْرُ وما أمْرُها قال هى من حُبْلَةٍ غَرَسْتُها على قَبْرِ أبِيكَ لَمْ يَكُن عِندنَا شَرَابٌ أطْيَبُ منْ شَرَابها وقال للرَّاعي ما أمْرُ هَذِه الشاة قال هى عَنَاقٌ أرْضَعْتُها بِلَبَن كَلْبَة وذلك أنّ أمَّها كانت قد مَاتَتْ ولم يَكُنْ في الغَنَم شَاةٌ ولَدَتْ غَيْرها ثم أتى أمه فَسَألَهَا عَنْ أبِيه فأخْبَرَتْه أنّها كانَتْ تَحْتَ مَلِكٍ كَثير الْمَال وكان لا يُولَدُ له قالَتْ فَخِفتُ أنْ يَموت وَلَا وَلَدَ لَهُ فَيَذْهَبُ المُلك فأمْكَنْتُ مِن نَفْسِي ابْنَ عَمّ لَهُ كانَ نَازِلا عَلَيه فَخَرجَ الافْعَى إلَيْهم فَقَصّ القَوْمُ عليه قِصَّتَهم وأخْبَرُوه بِمَا أوْصَى بِه أبُوهُمْ فقال ما أشْبَهَ القُبَّةَ الحَمْرَاء مِنْ مَالٍ فهو لِمُضَر فذهب بالدَّنَانِير والأبِل الحُمْر فَسُمّى مُضَر الحَمْراء لذلك وقال وأمّا صَاحِبُ الفَرَس الأدْهَمِ والخِبَاء الأسْود فَلَهُ كُلُّ شئ أسْوَد فصارت لِرَبيعة الخَيْل الدُّهْم فَقيل رَبيعة الفَرَس وما أشْبَه الخَادِمَ الشَمْطَاء وقَضَى لِأنْمار بالدَرَاهِم وبِما فَضَل فسمِّى أنْمار الفَضْل فَصَدَرُوا مِن عِنده على ذلك فقال الَافْعَى إنّ العَصَا مِنَ العُصَيّة وإن خُشَيْنا مِنْ أخْشَن ومُساعدة الخَاطِل تُعَدّ مِن البَاطِل فأرسلهنّ مثلا وخُشَيْن وأخْشَن جبَلَانِ أحدُهما أصغَر مِنَ الاخر والخَاطِل الجَاهِل والخَطَل في الكلام اضْطِرابه والعُصَيَّة تَصْغِير تكْبِيرٍ مِثْل أنَا عُذَيْقُها المُرَجَّب وجُذَيْلُها المُحَكَّك والمُراد أنّهم

يُشْبِهُون أبَاهُمْ فِي جَوْدة الرّأيِ وقيل انّ العَصَا اسمُ فَرَس والعُصَيّة اسم أمّه يُرَاد أنَّه يَحْكِي الأم فِي كَرَم العرقْ وشَرَف العِتْق.

خطب يسير في خطب كبير

قاله قَصِير بن سَعْد الّلْخمِيّ لجَذِيمة بن مالك بن نَصْر الذي يُقال له جَذِيمة الاَبْرَش وجَذِيمة الوَضّاح والعرب تقول للّذي بِهِ البَرَص بِهِ وضَحَ تَفَاديًا من ذِكْر البَرَص وكان جَذِيمة مَلِكَ ما عَلَى شاطئ الفُرَات وكانت الزَّبّاء مَلكة الجَزِيرة وكانت مِن أهل باجَرْمَا وتَتَكَلَّم بالعربية وكان جَذِيمة قد وتَرَها بقَتْل أبِيها فلما استجمَعَ أمْرُها وانتظَمَ شَمْلُ مُلْكها أحبَّتْ أنْ تَغْزُوَ جَذِيمة ثم رَأت أنْ تَكْتُب إليه أنّها لَمْ تَجِدْ مُلْكَ النّساء إلَّا قَبِيحا فِي السمَاع وضَعْفًا فِي السُلْطان وأنّها لَمْ تَجِدْ لِمُلْكِها موْضِعا ولا لِنَفْسها كُفُؤا غَيْرك فأقْبِلْ إلىَّ لِأجْمَعَ مُلْكِي إلى مُلْكَكَ وأصِلَ بِلادِي ببلادك وتُقَلِّد أمْري مع أمْرك تريد بذلك الغَدْر فلما أتَى كتابُها جَذِيمة وقدِم عليه رُسُلها استَخَفّه مادَعَتْه إليه ورَغِب فيما أطْمَعَتْه فيه فَجَمَع أهْلَ الحَجِا والرّأي من ثِقَاتِه وهو يومئذ بِبَقّة من شاطِئِ الفُرات فَعَرَض عليهم ما دَعَتْه إليه وعَرَضَتْه عليه فاجْتَمَع رأيُهم على أن يَسِير إليها فيستَوْلي على مُلْكها وكان فيهم قَصِير وكان أرِيبًا حازِما أثِيرا عند جَذِيمة فَخَالَفَهُمْ فيما أشَاروا به وقال رَأيٌ فاتِر وغَدْر حاضِر فَذَهَبَت كلِمته مَثَلا ثم قال لجَذِيمة الرَّأي أنْ تَكْتُب إليها فإن كانت صادِقة فِي قَوْلها فَلْتُقْبِلْ إليك والّا لَمْ

تمكِّنْها مِن نَفْسك ولَمْ تَقَع في حِبَالَتِها وقد وتَرتْهَا وقَتَلْتَ أبَاها فلم يُوَافِق جَذِيمة ما أشار به فقال قِصير

إنّي امْرُؤ لا يميل العَجْزُ تَرْوِيَتِي　　　اذا أتَتْ دُونَ شَأبِي مِرّةُ الرُّزَمِ

فقال جَذِيمة لَا ولَكِنَّك امْرُؤ رَأيُك في الكِنّ لا في الضِّحّ فذهَبت كلمتُه مَثَلا ودَعَا جَذِيمة عَمْرَو بنَ عَدِيٍّ ابنَ أخْته فاستشاره فشجَّعه على المسِير وقال انّ قَوْمِي مع الزّبَاء ولَوْ قَدْ رَأوْك صاروا مَعَك فأحَبَّ جَذِيمة ما قاله وعَصَى قَصِير لا يُطاع لقَصيرٍ أمْرٌ فَذَهَبَت مَثَلا واسْتَخْلَف جَذِيمة عَمْرَو بن عَدِيٍ عَلَى مُلْكه وسُلْطانِه وجَعَلَ عَمْرَو ابنَ عبِد الجِنّ معه على جُنُوده وخُيُوله وسار جذيمة في وُجُوه أصحابه فأخَذ على شاطِئ الفُرَات من الجانب الغَرْبِيّ فلما نَزَل دعا قِصيرا فقال ما الرَّأيُ يا قَصِير فقال قِصير ببَقَّةَ خَلَّفْتُ الرَّأيَ فَذَهَبَتْ مَثَلا قال وما ظَنُّك بالزَّبّاء قال القَوْلُ رِدَاف والحَزْم عَثَرَاتُه تُخَاف فذهبت مثلا واسْتَقْبَلَه رُسُل الزَّبّا بالهدَايا والألْطاف فقال يا قصير كيف تَرَى قال خَطْبٌ يَسِير في خَطْب كَبير فذهبت مثلا وستَلْقَاك الخُيُول فإنْ سَارتْ أمَامَك فالمَرأة صادِقة وان أخَذَت جَنْبَتَيْكَ وأحَاطَتْ بك مِن خَلْفك فالقَوْم غَادِرُون بك فاركَبِ العَصَا فانّه لا يُشَقُّ غُبارُها فَذَهَبَتْ مثلا وكانت العصا فَرَسا لجَذِيمة لا تُجَارَى وإنّي رَاكِبها ومُسَايِرُكَ عليها فَلَقِيَتْه الخُيُول والكَتائِب فَحَالَتْ بَيْنَه وبَيْن العَصَا فرَكَبها قَصِير ونظر إليه جَذِيمة على مَتْن العصا مُوَلِّيا فقال وَيْل أمِّه حَزْما على مَتْن العَصَا فَذَهَبَتْ مثلا وجَرَت به إلى غروب الشمس ثم نَفَقَت وقد قَطَعَت أرْضا بَعِيدة فَبَنَى عليها بُرْجا يقال له بُرْج العَصَا وقالت العرب

خَيْرٌ مّا جَاءت به العَصَا فذهبت مثلا وسار جذِيمة وقد أحاطت به الخليل حتى دَخَل على الزّبّاء فرآها على غير أُهْبة العَرُوس فقال بَلَغ الْمَدَى وجَفّ الثَّرَى وأمْرَ غَدْرٍ أرَى فذهبت مثلا ودَعَت بالسيف والنِطَع ثم قالت انّ دِمَاءَ المُلُوك شِفَاء من الْكَلَب فأمَرَتْ بطَسْت منْ ذَهَب قد أعَدّتْه له فَسَقَتْه الخمرَ حتى سَكِر وأخَذَت الخمرُ منه مَأخَذَها فأمَرَتْ بِرَاهِشَيه فَقُطعا وقَدّمتْ إليه الطَّسْت وقد قِيل لها إنْ قَطَر مِن دَمِه شئ في غير الطَّسْت طُلِب بِدَمِه وكانت المُلُوك لا تُقْتَل بضَرْب الأعْناق إلا في القِتَال تَكْرِمة لِلْمَلك فَلَمّا ضَعُفَتْ يَدَاهُ سَقَطَتَا فَقَطَر مِن دَمِه في غير الطست فَقالت لا تُضَيّعوا دَمَ المَلِك فَقَال جَذِيمة دَعُوا دَمًا ضَيَّعَه أهْلُه فذهبت مثلا فَهَلَك جَذِيمة وجَعَلَت الزّبّاء دَمَه في رَبْعَةٍ لها وخَرَج قَصِير من الحَيّ الذي هَلَكَت العَصَا بين أظهُرِهِم حتى قَدِم على عَمْرو بن عَدِيّ وهو بالحِيرة فقال له قَصِير أثَائِرُ أنْتَ قال بَلْ ثائِر سَائِر فَذَهَبَتْ مثلا ووافَقَ قصير الناسَ وقد اخْتَلَفُوا فَصَارت طائفة مع عَمْرو بن عديّ الّلخْمي وجماعة منهم مع عمرو بن عبد الجِنّ الجَرْمِيّ فاخْتَلَف بَيْنَهُما قصِير حتى اصْطَلَحَا وانْقَاد عَمْرو بن عَبْدِ الجِنّ لعَمْرو بن عَدِيّ فقال قصِير لعَمْرو بن عَدِيّ تَهَيّأ واسْتَعَدّ ولا تَطُلّنّ دَمَ خَالِك قال وكَيْفَ لِي بها وهى أمْنَعُ مِن عُقَابِ الْجَوّ فَذَهَبَتْ مَثَلاً وكانت الزّبّاء سألَتْ كاهنَة لها عن هَلَاكِها فقالت أرَى هَلَاكَكِ بسَبَب غُلَام مَهِين غَيْر أمِين وهو عَمْرو بن عَدِيّ ولَنْ تَمُوتِي بيَدِه ولِكن حَتْفُك بِيَدِكِ ومِنْ قِبَله ما يكونُ ذَلِك فَحَذِرتْ عمرا واتَّخَذَتْ لَها نَفَقًا من مَجْلسها الذي كانت تَجْلس فيه إلى حِصْن لها في داخل مَدِينتها وقالت ان فجأني أمْرٌ دَخَلْتُ النَفَق إلى حِصْنِي

ودَعَتْ رجُلا مُصوِّرا مِنْ أجْوَد أهلْ بِلادِهـم تـصوِيرا وأحـسنِهِم عَمَـلا فجهَّزَتْـه وأحْسَنَتَ إليه وقالت سِرْ حَتَّـى تَقْـدَم عـلى عَمْـرو ابـن عَـدِيّ مُتَنَكّـرا فَتَخْلُـو بحَشَمِه وتَنْضَمّ إليهم وتُخَالِطُهم وتُعْلِمُهم مـا عِنْـدَك مـن العِلْـم بالـصُّوَر ثـم أثْبِتْ لِي عَمْرو بنَ عَدِيّ مَعْرِفَةً فَصَوِّرْهُ جالسا وقائما وراكبا ومُتَفَضِّلا ومتـسلّحا بهَيأته ولِبْسته ولَوْنِه فإذا أحْكَمْتَ ذلك فَأقْبِلْ إليّ فانْطَلَقَ المُـصَوِّر حتـى قـدِم على عمرو بن عدي وصَنَعَ ما أمَرَتْه به الزّبّاء وبَلَغ من ذلك ما أوْصَـتْه بـه ثـم رَجَع إلى الزّبّاء بِعَمَلِ ما وَجَّهَتْه لـه مـن الـصُّورة عـلى مـا وَصَـفَتْ وأرادَتْ أنْ تَعْرِف عَمْرو بنَ عَدِيّ فلا تَرَه على حالٍ إلّا عَرَفَتْه وحَذِرَتْه وعَلِمَتْ عِلْمَه فقال قصير لعمرو بن عدي اجْدَعْ انْفِي واضْرِبْ ظَهْرِي ودَعْنِي وإيَّاهـا فقـال عمـرو ما أنا بفاعل وما أنْتَ لِذَلِكَ مُسْتَحِقّا عندي فقال قصِير خَـلّ عَنِّـي اذًا وخَـلَاكَ ذَمٌّ فذهبت مثلا فقال له عمرو فأنْتَ أبْصَر فجدَع قصير أنفه وأثَّر آثارا بظَهْره فقالت العرب لامر مّا جَدَعَ قَصِير أنْفَه وفي ذلك يقول المتلمس.

وفي طَلَب الاوْتَار ما حَزّ أنْفَه قصِير ورَام المَوْت بالسيف بَيْهس

ثم خَرَج قصير كأنّه هارِبٌ وأظْهَرَ أنّ عَمْـرًا فَعَـل ذلـك بـه وأنّـه زَعَـم أنّـه مَكَـرَ بخَاله جَذِيمة وغَرّه من الزَّبّاء فسار قصير حتـى قـدِم عـلى الزبـاء فقيـل لهـا ان قصيرا بالباب فأمَرَت بـه فأدْخـل عليهـا فـاذا أنْفُـه قـد جُـدِعَ وظَهـره قـد ضرِب فقالت ما الَّذِي أرَى بِكَ يا قصير قال زَعَم عَمْرو أنِّي قد غَرَرْتُ خَالَه وَزَّيْنـت لـه المَصِير إليك وغَشَشْتُه ومَالَأتُكِ فَفَعَل بِي مـا تَـرَيْنَ فأقْبَلْـتُ إليـك وعَرَفْـتِ أنِّي لا أكُون مَعَ أحَدٍ هو أثْقَلُ عليه مِنْك فأكْرَمَتْه وأصَـابَتْ عنـدَه مِـن الحَـزْم والـرَّأي ما أرَادَتْ فَلَمّا عَرَف أنّها اسْتَرْسَلَتْ إليـه ووثِقَـتْ بـه قـال إنّ لي بـالعِرَاق أمْـوالا

كثيرة وطَرَائفَ وثِيَابًا وعِطْرًا فابْعثِيني إلى العراق لأحْمِل مالِي وأحْمِل إليك مِن بُزُورها وطَرائِفها وثيابها وطِيبها وتُصيبِينَ في ذلك أرْباحاً عِظَامًا وبَعْض مَالَا غِنًى بالمُلُوك عنه وكان أكْثَرَ ما يُطْرِفُها من التَمْر الصَّرَفَان وكان يُعْجِبُها فلَمْ يَزَل يُزَيِّن ذلك حتى أذنَتْ له ودفَعَتْ له أموالا وجَهَّزَت معه عَبِيدا فَسَار قَصِير بِما دَفَعَتْ إليه حتى قدِم العِرَاق وأتى الحِيَرة مُتَنَكِّرًا فدخل على عَمْرو فأخْبَرَه الْخَبَرَ وقال جَهِّزْنِي بصُنُوف الْبَزّ والامْتِعَة لَعلّ الله يُمكّن مِنَ الزَّبَّاء فَتُصِيبَ ثَأْرَكَ وتَقْتُل عَدُوَكَ فَأَعْطَاهُ حاجَتَه فَرَجَعَ بذلك إلى الزَّبَّاء فأعْجَبَها ما رَأتْ وسَرّها وازْدَادَتْ به ثِقَةً وجَهَّزَتْه ثَانِية فسار حتّى قَدِم على عَمْرو فَجَهَّزه وعادَ إلِيها ثم عادَ الثالِثة وقال العمرو اجْمَعْ لِي ثِقَات أصْحابِك وهَيِّئ الغَرَائِر والمُسوح واحْملْ كُلَّ رَجُلَينِ على بَعير في غِرَارَتَيْنِ فاذا دَخَلوا مَدِينة الزّبّاء اقَمْتُك على باب نَفَقها وخَرَجَت الرِّجال من الغَرَائر فَصَاحُوا بأهلْ المدينة فَمَنْ قاتَلَهُم قَتَلُوه وان أقْبَلَتِ الزّبّاء تُريد النَفَقَ جَلَّلتْهَا بالسَيْف فَفَعَل عَمْرو ذلك وحَمَل الرِّجال في الغَرائر بالسلاح وسار يَكْمُنُ النَهَار ويسير اللَّيْلَ فلما صار قرِيبا من مَدِينَتِها تَقَدّم قصير فَبَشَّرَها وأعْلَمَها بِما جاء به من المَتاع والطَرائف وقال لها آخِر البَزّ على القَلُوص فأرْسَلَها مثلا وسألَها أن تَخْرُج فَتَنْظُر إلى ما جاء به وقال لها جئتُ بِما صاء وصَمَتَ فذَهَبَتْ مثلا ثم خرجت الزّبّاء فأبْصَرت الابِلَ تكاد قوَائِمها تَسُوخ في الأرض مِن ثِقَل أحْمَالِها فقالت يا قصير

مَا لِلْجِمال مَشْيُها وَئِيدا أجَنْدَلًا يَحْمِلْن أمْ حَدْيدَا

أمْ صَرَفَانًا تارِزًا شَدِيدا

فقال قصير في نَفْسه

هذا من قول الحَمْراء بنت ضَمْرة بن جابر وذلك أنّ بني تَمِيم قَتَلُوا سَعْدَ بنَ هِنْد أخا عَمْرو بن هِنْد المَلِكِ فَنَذر عَمْرو لَيَقْتُلَنّ بِأخيه مائَةً مِنْ بَنِي تميم فَجَمَع أهْل مَمْلكتِه فَسارَ إليهم فَبَلَغَهُمُ الخَبَر فَتَفرّقُوا في نَواحِي بِلادِهم فَأتَى دارَهُم فَلَم يَجِد إلّا عَجُوزا كَبِيرة وهى الحَمْراء بنْت ضَمْرة فَلَمّا نَظَر إليها وإلَى حُمْرَتها قال لها إنِّي لَأحْسِبك أعْجَمِيّة فقالت لا والّذي اسْألُهأ أنْ يَخْفِض جَناحَك ويَهُدَّ عِمادَك ويَضَع وِسادك ويَسْلُبكَ بِلادَك ما انا بأعْجَمِيّة قال فَمن أنْتِ قالت أنا بِنْتُ ضَمْرة بن جابر سادَ مَعَدًّا كابراً عن كابرِ وأنا أخْت ضَمْرة بن ضمرة قال فَمن زَوْجُك قالت هَوْذَةُ بن جَرْوَل قال وأيْنَ هو الآن أمَا تَعْرِفِين مَكانَه قالت هذه كِلمة أحْمَق لو كُنْتُ أعْلَمُ مكانه حالَ بَيْنَك وبَيْنِي قال وأيّ رَجُل هُو قالت هذه أحْمَقُ من الاولى أعَنْ هَوْذَة يُسْئلُ هُوَ والله طَيِّب العِرْق سَمِينُ العَرْق لا يَنام لَيْلَة يَخافُ ولا يشْبَع لَيْلَةَ يُضاف يَأكُل ما وَجَد ولا يَسْأل عَمّا فَقَد فقال عَمْرو أمَا والله لَوْلا أنِّي أخاف أنْ تَلِدِي مِثْل أبِيكِ واخِيك وزَوجِكِ لَاسْتَبْقَيْتُكِ فقالت وأنتَ والله لاتَقْتُل الا نِساء اعالِيها ثُدِيّ وأسافلها دُمِيّ والله ما أدْرَكْتَ ثارًا ولا مَحَوْتَ عارا وما مَنْ فَعَلْت هذِهِ به بِغافلٍ عنك ومَعَ اليَوْم غَد فَأمَر باحْرَاقِها فَلَمّا نَظَرَت إلى النار قالت ألَا فَتًى مكان عَجُوز فَذَهَبَتْ مثلا ثم مكثت ساعةً فلم يَفْدِهَا أحَد فقالت هيهات صارَتْ الفِتْيانُ حُمَمًا فَذَهَبت مثلا ثم ألْقِيتْ في النّار ولَبِثَ عمرو

عَامَّة يَوْمِه لا يَقْدِر على أحَدٍ حتى اذا كان في آخر النَهار أقْبَلَ راكب يُسَمَّى عَمَّارا تُوضِعُ به رَاحِلَتُه حتى أنَاخ إليه فقال له عَمْرو مَن أنْتَ قال أنَا رَجُل من البَرَاجِم قال فما جاءَ بِكَ إلَيْنَا قال سطع الدُّخَان وكُنْت طَوَيْتُ مُنْذ أيَّام فَظَنَنْتُه طَعَاما فقال عمرو ان الشَّقيّ وافِدُ البَرَاجِمِ فذهَبَتْ مَثَلا وأمَرَ به فَأُلْقِيَ في النّار فقال بَعْضُهم ما بَلَغنا أنه أصَابَ مِن بَني تَمِيم غَيْرَه وانما أحْرَق النِساءَ والصِبْيَان وفي ذلك يقول جرير

وأخْزاكُم عَمْرو كما قد خَزِيتُمْ ... وأدْرَك عَمَّارًا شَقِيَّ البرَاجِم

ولذلك عُيرت بَنُو تَمِيم بحُبّ الطعام لِمَا لَقِيَ هذا الرجل قال الشاعر

اذا ما مات مَيْتٌ مِن تَمِيم ... فَسَرَّك أنْ يَعِيش فَجِئْ بِزاَد

بخُبْز أو بَلْحم أم بتَمْرٍ ... أو الشَئْ المُلَفَّ في البِجَاد

تَرَاه يُنَقّب الآفاق حَوْلا ... لِيَأكُلْ رَأس لُقْمان بْنِ عَادِ

عند جُهَيْنة الخَبَرُ اليَقِين

قال هِشام بن الكَلْبي كان مِن حَديثه أنّ حُصينَ بنَ عَمْرو بنِ مُعَاوِيَة بن كلَاب خرج ومَعَه رَجُلٌ مِن جُهَيْنَة يقال له الاخنس بن كَعْب وكان الاخنس قد أحَدث في قومه حَدَثا فخرج هاربا فلقيَه الحُصَيْن فقال مَنْ أنْتَ ثَكلَتْكَ أمُّك فقال له الاخنس بَلْ مَنْ أنت ثكلتك أمّك فردّد هذا

القَوْلَ حتى قال الاخنس أنَا الاخنس بن كَعْب فأخْبِرْني مَنْ أنْتَ وإلّا أنْفَذْتُ قَلْبكَ بهذا السِّنَان فقال له الحصين أنا الحصين بن سُبَيْع الغَطَفَانِي فقال له الاخنس فما الذي تريد قال خرجت لِمَا يَخْرجُ له الفِتْيان قال الاخنس وأنَا خَرَجْت لِمثْل ذلك فقال الحصين هَلْ لك أنْ نَتَعاقَدَا أنْ لا نلْقَى أحَدًا من عَشيرتك أو عَشِيرتِي إلّا سَلَبْنَاه قال نَعَم فتعاقَدَا على ذلك وكِلَاهما فاتكٌ يَحْذَر صاحِبَه فَلَقِيَا رَجُلا فَسَلَبَاه فقال لهما هل لَكُما أن تَرُدّا علىَّ بَعْض ما أخَذْتُمَا منّي وأدُلُّكُما على مَغْنَم قالا نَعَمْ فقال هذا رَجُل مِن لَخْم قد قَدِمَ مِن عندِ بعض الملوك بمَغْنم كثِير وهو خَلْفِي في موضع كذا وكذا فَرَدَّا عليه بعضَ مالِه وطَلَبا الَّلخمِيّ فوجَدَنَاه نازِلا في ظِلّ شَجَرة قُدّامَه طَعَام وشَرَاب فَحَيَّيَاهُ و حَيَّاهُما و عَرَض عليهما الطَعَام فكَرِه كلُّ واحد أنْ يَنْزِلْ قَبْلَ صاحِبه فَيَفْتِك به فَنَزَلا جَمِيعا فَأكلا وشَرِبا مَعَ اللّخْمِيّ ثم انّ الاَخنس ذَهَبَ لبَعْض شَأنِه فرجَعَ واللخْمِيُّ يَتَشَحَّط في دَمِه فقال الجُهَنيّ وهو الاَخنس وسَل سيفَه لانّ سيف صَاحِبه كان مَسْلولا ويْحَك فَتَكْتَ بِرَجُل قد تَحَرَّمْنا بطعَامِه وشَرَابه فقال اقْعُدْ يا أخا جُهَينة فلِهَذَا وشِبْهِه خَرَجْنا فَشَربا سَاعة وتَحَدّثا ثم انّ الحُصَين قال يا أخا جُهَينة أتَدْرِي ما صَعْلة وما صَعْل قال الجهني هذا يومُ شُرْب وَأكْل فسكت الحُصَيْن حتى اذا ظنّ أن الجهني قد نسِى ما يُرَاد به قال ياَ أخا جُهَيْنَة هل أنتَ للطَّير زَاجِرٌ قال وما ذَاكَ قال ما تَقولُ هذه العُقَاب الكاسر قال الجهني وأيْنَ تَرَاها قال هِىَ ذِه وتَطَاوَلَ ورفَعَ رَأسه إلى السَمَاء فَوضَعَ الجُهَني بادِرةَ السيف في نَحْره فقال أنَا الزّاجِرُ والنّاحِر واحْتَوَى على مَتَاعِه ومتاع اللخمي وانْصَرَف راجعا إلى قَوْمه فَمَرّ ببَطْنَيْنِ

مِن قَيْس يُقَال لَهُما مَرَاحٌ وأَنْمَار فاذا هو بامْرَأةٍ تَنْشُد الحُصَين بن سبيع فقال لها مَنْ أنْتِ قالت أنا صَخْرة امرأة الحصين قال أنا قَتَلْتُه فقالت كَذَبْتَ ما مِثْلُك يَقْتُل مِثْلَه أمَا لَوْ لَمْ يكُن الحَيُّ خِلْوًا ما تَكَلَّمْتَ بهذا فانْصَرَف إلى قومه فَأَصْلَح أمرهم ثم جاءهم فَوَقَفَ حيث يُسْمِعُهم وقال

وكَمْ مِن ضَيْغَم وَرْدٍ هَمُوسٍ أبِي شِبْلَيْن مَسْكَنُه العَرِينُ

عَلَوْتُ بَيَاضَ مَفْرِقِه بَعَضْبٍ فأَضْحَى في الفَلاة لَهُ سُكونُ

وأضْحَت عِرْسُه ولَهَا عليه بُعَيْدَ هُدُوءِ لَيْلَتِها رَنِينُ

وكَمْمن فارسٍ لا تَزْدَرِيه اذا شَخَصَتْ لِمَوْقِعِه العُيُون

كصَخْرة إذْ تُسائِلُ في مَرَاح وأَنْمَارٍ وعِلْمُهُما ظنُوْنُ

تُسائل عن حُصَين كُلَّ رَكْبٍ وعنْد جُهَينَةَ الخَبَرُ اليَقِين

فَمَنْ يك سائلا عنه فعِنْدِي لِصَاحبه البَيَان المُسْتَبِينُ

جُهَيْنَةُ مَعْشَرِي وهُم مُلوك اذا طَلَبُوا المَعَالِي لم يَهُونوا

قال الأَصْمَعِيّ وابن الأَعْرابِي هو جفينة بالفاء وكان عِندَه خَبَر رجل مقتول وفيه يقول الشاعر

تُسائلُ عَن أبيها كُلَّ رَكْب وعند جُفَيْنَةَ الْخَبَرُ اليَقِينُ

قال فسألُوا جُفَيْنة فأَخْبَرَهُم خَبَرَ القَتِيل وقال بعضهم هو حُفَينة بالحاء المهملة يُضْرَب في معرفة الشئ حقيقة

ويُرْوَى كِلَيْهِما أوّل مَن قال ذلك عَمْرو بن حُمْران الجَعْدِي وكان حُمْران رجلا لَسِنا مَارِدًا وأنّه خَطَب صَدُوف وهى امرأة كانت تأْبِد الكَلَام وتَسْجَع في المنطِق وكانت ذات مالٍ كثير وقد أتاها قوم كثير يخطبُونها فَردّتْهم وكانت تَتَعَنَّت خُطَّابَهَا في المسألة وتقول لا أتَزَوّج إلّا مَنْ يَعْلَم ما أسْألُه عنه ويُجِيبُني بكلامٍ على حَدّه لا يَعْدُوه فلما انتهى إليها حُمْران قام قائما لا يجلس وكان لا يأتيها خاطبٌ الّا جَلَس قبل إذْنِها فقالت ما يَمْنَعُك من الجلوس قال حتى يُؤْذَنَ لِي قالت وهل عليك أمِير قال رَبّ المَنْزل أحَقّ بِفِنائِه ورَبُّ الماء أحَقّ بِسقَائِه وكُلٌّ لَهُ مَا فِي وِعائِه فقالت اجْلِسْ فجلس قالت له ما أرَدْتَ قال حَاجَة ولم آتِكِ لَجَاجَة قالت تُسِرّها أمْ تُعْلِنها قال تُسَرّ وتُعْلَن قالت فما حَاجَتُك قال قَضَاؤها هَيِّن وأمْرُها بَيِّن وأنْتِ بها أخْبَر وبِنُجْحها أبْصَر قالت فَأخْبِرْنِي بها قال قد عَرَّضْتُ وان شِئْتِ بَيَّنْتُ قالت من أنْتَ قال أنَا بَشَرٌ وُلِدْتُ صَغِيرا ونَشَأْتُ كبيرا ورأيت كثيرا قالت فما اسْمُك قال مَنْ شاء أحْدَث اسمًا وقال ظُلْمًا ولم يَكُن الاسم عليه حَتْمًا قالت فَمَنْ أبوك قال والدِي الذي وَلَدَنِي ووَالدُه جَدِّي فلم يَعِشْ بَعْدِي قالت فما مَالك قال بَعْضه ورِثْتُه وأكْثَره اكْتَسَبْته قالت فَمِمَّن أنْت قال مِن بَشَرٍ كثيرٍ عَدَدُه معروف وَلَدُه قَلِيلٌ صُعُدُه يُغْنِيه أبَدُه قالت ما وَرَّثَكَ أبُوك عن أوَّلِيه قال حُسْن الهِمَم قالت فأيْنَ تَنْزِل قال على بِساط واسِع في بَلَد شاسع قِريبُه بَعِيد وبَعِيده قَرِيب قالت فَمَنْ قَوْمُك قال الذين أنْتَمى إليهم وأجْنِي عليهم وَوُلِدت

لَدَيهم قالت فَهَلْ لك امْرأةٌ قال لو كانت لِي لم أطْلُب غيْرَها ولَمْ أضَيِّعْ خيْرَها قالت كَأنَّك لَيْسَتْ لك لَيُقَال حَاجَة قال لو لم تكن لِي حاجة لم أُنِخْ بِبَابِك ولم أتَعَرّض لِجَوَابِك وأنَعَلّق بأسْبابِك قالت انك لَحُمْرَان بن الاقرع الجَعْدي قال ان ذلك لَيُقَال فَزَوَّجَتْه نفسها وفَوَّضَت إليه أمْرَها ثم إنّها وَلَدَتْ له غُلَامًا فسمّاه عَمْرا فَنَشأ مَارِدا مُفَوَّهًا فلما أدْرَك جَعَله أبُوه رَاعيا يرعَى له الِابل فَبَينا هو يوما اذ رُفِع إليه رجُل قد أضَرّ به العَطَش والسُغُوب و عَمْرٌو قاعد و بَيْنَ يَدَيِه زُبد و تَمْر وتَأمكٌ فدنا منه الرَجُل فقال أطْعِمْنِي من هذا الزُبْد والتامِك فقال عمرو نَعَمْ كِلَاهُمَا وتَمْرًا فأطْعَمَ الرَجُل حتى انْتَهى وسَقَاهُ لَبَنًا حتى رَوِىَ وأقام عنده أيّامًا فذَهَبَتْ كَلِمتُه مَثَلًا ورَفَع كِلَاهما أي لَكَ كلَاهما ونَصَبَ تمرا على معنى وأزِيدُك تمرا ومن رَوَى كِلَيْهما فانما نَصَبَه على معنى أطْعِمُك كليهما وتمرا وقال قَوْمٌ مَنْ رَفَعَ حَكَى انّ الرَجُل قال أنِلْنِي ممّا بَيْنَ يَدَيك فقال عَمْرو أيُّما أحَبّ إليك زُبْدٌ أمْ سَنَام فقال الرجل كلاهما وتمرا أي مطلوبي كلاهما وأزِيد مَعَهما تمرا أو وَ زِدْنِي تمرا

ان المُنْبَتّ لا أرْضًا قَطَع ولا ظهْرًا أبْقَى

المُنْبَتّ المُنْقَطِع عن أصحابه في السَفَر والظَهْرُ الدابّة قاله عليه الصلاة والسلام لرجل اجْتَهَد في العبادة حتى هَجمَتْ عَيْنَاه أي غَارَتَا فلما رآه قال له ان هذا الدِّينَ مَتِين فأوْغِلْ فيه بِرِفْقٍ انّ المُنْبَتّ أي الذي يَجِدُّ في

سَيْره حتى يَنْبَتّ أخيرا سَمّاه بما تَؤُول إليه عَاقِبَتُه كقوله تعالى " انّك مَيّتٌ وإنّهم مَيِّتُون " يُضرَب لمن يُبَالغ في طلب الشئ و يُفْرِط حتى رُبَّما يُفَوِّته على نَفْسه

انّ الدّوَاهي في الآفات تَهْتَرِس

ويُرْوَى تَرْتَهِس وهو قَلْبُ تَهْتَرِس من الهَرْس وهو الدَّقَ يعني أن الآفات يَمُوج بَعْضُها في بعض ويَدُقّ بعضُها بعضا كَثْرَةً يُضْرَب عند اشتداد الزمان واضطراب الفِتَن وأصْلُه أنّ رجلا مَرّ بآخر وهو يقول يا رَبّ إمّا مُهْرَةً أو مُهْرًا فأنكَرَ عليه وقال لا يكون الجَنِين الّامُهْرَة أو مُهْرا فلما ظَهَر الجنين كان مُشَيّأ الخَلْقِ مُخْتَلِفَه فقال الرجل عند ذلك

قد طَرَّقَتْ بِجَنين نصفُه فَرَس ان الدّواهيَ في الآفات تهترس

انّ البَلَاء مُوَكّل بالمَنْطق

قال المُفَضّل يقال انّ أوَّلَ مَن قال ذلك أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه فيما ذَكَره ابن عباس قال حَدَّثَنِي عليّ بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه لَمَّا أُمِرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أنْ يَعْرِض نَفْسه على قبائل العَرَب خرج وأنا مَعَه فَدَفَعْنا إلى مجلس من مجاس العرب فتقدم أبو بكر وكان نَسَّابَةً فسَلَّم فرَدُّوا عليه السلام فقال ممّن القوم قالوا من رَبيعة

فقال أمِن هَامَتِها أمْ من لَهَازِمها قالوا مِن هَامِتها العُظْمَى أنْتُم قالوا ذُهْل الأكْبَر قال أفمِنكم عَوْف الذي يقال له لاحُرّ بِوَادِي عَوْف قالوا لا قال أفمِنكم بِسْطَام ذو اللِّواء ومُنْتَهى الاَحْيَاء قالوا لا قال أفَمِنكم جَسَّاس بن مُرَّة حَامِي الذِّمَار ومانِع الجَار قالوا لا قال أفمِنكم الحَوْفَزَان قاتِل المُلُوك وسالِبُها أنْفُسَها قالوا لا قال أفمنكم المُزْدلِف صاحب العِمَامة الفَرْدة قالوا لا قال فأنْتُم اخْوَال المُلُوك مِن كِنْدَة قالوا لا قال فَلَسْتُم ذُهْلا الأكْبَر أنْتُم ذُهْل الاَصْغَر فقام إليه غُلَام قد بَقَل وَجْهُه يقال له دَغْفَل فقال

انّ على سائِلنا أنْ نَسْأَلَهُ   العِبْءُ لا تَعْرِفه أو تَحْمِلَهْ

يا هذا انك قَدْ سَألْتَنا فلم نكْتُمْك شيأ فَمنِ الرَجُل أنْتَ قال رجل من قُرَيش قال بَخ بَخْ أهْلُ الشَرَف والرآسة فمِن أيّ قُرَيش أنت قال مِن تَمِيْم ابن مُرَّة قال أمكَنْتَ والله الرامِىَ مِن صَفَا الثُغْرة أفمِنكم قُصيّ بن كِلاب الذي جَمَع القَبائل من فِهْر وكان يُدْعى مُجَمِّعًا قال أفمنكم هاشم الذي هشم الثَرِيد لقَومه ورِجال مكّة مُسْنِتُون عِجَافٌ قال لا قال أفمنكم شَيْبَةُ الحَمْدِ مُطْعِمُ طَيْر السَمَاء الذي كأنّ في وَجْهِه قَمَرًا يُضِئ لَيْلَ الظلام الداجِي قال لا قال أفَمِن المُفِيضِين بالناس أنت قال لا قال أفمن أهْل النَدْوَة أنت قال لا قال أفمن أهْل الرِفَادة أنت قال لا قال أفمن أهل الحِجَابة أنت قال لا قال أفمن أهل السِقَاية أنت قال لا قال واجْتَذَب أبو بكر زِمَامَ ناقَتِه فَرَجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دَغْفَل صادَفَ دَرْءُ السَّيْل دَرْأ يَصْدَعُه أمَا والله لو ثَبَتَّ لَأخْبَرْتُك أنك من

زَمَعَات قريش أوْ مَا أنَا بدَغْفَل قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليّ قُلْتُ لأبي بكر لقد وَقَعْتَ من الاعرابي على بَاقِعة قال أجَلْ إنّ لِكُلّ طَامَّة طَامَّة وانّ البَلَاء مُوَكَّل بالمَنْطِق وفي قِصَّة المَثَل أمثال قوله (لا حُرَّ بوادي عَوْف) يُتَمثَّلُ به في هضم من يتَعَاظَم بنواحي من يَقْدِر على قهْره وقوله (انّ عَلَى سائلنا أن نسأله) ومَحَلّ التَمثّل به ظاهر وقوله (والعِبء لا تَعْرِفه أو تَحْمِلَه) يُتَمَثّل به في طَلَب الاختبار وتَرْكِ الِاكتفاء بما يَبْدو فان الشئ الذي تُرِيد حَمْلَه فيكونُ عِبْأ رُبَّما يكون كبيرا في النَظَر خفيفا في الوَزْن وربما كان ثَقِيل الوَزْن وهو صغِير الحَجْم

انْ تَرد الماءَ بماء أكْيَسُ

يُتمثَّل به عند الأمْر بالِاقتصاد في المعيشة والمحافَظَة على قَلِيلة وان كان واثِقا بحُصُول كثير له في المستقبل وأصْلُه في المسافر عَرَف قُرْبَه من المَنْهَل فأسْرَفَ في استعمال ما حَمَل من الماء

انَّما يُعَاتَب الَاديم ذو البَشَرَة

المُعاتَبة المُعاوَدَة وبَشَرة الأدِيم ظاهرهُ الذي عليه الشَّعر أي انما يُعاد إلى الدّبَاع من الأديم ما سَلِمتْ بَشَرَتُه يُضْرَبُ لمَنْ فيه مُرَاجَعة ومُسْتَعْتَب قال

الاَصْمَعِيّ كُلّ ما كان في الأدِيم مُحْتَمَلٌ ما سَلِمَت البَشَرة فاذا نَغِلَت البَشَرة بَطَل الأدِيم ومِن هُنا أُخِذ العِتَاب بين الاخوان لذكر الهَفَوات ثم الأعتِذار أو الأعتِراف والمُسَامحة والعَوْد إلى المُصَافاة فيكون ذلك بمنزلة دَبْغ الجِلْد لازالة فَضَلاته

انّ العَصَا قُرِعَت لذي الْحِلْم

قيل ان أوَّلَ مَن قُرِعت له العصا عَمْرو بن مالك بن ضُبَيْعَة أخو سَعْد ابن مالك الكناني وذلك ان سعدا أتى النعمانَ بنَ المنذر ومعه خَيل له قادَها وأخرى عَرّاها فقيل له لِمَ عَرَّيْتَ هذه وقُدْتَ هذه قال لم أقُدْ هذه لأمْنَعَها ولم أعِرّ هذه لِاَهَبَهَا ثم دخل على النعمان فسأله عن أرضه فقال أما مَطَرُها فَغَزير وأما نَبْتُها فكثير فقال له النعمان انّك لَقَوّال وان شئت أتَيْتُك بما تَعْيَا عن جوابه قال نعم فأمَر وَصيفا له أن يَلْطِمَه فَلَطَمَه لَطمه فقال ما جواب هذه قال سَفِيهٌ مَأْمَورٌ قال الْطِمْه أخْرَى فَلَطَمه قال ما جواب هذه قال لو أُخِذ بالأُولىَ لم يَعُدْ للأُخْرى وانما أرَاد النُعمان أن يَتَعَدّى سَعْد في المَنْطِق فَقَتْلُه قال الْطِمْه ثالِثَةً فَلَطَمَه قال ما جوابُ هذه قال رَبٌّ يُؤَدّب عَبْدَة قال الطِمْه أخْرى فَلَطَمَه قال ما جواب هذه قال مَلَكْتَ فأَسِجح فَأَرْسَلها مثلا قال النعمان أصَبْتَ فامكُث عندي وأعْجَبَه ما رَأى منه فمكث عنده ما مَكَثَ ثم بَدَا للنعمان أن يَبْعَث رائدا فبعَث عَمْرا أخَا سَعْد فأبطَأ عليه فأغْضَبَه ذلك فأقسمَ لئِن جاء ذَامًا للْكَلأ أو حامدًا له

لَيَقْتُلَنَّه فقدم عمرو وكان سعد عند الملك فقال سعد أتأذَنُ أنْ أُكَلِّمه قال اذَنْ يُقْطَع لِسانُك قال فأُشِير إليه قال اذَنْ تُقْطَع يَدُك قال فأقْرَع له العصا قال فاقْرَعْها فَتَنَاول سعد عَصَا جَلِيسه وقَرَعَ بعَصَاه قَرْعَةً واحدة فعَرَفَ أنه يقول له مَكَانَك ثم قرع بالعصا ثلاث قَرَعَات ثم رَفَعَها إلى السماء ومَسَحَ عصاه بالارض فعَرَف أنه يقول له لَمْ أجدْ جَدْبا ثم قرع العصا مِرَارًا ثم رَفَعَها شيأ وأوْمَأ إلى الارض فعَرَف أنه يقول ولا نَبَاتاً ثم قرع العصا قَرْعَة وأقبل نحو المَلِك فعرف أنه يقول كَلِّمْه فأقْبَلَ عَمْرو حتى قام بين يدي الملك فقال له أخْبِرْني هل حَمِدْتَ خصْبًا أو ذَمَمْتَ جَدْبا فقال عمرو لم أذْمُم هُزْلا ولم أحْمَدَ بَقْلا الارضُ مُشْكلة لا خِصبُها يُعْرَف ولا جَدْبُها يُوصَف رَائدُها واقِف ومُنْكِرُها عارِف وآمِنُها خائف قال المَلِك أوْلَى لك فقال سعد بن مَالك يذكر قرع العصا

قَرَعْتُ العصَا حتى تَبَيَّن صاحبي ... ولم تَكُ لولا ذَاكَ في القَوْم تُقْرَعُ

فقال رَأيْتُ الارض لَيْسَتْ بمُمْحِلٍ ... ولا سارِح فيها على الرَعْي يَشْبَع

سَوَاء فلا جَدْب فَيُعْرَف جَدْبُها ... ولا صَابَها غَيْث غزير فَتَمْرَع

فَتَحْيَا بها حَوْبَاء نفسٍ كَرِيمة ... وقد كادَ لولا ذاك فيهم يُقَطَّع

هذا قول بعضهم وقال آخرون في قولهم ان العصا قُرِعت لذي الحِلْم ان ذَا الحِلم هذا هو عَامِرُ بن الظَرِب العَدْوَاني وكان من حُكماء العرب لا تَعْدل بفَهْمه فَهْمًا ولا بحُكْمه حُكْما فلما طَعَن في السّنّ أنْكَرَ مِن عَقْلِه شيئا فقال لِبَنيه انه قد كَبِرَتْ سِنِّي وعَرَض لي سَهْو فاذا رأيتموني خرجت من كلامي وأخذت في غيره فاقْرَعُوا لِي المِجَنَّ بالعَصَا وقيل كانت له

جارية يقال لها خُصَيْلة فقال لها اذا أنا خُولِطْتُ فاقْرَعي لي بالعصا وأَتِي عامر بخُنْثَى ليَحْكُمَ فيه فلم يَدْر ما الحُكْم فجعل يَنْحَرُ لهم ويُطْعمهم و يُدَافِعهم بالقضاء فقالت خُصَيلة ما شأنُك قد أتْلَفْتَ مالك فخبرّهَا أنّه لا يَدْري ما حُكْم الخُنْثي فقالت أتْبِعْه مَبَالَهُ قال الشَعْبِي فحدَّثني ابن عباس بها قال فلما جاء الله بالاسلام صارت سُنّة فيه وعامر هو الذي يقول

أرَى شَعَراتٍ عَلى حاجِبَيَّ بِيضًا نَبَتْنَ جميعا تُؤَامَا
ظَلِلْت أُهَاهِي بهنّ الكَلا بَ أحْسبهنّ صُوَارًا قِيَامَا
وأحْسِب أنْفِي اذا مَا مَشَيْ تُ شَخْصًا أمَامِي رَآني فَقَامَا

يقال انه عاش ثلثمائة سنة وهو الذي يقول

تقول ابْنتي لَمَّا رَأتْنِي كَأنّني سَليمٌ اَفَاع لَيْله غَيْرُ مُودَع
ومَا المَوتُ أفْنَانِي ولكن تَتَابَعَتْ عَلَيَّ سِنُونٌ من مَصِيف ومَرْبَع
ثَلَاثُ مئين قد مَرَرْنَ كَوَامِلًا وها أنَا هذا أرْتَجِي مَرَّ أرْبَع
فأصْبَحْت مِثل النَسْر طارت فِراخُه اذا رامَ تَطْيَارًا يُقَال له قَعِ
أُخَبِّر أخْبَارَ القُرُون التي مَضَتْ ولابُدّ يَوْمًا أنْ يُطَارَ بِمَصْرَعي

قال ابن الاعرابي أوّل مَن قُرِعَت له العَصا عامِر بنُ الظرِب العَدْواني وربيعةُ تقول بل هو قَيس بن خالد بن ذي الجَدَّيْن وتَمِيم تقول بل هو ربيعة بن مُخاشِن أحد بني أسِيد ابن عمرو بن تميم واليَمَن تقول بل هو عمرو بن حُمَمَةَ الدَوْسِي قال وكانت حُكّام تميم في الجاهلية أكْثَم بن صَيْفيّ وحاجِب بن زُرَارَةَ والأقْرَع بن حَابِس ورَبِيعة بن مُخَاشِن وضَمْرة ابن ضَمْرة غير أنّ ضَمْرة حَكم فأخذ رِشْوة فغَدَر. وحُكّام قَيس عامر بن

الظَرِب وغَيْلان بن سَلَمة الثَقَفْي وكانت له ثلاثة أيام يَوْم يحكُم فيه بين الناس ويوم يُنْشد فيه شِعْره ويوم ينظر فيه إلى جَمَاله وجاء الاسلام وعنده عَشْر نِسْوة فخيَّره النبي صلى الله عليه وسلم فاخْتار أرْبَعًا فصارت سنّة. وحُكّام قُرَيش عبد المُطَّلِب وأبو طالب والعاصي بن وَائِل. وحَكِيمات العَرَب صَخْرة بنت لُقْمان وهِند بنْتُ الخُسّ وجُمُعَة بنت حابس وابنة عامر بن الظرب الذي يقال له ذو الحِلْم قال المُتَلَمِسّ يُرِيدُه

لِذِي الحِلْم قَبْلَ اليَوْم ما تُقْرع العَصَا　　　وما عُلِّم الانْسان إلّا لِعَلَمَا

والمَثَل يُضْرب لِمَن اذا نُبّه انْتَبه

أيَّاك أعْني واسْمَعي يا جَارَة

أول من قال ذلك سَهْل بن مالك الفَرَازِيّ وذلك أنه خرج يريد النعمان فمرّ ببعض أحْياء طَيِّئ فسأل عن سيّد الْحَيّ فقيل له حارثة بن لَأم فَأمَّ رَحْلَه فلم يُصِبْه شاهدا فقالت له أُخْتُه انْزِل فِي الرَّحْب والسَعَة فَنَزَل فأكْرَمَتْه ولاطَفَتْه ثم خَرَجَتْ مِن خِبَائها فَرَأى أجْمَل أهْلِ دَهْرَها وأكْمَلَهم وكانت عَقِيلةَ قَوْمِها وسيّدة نِسائها فوقَعَ فِي نفسه منها شئ فجعل لا يَدْرِي كيف يُرسِل إليها ولا ما يُوَافِقها من ذلك فَجَلس بِفِناء الخِباء يوما وهى تسمع كلامه فجعل ينشد ويقول

يا أُخْت خَيْر البَدو والحَضَارَةْ　　　كَيْفَ تَرَيْنَ فِي فَتَى فَزَارَةْ

أَصْــبَحَ يَهْــوي حُــرَّة مِعْطَــارَة   ايّــاكِ أعْنِــي واسْــمعِي يَــا جَــارَة

فلما سمِعت قولَه عَرَفَت أنّه ايّاها يَعْني فقالت ماذا بقَوْل ذِي عَقْل أرِيب ولا رأيٍ مُصِيب ولا أنْفٍ نَجيب فَاقِم مَا أقَمْت مكْرَمًا ثم ارْتَحِل متى شئتَ مُسَلَّما ويقال أجَابَتْه نَظْمًا فقالت

انِّي أقــــول يــــا فتَــــى فَــــزَارَةْ   لا أبْتَغــــي الــــزَوْجَ ولا الــــدّعَارَةْ

ولا فِــرَاقَ أهــل هــذِي الجــارَةْ   فارْحَــــلْ إلى أهْلِــــك باســــتِخارَةْ

فاسْتَحْيا الفَتَى وقال ما أرَدْت مُنْكَرا واسَوْأتَاه قالت صَدَقْت فكأنها اسْتَحْيا من تَسَرُّعِها إلى تُهَمَته فارْتَحَل فأتى الـنُعمانَ فَحَيّـاه وأكْرَمَـه فلـما رَجَـع نَـزَلَ عـلى أخِيها فَبَيْنَا هو مُقِيم عندهم تَطَلَّعَتْ إليه نفسُها وكان جَمِيلا فأسَلَتْ إليـه أن اخْطُبْنِي ان كانَ لك إلىّ حاجَة يَوْما من الدهْر فانِّي سَريعةٌ إلى ما تُريد فَخَطَبها وتَزَوّجَها وسارَ بها إلى قَوْمِه يُضْرَب لِمَن يَتَكَلَّم بكلام ويُرِيد به شيئا غَيْرَه

انْ كُنْتَ كَذُوبا فَكُنْ ذَكُورًا

يُضْرَب للرَجُل يكذِب ثم يَنْسَى فَيُحَدِّث بخلاف ذلك

يعني اذا اشْتَرَيت فاذكر البَيْع لِتَجْتَنِب العُيُوب

بَلَـغَ السَيْـل الزُّبَى

هى جمع زُبْية وهـى حُفْـرة تُحْفَـر للاَسَـد اذا أرادُوا صَـيْدَه وأصْـلُها الرَّابِيـة لا يَعْلُوها الماءُ فاذا بَلَغَها السّيْل كان جَارِفا مُجْحِفا يُضْرَب لِمن جَـاوَزَ الحَـدّ قـال المُؤَرَّج حدّثني سعيد بن سِمَاك بن حرب عـن أبيـه عـن ابـن المُعْتَمِـر قـال أَتى مَعاذ بن جبل بثلاثة نَفَر قَتَلَهُم أسَد في زُبْيَة فلم يَدْر كيف يُفْتِيهم فسأل عَليًّا رضى اللـه عنه وهو مُحْتَب بِفِناء الكَعْبة فقال قُصّوا عَلَىّ خَـبَرَكُم قـالوا صِـدْنا أسدا في زُبْيَة فاجْتَمَعْنا عليـه فتَـدافعَ النـاسُ عليـه فَرَمَـوْا برَجُـل فيهـا فَتَعَلّـق الرجُلُ بآخَرَ فَهَوَوْا فيها ثَلَاثَتُهُم فَقَضَى فيها عَلىّ رضى اللـه عنه أنّ للاوّل رُبَـع الدِّيَة وللثاني النصف وللثالث الديَة كُلّها فأخْبرَ النبيّ صلى اللــه عليـه وسـلم بقَضَائه فقال لَقَدْ أرْشَدَك اللـه للحقّ

العَين المُعَايَنَة يُضْرَب لمن تَرَك شيئا يَـرَاه ثـم تَبِـع أثَـرَه بعـد فَـوْت عَيْنِـه قـال البَاهِلِي أوّلُ من قال ذلك مَالك بن عمرو العَامِلي وفي كتاب أبي عُبَيد مالك بن عمرو البَاهِليّ قال وذلك انّ بعض مُلُـوك غَـسَّان كـان يَطْلُـب في عَامِلَـةَ ذَحْـلا فأخَذ منهم رَجُلَين يقال لهما مالِك وسِمَاك ابْنَا عَمْرو فاحْتَبَـسَهُما عنـده زَمَانًـا ثم دَعَاهُما فقال لَهُما انِّي قَاتِلٌ أحَدَكُما فأيّكُما أقْتُـل فَجَعَـل كُـلّ واحـدٍ منْهُما يقول اقْتُلْني مَكان أخي فلما رَأى ذلك قَتَـل سِمَاكا وخَـلّى سبيل مَالِـكٍ فقـال سِمَاك حين ظَنَّ أنه مَقْتُول

ألَا مَــنْ شَــجَتْ لَيْلَــةٌ عَامِــدَهْ	كَــما أبَــدًا لَيْلَــةٌ واحــدَه
فــأبْلِغْ قُــضَاعَةً إن جئْــتَهُم	وخُــصَّ سَرَاةَ بَنـي سَــاعَدَهْ
وأبْلِــغ نِــزَارا عــلى نَأيِهــا	بــأنّ الرِمَــاح هــى العَائــده
وأقْــسِمُ لَــوْ قَتَلُــوا مالِكــا	لَكُنْــتُ لَهُــمْ حَيَّــةً رَاصِــدَه
بــرَأس سَــبيلٍ عــلى مَرْقَــبٍ	ويومًــا عــلى طُــرقُ وارِدَه
فــأمُّ ســماكٍ فــلا تَجْزَعــي	فَلِلْمَــوْت مــا تَلِــد الْوَالــدَه

وانصرف مالك إلى قومه فلبث فيهم زمانا ثم ان رَكْبا مَـرُّوا وأحَـدُهُمْ يَتَغَنّـى بهذا البيت

وأَقْــسم لــو قَتَلُــوا مَالِكــا	لكنــتُ لهــم حَيَّــة راصــده

فسمعت بذلك أَمّ سِمَاك فقالت يا مَالِك قَبّح اللـه الحَياةَ بَعدَ سِمَاك اخْرُجْ في الطَلَب بأخيك فَخَرَج في الطَلَب فَلَقيِ قَاتِلَ أخيه يَسير في ناسٍ من قومه فقال مَنْ أحَسّ لِي الجَمَلَ الأحْمَرَ فقالوا لَه وعَرَفوه يا مَالكُ لَكَ مِئَةٌ مِن الاِبِل فَكُفّ فقال لا أطْلُب أثَرا بعد عَين فذهبت مثلا ثم حَمَل على قاتِل أخيه فَقَتَله وقال في ذلك

يـا رَاكبَـا بَلِّغَـا ولا تَـدَعَا	بَنـي قُمَـيْر وانْ هُمُـوا جَزِعُـوا
فَلْيَجِـدُوا مثـل مـا وَجَـدْتُ فَقَـدْ	كُنْـتُ حَزِينـا قـد مَـسّني وَجَـعُ
لا أسْمَعُ اللـهوَ في الحديث ولا	يَنْفَعُنـي في الفـراشِ مُـضْطَجَعُ
لَاوَجْـدَ ثَكْـلى كـما وَجَـدْتُ ولا	وَجْـدَ عَجُـولٍ أضَـلَّها رُبَـعُ
ولا كبـير أضَـلَّ ناقَتَـه	يَـوْمَ تَـوافَى الحَجـيجُ واجتمعـوا
يَنْظُـرُ في أوْجُـه الرِكَـاب فـلا	يَعْـرِف شـيئا والوجْـهُ مُلْتَمِـع
جَلَّلْتُـه صَـارِمَ الحَديـدَة كـالْ	مِلْـحِ وفيـه سَفَاسِـقٌ(1)[4] لُمَـعُ
بَـيْنَ ضُـمَيْر وبـاب جِلِّـق في	أثوابـه مـن دمائـه بَقَـعُ
أضْرِبُـه بَادِيَـا نَوَاجِـدُه	يَـدْعُو صَـدَاهُ والـرَّأس مُنْـصَدِع
بَنـي قُمَـيْر قَتَلْـتُ سَـيِّدَكُم	فـاليومَ لاَرَنَّـة ولا جَـزَع
فـاليوم قُمْنـا عـلى الـسَوَاءِ فـانْ	تَجْـوَوْا فَـدَهْري ودَهْـرُكم جُـرَع

[4] (1) السفاسق جمع سفسقة بفتحتين أو كسرتين بينهما سكون فرند السيف وهى نقاط تلمع في صفائه

قال يونُس كان رَجُلَانِ يَتَعَشّقَانِ امرأةً وكان أحَدُهما جَمِيلا وَسِيما وكان الآخر دَمِيما تَقْتَحِمه العَين فكان الجَميلُ منهما يقول عَاشِرِينا وانْظُري إلينا وكان الدَميم يقول جَاوِرِينا واخْبُرِينا فكانت تُدْنى الجميل فقالت لأخْتَبِرَنَّهُما فقالت لكل واحد منهما أن ينحر جَزُورًا فَأَتَتْهُما مُتَنكّرة فَبَدَأتْ بالجَميل فَوَجَدَتْه عند القدْر يَلْحَس الدَسَم ويَأكُلُ الشَحْم ويقول احتفِظوا كُلّ بَيْضَاءَ لِيَهْ يعني الشَحْم فاسْتَطْعَمَتْه فأمَرَ لها بِثِيل الجَزُور فَوُضِع فِي قَصْعَتها ثم أتَتْ الدَمِيم فاذا هو يَقْسِم لَحْم الجَزُور ويُعْطِي كُلّ مَنْ سأله فَسَألَتْه فأمَرَ لها بأطايِب الجَزُور فَوُضِع فِي قَصْتَها فَرَفَعَت الذي أعْطَاها كُل واحدٍ منهما على حِدَةٍ فلما أصْبحَا غَدَوْا إليها فَوَضَعَتْ بين يَدَيْ كُلِّ واحدٍ منهما ما أعْطَاها وأقْصَت الجَميل وقَرَّبت الدَميم ويقال انها تَزَوَجَتْه يُضْرَب فِي القَبيح المَنْظَر الجَميل المَخْبَر

الجَرْعُ أرْوَى والرَشيفُ أنْقَعُ

الرَشْف والرَشيف المَصّ للماء والجَرْع بَلْع والنَقْع تَسْكين الماء للعَطَش أي أنّ الشَّراب الذي يُتَرَشَّف قليلا قليلا أقْطَعُ للعَطش وأنْجَع وان كان فيه بُطْء وقوله أروى أي أسْرَع رِيًّا وقوله أنْقَع أي أثْبَت وأدْوَم رِيًّا من قولهم

سُمٌّ ناقع أي ثابِت يُضْرَبُ لِمَنْ يَقَع في غَنِيمة فَيُؤْمَرُ بالمُبَادَرَة والاقتِطاعِ لِمَا قَدَر عليه قبل أن يأتِيَه مَن يُنَازِعه وقيل معناه ان الاقتصاد في المَعِيشة أبْلَغ وأدْوَم من الإِسراف فيها

الجَارُ ثُمَّ الدَّارُ

هذا كقولهم الرّفيق قبل الطَرِيق وكلَاهُما يُرْوَى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أبو عُبَيد كان فُقَهاء أهل الشام يُحَدِّث بهذا الحديث ويقول معناه اذا أرَدْتَ شِراء دارٍ فَسَلْ عن جِوَارِها قبل شِرائها

حَسْبُكَ من شَرّ سَمَاعُه

أي اكْتَفِ من الشَرّ بسَمَاعه ولا تُعايِنْه ويجوز أن يُرِيد يَكْفيك سماعُ الشَرّ وان لم تُقْدِم عليه ولم تُنْسَب إليه قال أبو عبيد أخْبَرَني هشَام بن الكَلْبي أنّ المَثَل لأمّ الرَبيع ابن زِيَاد العَبْسِيّ وذلك أن ابْنَها الرَبيع كان أخذ من قيس بن زُهَير بن جَذِيمة دِرْعا فَعَرض قيس لأمّ الربيع وهى على رَاحِلتها في مَسِير لها فأرَادَ أنْ يَذْهب بها لَيرْتَهِنَها بالدّرْع فقالت له أيْن عَزَب عَنْكَ عَقْلُك يا قيس أتُرَى بَني زيَاد مُصَالحِيك وقد ذَهَبْت بأمّهم يَمِينا وشمالا وقال الناس ما قالوا أو شاؤُا وانّ حَسْبَك مِن شَرٍّ سَمَاعُه فَذَهَبَتْ كَلِمَتُها

مَثَلاً تقول كَفَى بالمَقَالَة عَارًا وان كان باطلا يُضْرَب عند العَارِ والمَقَالة السيّئة وما يُخَاف منها وقال بعض النساء الشواعر

سَائل بِنَا في قَوْمِنا ولْيَكْفِ مِن شَرٍ سَمَاعُهْ

وكان المُفَضِّل فيما حُكِي عنه يَذْكُر هذا الحَديث ويُسَمِّي أمّ الرَبيع ويقول هى فاطمة بنتُ الخُرْشُب من بني أنْمار بن بَغِيض

حِلْمي أصَمُّ وأُذْني غَيْرُ صَمَّاءِ

أي أَعْرِض عن الخَنا بحِلْمي وان سَمِعْتُه بأذُني

حَسْبُكَ من غِنىً شِبَعٌ وَرِيّ

أي اقْنَعْ من الغِنى بما يُشْبعك ويُرْوِيك وجُدْ بما فَضَل وهذا المثل لامرئ القيس يَذْكر مِعْزًى كانت له فيقول

اذا ما لم تَكُنْ إِبِلُ فَمِعْزًى كَأنّ قُرُون جلّتها العِصِيُّ

فَتَمْلأُ بَيْتَنا أقِطا وسَمْنا وحَسْبُك مِن غِنًى شِبَع ورِيُّ

قال أبو عبيد وهذا يحتمل معنيين أحدهما يقول أعطْ كلَّ ما كان لك وراءَ الشِبع والرِيّ والآخَرُ القَنَاعة باليسير يقول اكتف به ولا تَطْلُب ما سِوَى ذلك والاوّل الوَجْه لقوله في شِعْر له آخَرَ وهو

ولو أنّما أسْعَى لأدْنَى مَعيشة كفاني ولم أطْلُبْ قليلٌ من المال

ولكنّما أسْعَى لِمَجْدٍ مُؤَثَّل وقد يُدْرِك المَجْدَ المُؤَثَّلَ أمْثَالي

وما المَرْء مادامَتْ حُشَاشَة نَفْسه بمُدْرِك أطْرَاف الخُطوبِ وَلَا آلِ

الحَدِيثُ ذُو شُجُون

أي ذو طُرُق الواحد شَجْن بسكون الجيم والشَوَاجِن أوْدِيَةٌ كثيرة الشجَر الواحدة شَاجِنة وأصْل هذه الكلمة الاتصال والالتفاف ومنه الشجنة والشِجْنة الشَجَرة المُلْتَفّة الاَغْصان يُضرب هذا المثل في الحديث يُتَذَكَّر غَيْرُه وقد نظم الشيخ أبو بكر علي بن الحسين القِهِستاني هذا المَثَل ومَثَلا آخَرَ في بيت واحد وأحسَنَ ما شاء وهو

تَذَكَّرَ نَجْدًا والحَديث شُجُون فَجَنّ اشتياقا والجُنُون فُنُون

وأوّل مَن قال هذا المثل ضَبّة بن أدٍّ بن طابِخَة بن اليْاس بن مُضَرَ وكان له ابْنَانِ يُقال لأحَدِهما سَعْد وللآخَر سُعيد فنَفَرت إبِل لِضَبّة تحت الليل فوجّه ابْنَيه في طَلَبها فتَفَرّقا فوَجَدَها سَعْد فَرَدَّها ومَضَى سُعَيد في طَلَبِها فلَقِيَه الحارث بن كَعْب وكان على الغلام بُرْدَانِ فسأله الحارث إيّاها فأبَى

عليه فَقَتَله وأخذ بُرْدَيْه فكان ضَبّة اذا أمسى فَرأى تَحْت الليل سوادًا قال أَسَعْد أمْ سُعَيد فذهب قوله مثلا يُضْرب في النَجَاح والخَيْبة فمكَثَ ضَبَّة بذلك ما شاء الله أن يَمْكُث ثم انه حَجَّ فَوَافَى عُكَاظَ فَلَقِىَ بها الحارثَ بن كَعْب ورَأى عليه بُرْدَى ابْنِه سُعَيد فَعَرَفَهُما فقال له هل أنْتَ مُخْبِري ما هذان البُرْدَانِ اللَّذان عليك قال بَلَى لَقِيتُ غُلَاما وهُمَا عليه فسألتُه ايَّاهُما فأبَى عَلَيّ فَقَتَلْتُه وأخَذْت بُرْدَيه هذين فقال ضَبّة بسَيفك هذا قال نعم فقال فأعْطِنِيه أنْظُر إليه فاني أظُنُّه صارِما فأعطاه الحارث سيفَه فلما أخَذَه من يَده هَزّه وقال الحديث ذُو شُجون ثم ضَرَبه به حتى قَتَله فقيل له يا ضَبّة أفِي الشَهْر الحرام فقال سَبَق السّيفُ العَذَل فهو أول من سارت عنه هذه الامثال الثلاثة قال الفرزدق

لا تأمَنَنَّ الحَرْبَ انّ اسْتعارَها   كَضَبّة اذْ قال الحديث شُجُون

خطبة أبي بكر الصديق رضى الله عنه يوم السَّقِيفة

حمد الله وأثننى عليه ثم قال

أيُّها الناس نحنُ المهاجرون أولُ الناس اسلاما وأكْرَمُهم أحْسابا وأوْسَطُهم دَارًا وأحْسَنُهُم وُجُوها وأكْثَر الناس وِلادَةً في العَرَب وأمَسُّهم رَحِما برسول الله صلى الله عليه وسلم أسْلَمْنا قَبْلكم وقُدّمنا في القرآن عليكم فقال تبارك وتعالى والسابِقون الاوّلون من المهاجرين والأنْصار الذين

اتَّبَعُوهم باحسان فنحن المهاجرون وأنتم الانصار اخْوانُنا في الـدّين وشُرَكَاؤُنـا في الْفَىء وأنْصَارُنا على العَدُوّ آويْتُمْ ووَاسَيْتُمْ فجزاكم الـلـه خيرا فنحن الأُمَرَاء وأنتم الـوُزَرَاء لا تَـدِين العَـرَب الّا لهـذا الحَـيّ مـن قـريش فـلا تَنْفَـسُوا عـلى اخوانكم المهاجرين ما منحهم الـلـه من فضله

خطبة أبي بكر الصديق رضى الـلـه عنه عند وفاة النبي صلى الـلـه عليه وسلم

أيُّها الناسُ من كان يَعْبُد محمدا فان محمدا قد مـات ومـن كـان يعبـدُ الـلـه فان الـلـه حَيٌّ لا يموت وان الـلـه قد تَقَدّم إلـيكم في أمْـرِه فـلا تَـدَعوه جَزَعـا وان الـلـه قد اختار لنبيه ما عنده على عندكم وقَبَضه إلى ثوابه وخَلّـف فـيكم كِتَابَه وسُنَّةَ نبيه فَمَنْ أخَذَ بِها عُرِف ومَن فَرّق بينهما أنكر يأيُّهـا الـذين آمنـوا كُونُوا قَوَّامِين بالقِسْط ولا يَشْغَلَنّكُم الشَيطانُ بمَـوْتِ نبـيَكم ولا يَفْتِنَّـنكم عـن دِينكم فعاجِلُوه بالذي تُعْجزونه ولا تَسْتَنْظِروه فيلحق بكم

عهد أبي بكر رضى الـلـه عنه موته

مما رُوِى عنه رضى الـلـه عنه حيث عَهِد عند موته وهو بـسم الـلـه الـرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمـد رسـول الـلـه صـلى الـلـه عليـه

وسلم عند آخِر عَهْده بالدُّنْيا وأوَّل عهده بالآخرة في الحال التي يُؤْمِن فيها الكافر ويَتَّقي فيها الفَاجِر انّي اسْتَعْمَلْتُ عليكم عُمَر بنَ الخطاب فان بَرَّ وعَدَلَ فذلك عِلْمِي به ورَأْيِي فيه وانْ جارَ وبَدَّل فلا عِلْم لي بالغَيْب والخَيْرَ أَرَدْتُ ولِكُلّ امْرِئٍ ما اكْتَسَب وسَيَعْلَمُ الذين ظَلَمُوا أي مُنْقَلَب يَنْقَلِبُون

ومما يُؤْثر من هذه الآداب ويُقَدَّمُ قولُ عُمَر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه في أول خُطْبَةٍ خَطَبَها قال العُتْبِي لم أر أقلَّ منها في اللفظ ولا أكثر في المعنى حَمِدَ الله وأثْنَى عليه بما هو أهله وصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال أيُّها الناس انّه والله ما فيكم أحَدٌ أقْوَى عِندي من الضَعِيف حتى آخُذَ الحَقّ له ولا أضْعَفُ عندي من القَوِيّ حتى آخُذَ الحق منه ثم نَزَل

قال أبو الحَسَن قد رَوَينا هذه الخطبة التي عَزَاها إلى عمر بن الخطاب عن أبي بكر رضى الله عنهما وهو الصحيح قال أبو العَبّاس ومِن ذلك رسالَتُه في القَضَاء إلى أبي موسى الأشْعَرِيّ وهى التي جَمَع فيها جُمَل الاحكام واخْتَصَرها بأجْوَد الكلام وجعل الناسُ بعدَه يَتَّخِذونها إماما ولا يَجِدُ مُحِقٌّ عنها مَعْدِلا ولا ظالِمٌ عن حدودِها مَحِيصا

بسم الـلـه الرحمن الرحيم من عبد الـلـه عُمَر بن الخطـاب أمـير المـؤمنين إلى عبد الـلـه بن قيس سلامٌ عليك أما بعـد فـانّ القـضاء فريـضة مُحكّمـة وسُـنّة مُتَّبَعة فافْهَمْ اذا أُدْلِي إليك فانّه لا يَنْفَع تَكَلُّمٌ بِحَقٍّ لا نَفاذَ لـه آسِ بـين النـاس في وَجْهك وعَدْلك ومَجْلِسك حتى لا يَطْمَع شَريف في حَيْفك ولا يَيْأس ضَعِيف مِن عَدْلك البَيِّنةْ على مـن ادّعـى واليمـين عـلى مَـن أنكـر والـصُلْحُ جـائز بـين المسلمين الاّ صُّلْحًا أحَـلّ حرامـا أو حَـرَّم حـلالا لاَيَمْنَعَنَّـك قـضاءٌ قَـضَيْتَه اليـومَ فَرَاجَعْت فيه عقلَك و هُدِيت فيه لرُشْدك ان تَرْجِع إلى الحَقّ فان الحَقّ قَـدِيم ومُراجَعةُ الحق خيرٌ من التَمادِي في الباطل الفَهْمَ الفَهْمَ فيما تَلَجْلَج في صَـدْرك مما ليس في كِتاب ولا سُنَّة ثم اعْرِف الأشْياء والاَمْثال فَقس الامُـور عنـد ذلـك واعْمِد إلى أقْرَبِها إلى الـلـه وأشْبَهِها بالحَقّ واجْعل لمن ادَّعى حَقّا غائِبا أو بَيّنَة أمَدًا يَنتهي إليه فان أحْضَر بَيّنَتَه أخَذْت له بحَقّه والاّ اسْتَحْلَلْتَ عليـه القَـضِيّةَ فانه أنْفَى للشَكّ وأجْلى للعَمَى المسلمون عُدُّل بعضُهم على بعـض الاّ مَجْلُـودا في حَدّ أو مُجَرَّبا عليه شَهادةٌ زُور أو ظَنِينا في وَلاءٍ أو نَـسَب فـان الـلـه تَـوَلَّى منكم السَرائر ودَرأ بالبَيِّنات والاَيْمان وإياك والغَلَق والضَجَر والتَأَذِّي بالخُـصُوم والتَنَكُّر عند الخُصُومات فانّ الحَـقّ في مَـواطِن الحَـقّ يُعْظِـم الـلـه بـه الأجْـر ويُحْسن به الذُّخْر فمن صَحَّت نيَّتُه وأقْبَل على نَفْسِه كفاهُ الـلـه ما بَيْنَه وبـين الناس ومن تَخَلَّق للناس بما يَعْلم الـلـه أنَّه ليس مِـن نَفْـسه شـانَه الـلـه فـما ظنُّك بثَوابِ غير الـلـه عز وجل في عاجِل رِزْقه وخَزائن رَحْمَتِه والسلام

تحدثَ ابنُ عائشة في اسنادٍ ذَكَره أنّ عليا رضى اللـه عنه انتهى إليـه أنَ خَـيْلا لمُعاوِية وَرَدَت الأنْبَار فَقَتَلوا عامِلًا له يقال له حَسَّان بن حسّان مُغْـضَبا يَجُـرّ ثَوْبَه حتى أتَى النُخَيْلَةَ واتَّبَعَه الناسُ فَرَقِى رَباوَةً من الارض فحمِد اللـه وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى اللـه عليه وسلم ثم قال أما بعد فان الجِهادَ بـابٌ من أبواب الجنة فمن تَركَـه رَغْبَـةً عنـه ألْبَسَه اللـه الـذُّل وسِيماءَ الخَسْف ودُيِّث بالصّغار وقد دَعَوْتُكم إلى حَرْب هؤلاء القَـوم لـيلا ونهـارا وسِرّا واعلانـا وقلت لكم اغْزوهم مِن قَبْل أن يَغْزُوكم فو الذي نَفْسي بيده ما غُزِي قومٌ قَطُّ في عُقْـر دارِهِـمْ الّا ذَلُّـوا فَتَخَـاذَلْتُمْ وتَـوَاكَلْتُم وثَقُـل علـيكم قَـوْلِي واتَّخَـذْتُمُوه وراءكُم ظِهْرِيا حتى شُنَّت عليكم الغـارات هـذا أخـو غامـد قـد ورَدَت خَيْلـه الأنْبَار وقَتَلُوا حَسّان ابن حَسّان ورجَالا منهم كثيرا ونساء والـذي نَفْـسي بيـده لقد بَلَغَني انه كان يُدْخَل عـلى المـرأة المـسلمة والمُعاهَـدة فتُنْتَـزَع أحْجـالهُما ورِعاثُهُما ثم انْصَرَفوا مَوْفُورينَ لم يُكْلَمْ أحَـدٌ مـنهم كَلْـمًا فلـو أنّ امْـرَأ مـسلما مات من دُون هذا أسَفًا ما كان عندِي فيه مَلُوما بل كان به عنـدي جَـدِيرا يـا عَجَبَا كُلّ العَجَب عَجَبٌ يُميت القَلْب ويَشْغَل الفَهْم ويُكْثر الأحْزَانَ مِن تَـضَافُر هؤلاء القوم على باطِلِهم وفَشَلِكُمْ عن حَقّكم حتى أصْبَحْتُم غَرَضًـا تُرْمَـوْن ولا تَرْمُون ويُغار عليكم ولا تَغِيرون ويُعْصَى اللـه عـز وجـل فـيكم وتَرْضَـوْن اذا قلـت لكـم اغْـزُوهُمْ في الـشِّتاء قُلْـتُم هـذا أوان قَـرٍّ وصِرّ وان قلـت لكـم

اغزوهم في الصَيف قلتم هذا حَمَارَّة القَيظ أنْظِرْنا يَنْصَرِمِ الحَرُّ عَنَّا فاذا كنتم من الحَرّ والبَرْدْ تَفِرُّون فأنتم والله من السَّيْف أفَرّ يا أشْباهَ الرّجال ولا رجال ويا طَغَام الاَحْلام ويا عُقُول رَبّات الحِجال والله لقد أفْسَدْتم عَلَيّ رأيِي بالعصْيان ولقد مَلَأْتُم جَوْفِي غَيْظا حتى قالت قريش ابن أبي طالب رجلٌ شجاع ولكن لا رَأْيَ له في الحَرْب لله دَرُّهُم ومن ذا يكون أعلم بها مِنّي أو أشَدّ لها مِراسا فو الله لقد نَهَضْت فيها وما بَلَغْت العشرين ولقد نَيّفْت اليومَ على السِّتِّين ولكن لا رَأيَ لمن لا يُطاع يقولها ثلاثا فقام إليه رجُل ومعه أخوه (الرجل وأخوه يُعْرَفان بابْنَيْ عَفيف من الانصار) فقال يا أميرَ المؤمنين أنَا وأخِي هذا كما قال الله تعالى رب إِنِّي لا أمْلِك الّا نَفْسي وأخِي فَمُرْنا بأمْرِك فو الله لَنَنْتَهِيَنّ إليه ولو حال بَيْنَنا وبينه جَمْرُ الغَضَى وشَوْك القَتاد فدعا لهما بخير ثم قال لهما وأيْنَ تَقَعان مما أريد ثم نَزَل

تواضع عمر بن الخطاب رضى الله عنه

بَلَغ عُمَر بنَ الخطاب رضى الله عنه أنّ قَوْمًا يُفَضِّلُونه على أبي بكر الصديق رضى الله عنه فوَثَبَ مُغْضبا حتى صعِد المِنْبر فحمد الله وأثْنَى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال أيُّها الناس انِّي سَأُخْبرِكم عَنّي وعن أبي بكر انه لما تُوُفِّي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ارْتَدّت العَرَب ومَنَعَتْ شاتَها وبَعِيرهَا وأجْمَع رَأْيُنا كُلُّنا أصحاب محمد

صلى الـلـه عليه وسلم أن قُلْنا له يا خَلِيفة رسول الـلـه ان رسول الـلــه صـلى الـلـه عليه وسلم كان يُقَاتِل العَرَب بـالوَحْي والملائكـة يُمِـدُّه الـلــه بهـم وقـد انْقَطَع ذلك اليومَ فالْزَم بَيْتَك ومَسْجدَك فانه لا طاقةَ لك بقتـال العَـرب فقـال أبو بكر الصديق أوَكُلّكم رأيُه على هذا فقلنا نَعَم فقـال والـلــه لَأن أخِـرّ مـن السماء فَتَخَطَّفَني الطيرُ أحَبُّ إليّ من أن يكون هذا رأيي ثم صعِد المنبرَ فحمِد الـلـه وكَبّرَه وصَلّي على نبيّه صلى الـلـه عليه وسلم ثم أقْبَل على النـاس فقـال أيُّها الناس مَن كان يعبدُ محمدا فان محمدا قد مـات ومـن كـان يعبُـدُ الـلــه فان الـلــه حَـيُّ لا يموت أيهـا النـاس أإنْ كَـثُر أعـداؤُكم وقَـلَّ عـددُكم رِكـبَ الشيطان منكم هذا المَرْكَب والـلـه لَيُظْهِرنّ الـلـه هذا الدينَ على الأدْيان كلِّها ولو كَرِه المشركون قولُه الحقُّ ووعْدُه الصِدْق بـل نَقْـذِفُ بـالحق عـلى البـاطـل فَيَدْمَغُه فاذا هو زاهِقٌ وكَمْ مِن فئةٍ قليلة غلَبَت فئةً كثيرةً باذن الـلـه والـلــه مع الصابرين والـلـه أيها الناس لو أُفْرِدْتٌ من جمـيعكم لجاهَـدْتُهم في الـلــه حَقَّ جِهادِه حتى أُبْلِي بنَفْسي عُذْرًا أو أُقْتَلَ قَتْلًا والـلـه أيها النـاس لـو مَنَعـوني عقالا لجَاهَدْتُهم عليه واسْتَغَنْتُ عليهم الـلـه وهو خيرُ مُعِين ثم نَـزَل فجاهـد في الـلـه حق جهاده حتى أذْعَنَت العَرب بالحق

وكتب أبو عُبَيْدة بن الجَرَّاح ومُعاذ بن جَبل إلى أمير المؤْمنين

عمر بن الخطاب يَنْصَحانه رضى اللـه تعالى عنهم

بسم اللـه الرحمن الرحيم

من أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب سلام عليك فانّا نَحْمَد إليك اللـه الذي لا اله هو (أما بعد) فانّـا عَهِـدناك وأمـرْ نفـسِك لـك مُهِمّ فأصْبَحْتَ وقد وَلِيتَ أمْرَ هذه الأمّة أحْمَرِها وأسْودِها يَجْلِس بـين يـديك الصَديق والعَدوّ والشريف والوضيع ولكلٍّ حصَّةٌ من العدل فانْظُر كيـف أنـت ياعمر عند ذلك وانا نُحَذِّرُك يومًا تَعْنُو فيه الوجوه وتَجِب له القلوب وتَنْقَطِـع فيه الحُجَج بحُجَّة مَلِكٍ قَهَرَهم بجَبَرُوته والخَلْـقُ داخِـرون لـه يَرْجُـون رَحْمَتَـه ويخافون عِقابَه وانّا كنّا نتحدّث انّ أمرْ هـذه الأمّـة يرجـع في آخـر زمانِهـا أن يكون إخْوان العَلانِية أعداءَ السَريرة وانّـا نَعُـوذ باللـه أنْ تُنْـزِل كِتابَنـا سـوى المَنْزِل الذي نَزَل من قلوبنا فانّا انما كَتَبْنا إليك نصيحةً لك والسلام فكتب إليها

بسم اللـه الرحمن الرحيم

مـن عمـر بـن الخطـاب إلى أبي عبيـدة عـامر بـن الجـراح ومعـاذ بـن جبـل سلام عليكما أحمد إليكما اللـه الذي لا اله الا هـو (أمـا بعـد) فقـد جـاءني كتـابُكما تَـزْعُمان أنـه بَلَغَكـما أنّي وَلِيـتُ أمـر هـذه الأمّـة أحْمَرِهـا وأسْـوَدِها

يجلس بين يديّ الصديقُ والعدُوّ والشريف والوضيع وكتبتما أن انْظُر كيف أنتَ ياعُمَر عند ذلك وانه لا حول ولا قوة لِعُمر عند ذلك الا بالله كتبتُما تُحَذِّراني ما حُذِّرَت به الأُمَمُ قَبْلَنا وقديما كان اختلافُ الليل والنهار بآجال الناس يُقَرِّبانِ كلَّ بعيدٍ و يُبْلِيَان كلَّ جديد ويأتِيان بكلِّ موعود حتى يَصير الناسُ إلى منازِلِهم من الجنة أو النار ثم تُوَفَّى كلُّ نَفْس بما كسبت ان الله سريع الحساب كَتَبْتُما تَزْعُمان أنَّ أمْرَ هذه الأمّة يَرْجع في آخر زَمانِها أن يكون إخْوان العَلانِيَة أعْداءَ السَريرة ولَسْتم بذاك وليس هذا ذلك الزمان ولكن زمانُ ذلك حين تَظْهَر الرَغْبة والرَهْبة وكَتَبْتُما تَعُوذان بالله أن أنْزِل كتابكَما مِنّي سِوى المَنْزِل الذي نَزَل مِن قلوبكما وانما كَتَبْتُما نصيحة لِي وقد صَدَقْتُما فَتَعَهَّد اني منكما بكتاب ولا غِنًى بِي عنكما والسلام عليكما

خطبة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه

انّ لكلْ شئ آفة وان لكل نعمة عاهة وان آفة هذه الأمّة وعاهة هذه النعمة عَيَّابُون ظَنَّانون يُظْهِرون لكم ما تُحِبُّون ويُسِرّون ما تَكْرَهون يقولون لكم وتقولون طَغام مِثْل النَعام يَتْبَعون أوَلَ ناعِق أحبّ مَوَارِدِهم إليهم النازح لقد أقْرَرْتم لابن الخطاب بأكثَرَ مما نَقَمْتُم عَلَيَّ ولكن وَقَمَكم وقَمَعكُم وزَجَرَكم زَجْرَ النَّعام المُخَزَّمة والله انِّي لَأقَرب ناصِرًا وأعَزّ نَفَرًا

وأقْمَن ان قُلْتُ هَلُمّ أن تُجاب دَعْوَتي مِن عمرَ هل تَفْقِدون مِن حُقُوقكم شيئا

فما لِي لا أفْعَل في الحَق ما أشاء اذاً فَلِمَ كُنْتُ إماما

ومن كلام سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام في التحريض

على الحرب كان يقوله لاصحابه في بعض أيام صفّين

معاشرَ المسلمين استشعِروا الخَشْية وتَجَلْبَبوا السَكينة وعَضُّوا على النَواجِذ فانه أنْبَى للسُّيُوف عن الهَامِ وأكْملُوا اللّأْمّة وقَلْقِلُوا السيوف في أغْمادها قَبْلَ سَلّها والحَظُوا الخَزْر واطْعَنُوا الشَزْر ونافِحُوا بالظُبا وصِلُوا السُيوف بالخُطَا واعملوا أنكم بعَين الله ومع ابن عَمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فَعاوِدُوا الكَرّ واسْتَحْيُوا من الفَرّ فانه عارٌ في الاَعْقاب ونارٌ يومَ الحساب وطِيبُوا عن أنْفسُكم نَفْسا وامْشُوا إلى المَوْت مَشْيا سُجُحًا وعليكم بهذا السَواد الاَعْظم والرِواق المُطَنَّب فاضربُوا بثجَبَه فانّ الشيطان كامِنٌ في كِسْرِه قد قَدَّمَ للْوَثْبة يَدًا وأخَّر للنُّكُوص رِجْلا فصَمْدًا صَمْدًا حتى يَنْجَلي لكم عَمُود الحَقّ وأنْتُمُ الاَعْلَوْن والله مَعَكم ولن يَتِرَكُمْ أعْمَالَكُمْ

ومن كلام له عليه السلام

وقد قام إليه رجل من أصحابه فقال نَهَيْتَنا عن الحكومة ثم أَمَرْتَنا بها فلم نَدْرِ أيّ الاَمْرَين أَرْشَدَ فَصَفَق عليه السلام أحْدَى يَدَيْه على الُاخْرَى ثم قال هذا جَزَاءُ مَن تَرَك العُقْدة أمَا والله لَوْ أنّي حين أمَرْتُكُمْ بما أمرتكم به حَمَلْتُكم على المَكْرُوه الذي يَجْعل الله فيه خَيْرا فان اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتكُم وان اعْوَجَجْتُم قَوَّمْتُكم وان أبَيْتُم تَدارَكْتُكُمْ لكانت الوُثْقَى ولكن بمن وإلى من أُرِيد أنْ أداوِيَ بكم وأنتم دائي كناقِش الشوكّة بالشوكة وهو يعلم أنّ ضِلَعَها معها اللهم قد مَلَّتْ أطِبّاء هذا الداء الدَّوِي وكَلَّتْ النَزَعَةُ بأشطان الرّكِّي أينَ القومُ الذين دُعُوا إلى الاسلام فَقَبِلوه وقرؤا القرآن فأحْكَموه وهِيجُوا إلى القتال فَوَلِهُوا وَلَهَ اللِّقاح إلى أوْلادها وسَلَبُوا السيوفَ أغْمادَها وأخَذوا بأطراف الارض زَحْفًا زَحْفًا وصَفًّا صَفًّا بَعْضٌ هَلَكَ وبَعْضٌ نَجَا لايُبَشَّرُون بالاَحْياء ولا يُعَزَّوْن بالمَوْتَى مُرْهُ العيون من البُكاء خُمْص البُطون من الصِيام ذُبْل الشِفاه من الدُّعاء صُفْرُ الاَلْوان من السَهَر على وجُوههم غَبَرَة الخَاشِعين أولئك اخْواني الذاهُبون فَحقّ لنا أنْ نَظْمَأ إليهم ونَعَضّ الاَيْدي على فِراقهم انّ الشيطانَ يُسَنّي لكم طُرُقَه ويُريد أن يَحُلّ دِينكَم عُقْدَةً عقدة ويُعْطيَكم بالجماعة الفُرْقة فاصْدِفُوا عن نَزَغاته ونَفَثاته واقْبَلوا النصيحة ممن أهْداها إليكم واعْقوها على أنْفُسِكم

ومن كلام له عليه السلام لعُمَرَ بن الخطاب

وقد استشاره في غَزْوة الفُرْس بنَفْسه

انّ هذا الأمر لم يكن نَصْرُه ولا خِذْلانُه بكَثْرةٍ ولا قِلّة وهو دين الله الذي أظْهَرَه وجُنْدُه الذي أعَدّه وأمَدّه حتى بلغ ما بلغ وطَلَع حَيْثُما طَلَعَ ونحن على مَوْعود مِن الله والله مُنْجِزٌ وَعْدَه وناصِرٌ جُنْدَه ومكانُ القَيّم بالامر مكانُ النِظام مِنَ الخَرَز يَجْمعُه ويَضُمّه فاذا انْقَطع النِظام تَفَرّق الخَرَز وذهب ثم لم يَجْتَمع بِحَذافِيره أبَدًا والعَرَبُ اليومَ وان كانوا قَليلا فَهُمْ كثيرون بالاسلام عَزِيزُون بالاجتِماع فكن قُطْبًا واسْتَدِر الرَّحى بالعَرَب وأصْلِهِمْ دُونَك نارَ الحَرْب فانك ان شَخصْتَ من هذه الارض انْتَقَضَتْ عليك العَرَب من أطْرافِها وأقْطارِها حتى يكون ما تَدَع وراءَك من العَوْرات أهَمّ إليك مما بين يَدَيك انّ الاعاجِم انْ يَنْظُروا إليك غَدًا يقولوا هذا أصل العرب فاذا قَطَعْتُمُوه اسْتَرَحْتُم فيكون ذلك أشدّ لِكَلَبهم عليك وطَمَعِهِم فيك فأمّا ما ذَكَرْت من مَسِير القوم إلى قتال المسلمين فانّ الله سُبحانه هو أكْرَه لِمَسِيرهِم منك وهو أقْدَر على تَغْيير ما يَكْرَه وأمّا ماذَكَرْت من عَدَدِهم فانّا لم نكن نُقاتِل فيما مضى بالكَثْرَة وانّما كُنّا نُقاتِل بالنَصْر والمَعُونة

أما بعد فقد جَعَل الـلـه لي عليكم حَقّا بولايَة أمْرِكم ولكم عَلَيّ من الحق مثـل الـذي لِي علـيكم فـالحَقّ أوسَـع الاشـياء في التَواصُـف وأضْـيَقُها في التَناصُـف لايَجْرِي لأحدٍ الا جَرَى عليه ولا يَجْـرِي عليـه الّا جَـرَى لـه ولـو كـان لأحـد أنْ يَجْـرِي عليـه لكـان ذلـك خالـصا لله سـبحانه دون خَلْقـه لقُدْرتـه عـلى عبـاده ولعَدْلِه في كل ما جَرَت عليه صُرُوفُ قَضائه ولكنه جَعَلَ حَقّـه عـلى العبـاد أن يُطيعوه وجَعَل جزاءَهم عليه مُضاعَفة الثَواب تَفَضُّلا منه وتَوَسُّعا بِما هـو مـن المَزِيد أهْله ثم جَعَل سبحانه من حُقوقه حُقُوقـا افْتَرَضَـها لـبعض النـاس عـلى بَعْض فَجَعَلها تَتَكافَأ في وُجُوهها ويُوجِب بعضُها بعضا ولا يُسْتَوجَب بعضُها الّا ببعْض وأعْظُم ما أفْتَرَض سبحانه من تلك الحُقُوق حقّ الوالِي على الرّعِيّـة عـلى الوالِي فريضة فرضها سبحانه لكلٍّ على كُلٍّ فَجَعَلها نِظاما لأُلْفَتِهم وعِزًّا لـدينهم فليـست تَـصْلُح الرّعيـة الّا بـصَلاح الـوُلاة ولا تَـصْلح الـوُلاة الّا باسـتقامة الرَعيّة فاذا أدَت الرّعيّة إلى الوالي حَقَّه وأدَّى الوالي إليها حَقّها عَزَّ الحَقّ بيـنهم وقامت مناهج الدّين واعْتَدَلَتْ معالِمُ العَدْل وجَرَت على أذْلالِها السُّنَنُ فَصَلَح بـذلك الزمـان وطُمِـع في بقـاء الدولـة ويَئِـسَتْ مَطـامعُ الأعْـداء واذا غَلَبَـت الرّعيّةُ وإليها وأجْحَف الوالي برَعِيّته اخْتَلَفَتْ هنالك الكَلمـة وظَهَـرَت مَعـالِمُ الجوْر وكَثُر الادْغال في الـدين وتُرِكَـت مَحـاجّ الـسُّنَن فعُمِـل بـالهَوى وعُطِّلَـت الأحكام وكثُرت عِلَـل النُّفـوس فـلا يُـسْتَوْحَش لِعظـيم حـقّ عُطِّـل ولا لِعظـيم باطـل فُعِـل فهنالـك تَـذلُّ الأبْـرار وتَعِـزّ الأشْرار وتَعْظُـم تَبِعـاتُ الـلـه

عند العباد فعليكم بالتَناصُح في ذلك وحُسْن التعاوُن عليه فليس أحد وان اشْتَدّ على رضاءِ الله حِرْصُه وطال في العمل اجتهادُه ببالغ حقيقة ما الله أهلُه من الطَاعة ولكن من واجب حقوق الله على العباد النصيحة بمبلغ جُهْدهم والتعاوُن على اقامة الحق بينهم وليس امْرُؤٌ وان عَظُمَت في الحق مَنْزلَتُه وتقدَّمت في الدِين فضيلته بِفَوْقَ أن يُعانَ على ما حَمَّله الله من حَقّه ولا امْرُؤ وان صَغّرَتْه النُّفوس واقْتَحَمَتْه العُيون بدون أن يُعينَ على ذلك أوْ يُعانَ عليه

فأجابه عليه السلام رجل من أصحابه بكلام طويل يُكْثِر فيه الثَناءَ عليه ويَذْكر سَمْعه وطاعتَه فقال عليه السلام انّ مِن حق مَن عَظُم جلالُ الله في نفسه وجَلَّ موضِعهُ من قَلْبِه أن يَصْغُر عنده لِعِظَم ذلك كلُّ ماسواه وانّ أحَقّ مَن كان كذلك لَمَنْ عَظُمَتْ نِعمةُ الله عليه ولَطُفَ احسانُه إليه فانه لم تَعْظُم نعمةُ الله على أحد الا ازْداد حقُّ الله عليه عِظَما وان من أسْخَف حالاتِ الوُلاة عند صالح الناس أن يُظَنّ بهم حُبُّ الفخر ويُوضَعَ أمْرُهم على الكِبْر وقد كَرِهْتُ أن يكون جالَ في ظَنّكم أنّي أُحِبّ الِاطْراء واستماعَ الثَناء ولَسْتُ بحَمْد الله كذلك ولو كنتُ أُحِبّ أن يقال ذلك لتركْتُه انْحِطاطا لله سبحانه عن تَناوُل ما هو أحَق به من العَظمة والكبرياء وربما اسْتَحْلَى الناسُ الثناءَ بعد البَلاء فلا تُثْنُوا علىّ بجميل ثَناءٍ لِاِخْراجي نفسي إلى الله وإليكم من التَّقِيّة في حقوقٍ لم أفْرُغْ مِن أدائها وفرائضَ لابُدّ من إمْضائِها فلا تُكَلِّمُوني بما تُكَلَّم به الجَبابرة ولا تتحفَّظوا منّي بما يُتَحَفَّظ به عند أهل البادرة ولا تُخالِطوني بالمُصانعة ولا تَظُنُّوا بِي استثقالا في حقٍّ قيل لي ولا الْتِماس إعْظامٍ لنفسي فانه مَن اسْتَثْقَل الحقّ أن يقال له أو

العَدلَ أن يُعْرَض عليه كان العمل بهما أثقل عليه فلا تَكُفّوا عن مقالةٍ بحق أو مَشُورة بعَدْل فانّي لَسْت في نفسي بفَوْقَ أنْ أُخْطِئ ولا آمَنُ ذلك مِن فِعلي الّا أن يَكفِيَ اللـه مِن نفسي ما هو أمْلَك به مني فانما أنا وأنتم عبيدٌ مملوكون لَربٍّ لاَرَبَّ غيره يَملِك مِنّا مالا نملَك من أنفسِنا وأخْرَجَنا ممّا كُنّا فيه إلى ما صَلَحْنا عليه فأبْدَلَنا بعد الضلالة بالهُدى وأعطانا البصيرة

ومن وصية له عليه السلام وصَّى بها

جيشا بعثه إلى العدوّ

فاذا نَزَلْتم بعَدُوٍ أو نَزَل بِكُم فليكُن مُعَسْكَركُم في قَبيل الأشْراف وسفاح الجبال أو أثْناء الاَنْهار كَيْما يكون لكم رِدْءا ودونَكُم مَرَدًّا ولْتَكُنْ مُقاتَلَتكُم من وجهٍ واحدٍ أو اثنين واجعلوا لكم رُقَباء في صَياصي الجبال ومنَاكب الهِضاب لئلا يأتِيَكم العدوّ من مكانِ مخافةٍ أو أمْنٍ واعلموا أنّ مُقدّمة القوم عيونُهم وعيونُ المقدّمة طَلائعُهم وايّاكم والتَفَرُّق فاذا نَزَلتم فانزِلوا جميعا واذا ارْتَحلْتم جميعا واذا غَشِيَكم الليلُ فاجعلوا الرماح كَفّة ولا تَذُوقوا النَوْم الّا غِرارًا أو مَضْمضة

ومن وصية له عليه السلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات وانما ذكَرْنا هنا جُمَلا منها ليُعْلَم بها انه كان يقيم عِماد الحق ويَشْرَع أمثلةَ العدل في صغير الامور وكبيرها ودقيقها وجليلها

انْطَلق على تَقْوَى الـلـه وحده لا شريك له ولا تَرُوعَنّ مسلما ولا تَجْتازَنّ عليـه كارِها ولا تَأخُذَنّ منه أكثَر من حق الـلـه في مالِه فاذا قَدِمْتَ على الحيِّ فـانْزِلْ بمائهم من غير أن تُخالِطَ أبياتَهم ثم امْضِ إليهم بالسكينة الوَقـار حتـى تقـومَ بينهم فتسَلّم عليهم ولا تَخْـدِج بالتحيـة لهـم ثـم تقـول عبـادَ الـلــه أرْسَـلَني إليكم وليُّ الـلـه وخليفتُه لِآخُذَ منكم حق الـلـه في أموالكم فهـل لله أمـوالكم من حق فَتُؤَدُّوه إلى وَليّه فان قـال قائـل لا فـلا تُراجعْـه وان أنْعَـمَ لـك مُـنْعِمٌ فانْطَلِق معه من غير أن تُخيفَه وتُوعِدَه أو تَعْسِفه أو تُرْهِقه فَخُذْ مـا أعْطالـك من ذهبٍ أو فضة فان كان له ماشِية أو إبِل فلا تَدْخُلْها الا باذنـه فـانّ أكْثَرَهـا له فاذا أتَيْتَها فلا تَدْخُل عليها دُخولَ مُتَـسَلِّطٍ عليـه ولا عَنيـف بـه ولا تُنَفِّـرَنّ بهيمة ولا تُفْزِعَنَّها ولا تَسوءنّ صاحبَها فيها واصْدَع البـاقي صَـدْعَين ثـم خَـيِّره فاذا اخْتار فلا تَعَرَّضَنّ لما اختارَه ثم اصْدَع الباقي صَدْعين ثم خَيِّره فـاذا اختـار فلا تَعَرَّضَنّ لما اخْتاره فلا تَزال بذلك حتى يبْقَـى مـا فيـه وَفـاءٌ لحـق الـلــه في مالِه فاقبِضْ حق الـلـه منه فان اسْتَقالَك فأقِلْـه ثـم اخْلِطْهـما ثـم اصْنع مِثْـل الذي صَنعْت أوّلا حتى تأخذ حق الـلـه في مالِـه ولا تأخُـذَنّ عَـوْدا ولا هَرِمـة ولا مكسورةً ولا مَهْلوسة ولا ذاتَ عَوارٍ ولا تَأمَنَنَّ عليها الّا مَن تَثِق بِدينِه رافِقا بمـال المسلمين حتى يُوَصِّله إلى وَليِّهِم فَيقْسمه بيـنهم ولا تُوَكِّـلْ بهـا إلّا ناصِـحا شـفيقا وأمينا حفيظا غيرَ مُعَنّف ولا مُجْحف ولا مُلْغِـب ولا مُتْعِـب ثـم احْـدُه إلينـا مـا اجْتَمَع عندك نُصَيّرْهُ حيثُ أمَرَ الـلـه فاذا أخَذَها أمينُك فـأوْعِزْ إليـه أن لا يَحُـول بيْن ناقةٍ وبين فَصيلها ولا يَمْصُر لَبَنهَا فَيَضُرّ ذلك بوَلَدِها ولا يَجْهَدَنَّها ركُوبًا ولْيَعْدِل بيْن صَـواحِباتها في ذلـك وبيْنَهـا وليُرفّـه عـلى اللاغِـب ولْيَـسْتَأنِ بالنَّقِـب والظـالِع

ولْيُورِدْها ما تَمُرُّ به من الغُدُر ولا يَعْدِل بها عن نَبْت الارض إلى جَوَادّ الطُرُق ولْيُرَوِّحْها في الساعات ولْيُمْهلها عند النِطاف والأعْشاب حتى تأتينَا باذن الله بُدْنا مُنْقِياتٍ غير مُتْعَبَاتٍ ولا مجهودات لنَقْسِمَها على كتاب الله وسُنّة نبيه صلى الله عليه وآله فان ذلك أعظم لِأجْرك وأقْرَب لرُشْدك ان شاء الله

وقال عليه السلام وقد سمع رجلا يذم الدنيا أيُّها الذّامُّ للدُّنْيا المُغْـتَرّ بغَرُورها المَخْدوع بأبَاطِيلِها ثم تَذُمّها أتَغْتَرّ بالدُّنْيا ثم تَذُمّها أنْـتَ المُتَجَـرِّم عليها متى اسْتَهْوَتْكَ أمْ متى غَرَّتْك أبِمَصَارع آبائـك مـن البِلَى أم بِمَضَاجِع أمَّهاتِـك تَحْـتَ الثَّرَى كم عَلَّلْت بكَفَّيْك وكم مَرَّضْتَ بِيَدَيْك تَبْغِي لهم الشِفَاء وتَسْتَوْصِف لهم الأطِباء لم يَنْفَع أحَدَهم إشْفَاقُك ولم تُسْعَف بطَلِبتَك ولم تَدْفَع عنه بقُوَّتك قد مَثَّلَت لك به الدُّنْيا نَفْسَك وبِمَصْرَعه مَصْرَعَك انّ الدُّنْيا دَارُ صِدْق لِمَن صَدَقها ودارُ عافِيَةٍ لمَن فَهِم عنها ودارُ غِنًى لمن تَزَوَّدَ منها ودارُ مَوْعِظَةٍ لمن اتَّعَظَ بها مَسْجِد أحِبّاء الله ومُصَلّى ملائكة الله ومَهْبَط وَحْي الله ومَتْجَرُ أولياء الله اكْتَسَبُوا فيها الرَحْمة ورَبِحوا فيها الجَنّة فَمنْ ذا يذَمُّها وقد آذَنَتْ بِبَيْنِها ونادَتْ بفراقها ونَعَتْ نَفْسَهَا وأهْلَها فَمَثَّلَتْ لهم بِبَلائِها البَلاء وشَوّقَتْهم بسُرُورِها إلى السُّرُور راحَتْ بِعَافِية وابْتَكَرَتْ بفَجيعة تَرْغِيبا وتَرْهِيبا وتَخْوِيفا وتَحذيرا فَذَمَّها رِجالٌ غَدَاةَ النَدَامَة وحَمِدها آخَرون يوم القيامة ذَكَّرَتْهم الدُّنْيا فَتَذَكَّروا وحَدَّثَتْهم فَصَدَّقوا ووَعَظَتْهم فاتَّعَظُوا

عهد أمير المؤمنين الامام علي كرم الـلـه وجهه

ورضى عنه للاشْتَر النَّخَعي

بسم الـلـه الرحمن الرحيم

هذا ما أمَرَ به عبد الـلـه على أمير المؤمنين مالك بن الحـارِث الاشْـتَر في عَهْـده حين ولّاه مِصْر جِبايَةَ خَرَاجِها عَدُوِّها وإصْلاحَ أهْلِها وعِمارَة بلادها أمَرَه بتَقْوَى الـلـه وايثَار طاعَته واتِّباع ما أمَر به في كتابه مِن فرائضه وسُنَنه التي لا يَـسْعَد الاّ باتّباعها ولا يَشْقَى الا مع جُحُودها واضَاعَتِها أنْ يَنْصُر الـلـه سـبحانه بِيَـدِه وقَلْبه ولسَانه فانه جلّ اسْمُه قد تَكَفَّل بنَصْر مَن نَصَره وإعْزازِ مَن أعَزّه وأمَـرَه أن يَكْسِر من نفسه عند الشَهَوات ويَزَعَها عنـد الجَمحَـات فـانّ الـنَفْسَ أمّـارَةٌ بالسُوء إلّا ما رَحِم الـلـه ثم اعْلَمْ يا مالُك أنّي قـد وَجَّهْتُـك إلى بـلاد قـد جَـرَتْ عليها دُوَلٌ قبلك من عَدْلٍ وجَوْرٍ وأن النـاس يَنْظُـرون مـن أمُـورِك في مُثْـل مـا كُنْتَ تنظر فيه من أمور الوُلَاة قبلك ويقولون فيك كما كُنْتَ تقول فيهم وانمـا يُسْتَدَلّ على الصالحين بما يُجْري الـلـه لهم عـلى ألْـسِنَة عبـاده فَلْـيَكُنْ أحَـبّ الذَخائِر إليك ذَخيرة العَمَل الصالح فامْلِك هَوَاك وشُحّ بنفسك عَمّا لا يَحِلّ لك فانّ الشُّحّ بالنفس الانصاف منها فيما أحَبَّتْ أو كَرِهَتْ وأشْـعِر قلبَـك الرَّحْمَـة للرَّعِيّة والمَحَبّة لهم واللُّطْف بهم ولا تكونَنّ عليهم سَبُعًا ضارِيًا تَغْتَـنِمُ أكْلَهـم فانهم صِنْفانِ إمّأ أخٌ لك في الدِّين وإمّا نظيرٌ لك في الخَلْق يَفْـرُط مـنهم الزَّلَـل وتَعْرِض لهم العِلَل ويُؤْتَى على أيديهم في العَمْد والخَطَـأ فـأعْطهم مـن عفْـوك

وصَفْحك مِثْل الذي تُحِبّ وتَرْضَى أن يُعْطيَك اللـه مـن عفْـوه وصَـفْحه فانـك فَوْقَهم ووَالِي الاَمْرِ فَوْقَك والـلـه فوق مَن ولّاك وقد اسْتَكْفَاك أمْرَهُم وابْـتَلاك بهم ولا تَنْصِبَنّ نَفْسَك لحَرْب الـلـه فانه لايَدَىْ لـك بنقْمته ولا غِنَـى بـك عـن عفوه ورحمته ولا تَنْدَمَنّ على عفو ولا تَبَجَّحَنّ بعُقوبـه ولا تُـسْرِعَنّ إلى بـادِرَة وجَدْت عنها مَنْدوحـة ولا تقـولَنّ اني مُـؤَمَّرٌ آمـر فأُطـاع فـان ذلـك إدغْـال في القلب ومَنْهَكة للدِّين وتَقَـرُّبٌ مـن الغـيرَ واذا أحْـدَث لـك مـا أنـتَ فيـه مـن سُلْطانك أبَّهَةً أو مَخِيَلةً فانظر إلى عِظَم مُلْك الـلـه فَوْقك وقُدْرته منك على مـا لا تَقْدِر عليه من نفسك فان ذلك يُطامِن إليك من طِماحك ويكُفّ عنـك مـن غَرْبك ويُفئ إليك بما عَزَب عنك من عَقْلك وايّـاك ومُـسَاماة الـلــه في عَظَمتـه والتَشَبُّه به في جَبَرُوته فان الـلـه يُذِلّ كُلّ جَبّار ويُهين كّل مُحْتال أنْصِفِ الـلــه وأنصف الناسَ من نفسك ومن خاصّة أهلك ومَن لـك فيـه هَـوًى مـن رَعيَّتـك فانك ان لا تَفْعَلْ تَظْلِمْ ومن ظَلَم عبادَ الـلـه كـان الـلــه خَـصْمه دون عبَـاده ومن خاصَمَه الـلـه أدْحَضَ حُجَّتَه وكان لله حَرْبا حتى يَنْزِع ويَتُوب وليس شئ أدْعَى إلى تغيير نعمة الـلـه وتعجيل نقْمتـه مـن اقامـة عـلى ظُلْـم فـان الـلــه سَميعٌ دعـوةَ المظلـومين وهـو للظـالمين بالمِرْصـاد ولْـيَكُنْ أحَـبَّ الامـور إليـك أوْسَطها في الحق وأعَمّها في العَدْل وأجْمَعها لرِضَـا الرعيَّـة فـان سُـخْط العامّـة يُجْحِف برِضا الخاصّة وانّ سُخْط الخاصّة يُغْتَفَر مع رِضَا العامّة وليس أحَدٌ من الرعية أثْقَل على الوالي مؤُنَةً في الرَخاء وأقَلّ مَعُونَة في الـبَلاءْ وأكْـرَه للأنْـصاف وأسْأل بالالْحاف وأقَلّ شُكْرا عند الإعْطَاء وأبْطأَ عُذْرا عنـد المَنْـع وأخَـفّ صَـبْرا عنـد مُلِـمّات الـدَهْر مـن أهْـل الخاصَّـة وانمـا عِـمَاد الـدين وجـماع المـسلمين

والعُدّةُ للأعْدَاء العامّةُ من الأمّة فليكُن صَفْوُك لهم ومَيْلُك معهم ولْيَكُن أبْعَدَ رَعيّتك منك وأشْنأَهم عندك أطْلَبهم لِمَعايب الناس فانّ في الناس عُيُوبا الوالي أحَقّ مَن سَتَرها فلا تَكْشِفن عما غاب عنك منها فانما عليك تَطْهير ما ظهر لك والله يَحْكُم على ما غاب عنك فاسْتُر العَوْرَة ما اسْتَطَعْتَ يَسْتُر الله منك ما تُحِبّ سَتْرَهُ من رعيّتك أطْلقِ عن الناس عُقْدَة كُلّ حِقْدٍ واقْطَع عنك سببَ كِلَ وَتْر وتَغَابَ عن كل مالا يَصحُّ لك ولا تَعْجَلَنّ إلى تصديقِ ساع فان الساعي غاشّ وان تَشَبَّه بالنَّاصحين ولا تُدْخِلَنّ في مَشُورَتِك بَخيلا يَعْدِل بك عن الفضل ويَعِدُك الفَقْر ولاجَبانًا يُضْعِفك عن الامور ولا حَريصا يُزَيّن لك الشَرَةَ بالجَوْر فانّ البُخْل والجُبْن والحرْص غَرَائُز شَتَّى يَجْمَعُهما سوءُ الظّنّ بالله انّ شَرّ وُزَرَائك مَن كان قبلَك للأشْرَار وَزيرا ومن شَرِكَهُمْ في الآثام فلا يكونَنّ لك بِطانة فانهم أعْوان الأثَمَة واخْوان الظَلَمة وأنت واجِدٌ منهم خَيْر الخَلَف ممن له مِثْل آرائهم ونَفَاذهم وليس عليه مِثْل آصارِهِم وأوْزَارِهِم ممن لا يُعاوِن ظالِما على ظُلْمه ولا آثما على اثْمه أولئك أخَفّ عليك مَؤُونَةً وأحْسَنُ لك مَعُونة وأحْنَى عليك عَطْفا وأقَلّ لغيرك إلْفا فاتَّخِذْ أولئك خاصّةً لِخَلَواتِك وحَفَلَاتك ثم ليْكُن آثَرَهُم عندك أقْوَلُهم لك بِمُرِّ الحَقّ وأقَلُّهم مساعدة فيما يكون منك مما كَرِه الله لأوْلِيائه واقِعًا ذلك من هَواك حيث وَقَعَ والْصَقْ بأهل الورعَ والِصّدْق ثم رُضْهُمْ على أن لا يُطْرُوك ولا يُبَجّحوك بباطل لم تَفْعَله فان كَثْرة الاِطْراء تُحْدِث الزَهْو وتُدْني من العِزَّة ولا يكونَنّ المُحسِن والمُسِئ عندك بمَنْزلة سَواء فانّ في ذلك تَزْهيدا لأهْل الاحسان في الاحسان وتَدْريبا لأهل الاساءة على الاساءة وألْزِم كُلاًّ

منهم ما أَلْزَم نفسه واعْلَمْ أنه ليس شئ بأدْعَى إلى حُسْن ظنّ وَالٍ برَعيّته من احْسانِه إليهم وتَخْفيفه المؤُونات عليهم وتَرْك استِكْرَاهِه إيَّاهُم على ما ليس له قِبَلَهم فَلْيَكُنْ منك في ذلك أمْر يَجْمَع لك حُسْن الظَنّ بِرَعيّتك فانّ حُسْن الظَنّ يَقْطَع عنك نَصَبا طويلا وانّ أحَقّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّك به لمَنْ حَسُنَ بَلاَؤُك عنده وانّ أحَقّ من ساءَ ظَنُّك به لمَنْ ساءَ بلاؤك عنده ولا تَنْقُضْ سُنَّةً صالِحة عَمل بها صُدُور هذه الأُمّة واجْتَمَعَتْ بها الألْفة وصَلَحَتْ عليها الرعية ولا تُحْدِثَنّ سُنَّة تَضُرّ بشئ مما مضى من تلك السُّنَن فيكون الأجْرُ لِمَن سَنَّها والوِزْر عليك بما نَقَضْتَ منها وأكْثِر مُدَارسة العُلَماء ومناقشة الحُكماء في تَثْبيت ما صَلَح عليه أمْر بلادك واقامة ما اسْتَقام به الناس قَبْلك واعْلَم أنّ الرعية طبقات لا يصلُح بعضُها الّا ببعض ولا غنًى ببعضها عن بعض فمنها جُنودُ الله ومنها كتّاب العامّة والخاصة ومنها قُضَاةُ العدل ومنها عُمّال الانصاف والرِفْق ومنها أهلُ الجزْية والخَرَاج من أهل الذمّة ومُسْلِمة الناس ومنها التجّار وأهلُ الصِناعات ومنها الطَبَقة السُفْلَى من ذَوى الحاجة والمَسْكَنة وكُلًّا قد سَمَّى الله سَهْمَه ووضَع على حَدّه فريضةً في كتابه أو سُنَّة نبيه صلى الله عليه وآله عَهْدًا منه عندنا محفوظا فالجُنود باذن الله حُصُون الرعية وزَيْن الوُلاة وعِزّ الدين وسُبلُ الأمْن وليس تَقوم الرعية الّا بهم ثم لاقِوامَ للجُنود الّا بما يُخْرِج الله تعالى لهم من الخَرَاج الذي يَقْوَوْن به في جِهاد عَدُوِّهم ويعتمدون عليه فيما يُصْلِحهم ويكون من وراء حاجتهم ثم لا قِوامَ لهَذيْن الصِنفين الا بالصِّنْف الثالث من القُضَاة والعُمّال والكتّاب لما يُحْكِمون من المَعَاقِد ويَجْمَعون من المنافع ويُؤْتَمَنون عليه من خَواصّ الامور

وعَوَامّها ولا قِوامَ لهم جميعا الا بالتّجّار وذَوي الصّناعات فيما يجتمعون عليه من مَرَافِقهم ويُقيمونه من أسْواقهم ويكْفُونهم من التَّرَفّق بأيْديهم ما لا يَبْلُغ رفْق غيرهم ثم الكبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يَحُقُّ رِفْدُهم ومَعُونتهم وفي الله لكُلٍّ سَعَةٌ ولكُلٍّ على الوالي حَقّ بِقَدْر ما يُصْلِحه وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألْزَمه الله من ذلك الّا بالاهتمام والاستعانة بالله وتوطين نَفْسه على لزومه الحقّ والصبر عليه فيما خَفّ عليه أو ثَقُل فَوَلِّ من جُنُودك أنْصَحَهم في نَفْسك لله ولرسوله ولامامِك وأطْهَرَهُمْ جَيْبًا وأفْضَلَهم حِلْما ممن يُبْطئ عن الغضب ويَسْتَريح إلى العُذْر ويَرْأفُ بالضُعَفاء ويَنْبُو على الاَقْوِياء ممن لا يُثِيره العُنْف ولا يَقْعُد به الضّعْف ثم الْصَقْ بذوِي الْمُرُآت والاَحْساب وأهل البُيوتات الصالحة والسوابق الحَسَنة ثم أهل النَجْدة والشجاعة والسخاء والسماحة فانهم جِماعٌ من الكَرَم وشُعَب من العُرْف ثم تَفَقّد من أمورهم ما يتَفَقّده الوالِدانِ من ولدهما ولا يتَفَاقَمَنّ في نفسك شئ قَوّيْتَهم به ولا تَحْقِرَنّ لُطْفا تتعاهَدهُم به وان قَلَّ فانّه داعِيةٌ إلى بَذْل النَصيحة لك وحُسْن الظَنّ بك ولا تَدَع تَفَقُّد لطيف أمورهم اتّكالا على جَسِيمها فلن لليَسير مِن لُطْفك مَوْضِعا يَنْتَفِعُون به وللْجَسِيم مَوْقِعًا لا يَسْتَغْنُون عنه وليكن آثَرَ رؤوس جُنْدِك عندك مَن وَاساهُمْ في مَعُونته وأفْضَل عليهم مِن جِدَتِه بما يَسَعُهم ويَسَع من وراءهم مِن خُلُوف أهْلِهم حتى يكون هَمُّهم هَمًّا واحدا في جِهاد العدوّ فان عَطْفَك عليهم يُعَطّف قُلُوبَهم عليك وان أفْضَل قُرّة عين الوُلاة اسْتِقامة العَدْل في البلاد وظُهُورا مَوَدّة الرَّعيّة وانه لا تَظْهر مَوَدّتُهم الا بسلامة صدروهم ولا تَصِحّ نصيحتهم الا بِحِيطتهم

على وُلاة أمورهم وقِلّة استِثقال دُوَلِهم وتَرْك استِبطاء انقطاع مُدّتهم فافْسَحْ في آمالهم وواصِل في حَسْن الثَنَاء عليهم وتَعْديد ما أبْلَى ذوو البلاء منهم فانّ كَثْرَةَ الذِكر لِحُسْن فعَالِهم تَهُزّ الشّجاع وتُحَرِّضُ الناكِلَ ان شاء اللـه تعالى ثم اعْرِف لِكُلّ امْرِئ منه ما أبْلَى ولا تُضيفَنّ بلاءَ امرِئ إلى غيره ولا تُقَصّرَنّ به دون غاية بلائه ولا يَدْعُونّك شَرَفُ امرئ إلى أن تُعَظِّم من بَلائه ما كان صغيرا ولا ضَعَةُ امرئ أنْ تَسْتَصْغِر من بَلائه ما كان عظيما وارْدُدْ إلى اللـه ورسوله ما يُضْلِعك من الخُطوب ويَشْتَبِه عليك من الأمور فقد قال سبحانه لِقَوْم أحَبَّ ارْشادَهم (يأيها الذين آمنوا أطِيعوا اللـه وأطِيعوا الرسولَ وأُولِي الأمْر منكم فان تَنَازَعْتُمْ في شئ فَرُدُّوهُ إلى اللـه والرسول) فالرَّدُّ إلى اللـه الأخذ بمُحْكَم كتابه والرَّدُ إلى الرسول الأخْذ بسُنَّته الجامعية غيَر المُفَرِّقه ثم اخْتَرْ للْحُكْم بين الناس أفْضَل رَعيّتك في نَفْسك ممَّن لا تَضِيق به الامور ولا تُمَحِّكُه الخُصُوم ولا يَتَمادى في الزَّلة ولا يَحْصَر عن الفَئْ إلى الحَقّ اذا عَرَفه ولا تُشْرِف نَفْسُه على طَمَع ولا يَكْتَفِي بأدْنَى فَهْم دون أقصاه أوْقَفَهم في الشُبُهات وآخَذَهم بالحُجَج وأقَلّهم تَبَرُّما بمراجعة الخَصْم وأصْبَرَهم على تَكْشيف الأُمور وأصْرَمَهم عند اتّضاح الحُكم ممن لا يَزْدَهِيه إطرَاء ولا يَسْتَمِيله اغْراء وأولئك قَلِيل ثم أكْثِرْ تَعاهُد قَضائه وافْسَح له في البَذْلِ ما يُزيح علَّته وتَقلّ معه حاجَتُه إلى الناس وأعْطه من المنزلة لدَيكَ مالا يَطْمَع فيه غيرُه من خاصتِك لتأمن بذلك اغتِيال الرِجال له عِندَك فانْظُر في ذلك نَظَرا بَلِيغا فانّ هذا الدِّين قد كان أسيرا في أيْدي الاشْرار يُعْمل فيه بالهَوى وتُطْلب به الدُّنيا. ثم انْظُرْ في أمُور عُمَّالِك فاستَعْمِلْهُم اختْبارًا ولا تُوَلِّهم مُحاباةً وأثَرَةً فانهم

جِماعُ من شُعَب الجَوْر والخِيانة وتَوَخَّ منهم أهل التَجْربـة والحَيـاء مـن أهـل البيُوتات الصالحة والقِدَم في الاسْلام فانهم أكْرَمُ أخْلاقا وأصَحّ أعْراضـا وأقَـلّ في المطامع اشرَافًا وأبلغُ في عواقِب الأمور نَظَرًا ثم أَسْبغ عليهم الأرزاق فان ذلـك قوّةٌ لهم على اسْتِصْلاح أنْفُسِهم وغِنًى لهم عن تَناوُلِ ما تحت أيْـديهم وحُجّـة عليهم ان خالَفُوا أمْرَك أو خانُوا أمانَتَك ثم تَفَقَّدْ أعمالَهم وابْعَث العُيُـون مـن أهل الصِدقْ والوفاء عليهم فانّ تَعاهُدك في الـسّر لأمـورهم حَـدْوةٌ لهـم عـلى اسْتعمال الامَانة والرِفْق بالرَّعِيّة وتَحَفّظ من الاعوان فانْ أحدٌ منهم بَسَط يَدَه إلى خِيانـة اجْتَمَعَـتْ بهـا عليـه عنـدك أخْبـار عُيُونِـك اكْتَفَيْـتَ بـذلك شـاهدًا فَبَسَطْتَ عليه العُقُوبة في بَدَنه وأخَذْتَه بما أصابَ من عملِـه ثـم نَـصَبْتَه بمقـام المَذلّة ووَسَمْته بالخِيانة وقَلّدتَه عارَ التُّهَمَة. وتَفَقَد أمر الخَرَاج بما يُصْلح أهلَـه فان في صلاحه وصلاحهم صلاحًا لمن سِواهم ولا صَلاحَ لمن سِواهم الّا بهـم لان الناس كُلّهم عيالٌ على الخَرَاج وأهْلِه وليكن نظـرُك في عـمارة الارض أبْلَـغَ مـن نَظَرك في اسْتجْلاب الخَراج لأن ذلك لا يُدْرَك الّا بالعمارة ومَن طلـبَ الخـرَاج بغير عمارة أخْرَب البلادَ وأهلك العِباد ولم يَسْتَقم أمْـرُه الّا قَلـيلا فـانْ شَـكَوْا ثِقَلًا أو عِلّة أو انْقطاع شِرْبٍ أو بالَّةً أو احالةَ أرض اغْتَمَرها غَـرَقٌ أو أحْجَـف بها عَطَشٌ خَفَّفْتَ عنهم بما تَرْجو أن يَصْلُح به أمْرُهم ولا يَـثْقُلَن عليـك شـئٌ خَفَّفْت بـه المُؤونـة عـنهم فانـه ذُخْءر يَعُـودون بـه عليـك في عِـمارة بَلَـدِك وتَـزْيين ولايَتِـك مـع اسـتجلابك حُـسْنَ ثنـائهم وتَبَجُّحـك باستفاضـة العَـدْل فيهم مُعْتمدًا فَضْلَ قُـوَّتهم بمـا ذَخَـرْت عنـدهم مـن اجْمامِـك لهـم والثِقـة منهم بما عَوّدْتَهم من عَدْلك عليهم في رِفْقـك بهـم فربمـا حَـدَث مـن الأمـور

ما اذا عُوِّلَ فيه عليهم من بَعْدُ احْتَمَلُوه طَيِّبَة أنْفُسُهُم به فان العُمْران يَحْتمِل ما حَمَّلْتَه وانما يأتي خَراب الارض من اعْواز أهْلِها وانما يُعوْز أهْلُها لإشْراف أنْفُس الوُلاة على الجمع وسُوء ظَنِّهم بالبَقاء وقلّة انتِفاعِهم بالعِبرَ. ثم انْظُر في حال كُتّابك فَوَلِّ على أمُورِك خَيْرَهم واخْصُصْ رَسائلَك التي تُدْخل فيها مكائدَك وأسرارَك بأجمعِهم لوُجوه صالح الاخْلاق ممن لا تُبْطِره الكَرامة فَيَجْتَرِئ بها عليك في خِلافٍ لك بحَضْرة مَلأ ولا تُقَصِّر به الغَفْلة عن ايراد مكاتَبات عُمّالِك عليك واصدار جَواباتِها على الصَواب عنك فيما يأخُذُ لك ويُعْطى منك ولا يُضْعِف عَقْدًا اعْتَقَده لك ولا يَعْجِز عن اطلاق ما عُقد عليك ولا يَجْهَل مَبْلَغ قَدْر نفسه في الأمور فان الجاهل بقَدْر نفْسه يكون بقدر غيره أجْهلَ ثم لا يكن اختيارُك ايّاهم على فِراستك واستنامتك وحُسْن الظن منك فانّ الرجال يَتَعَرَّفون لِفراسات الوُلاة بتصَنُّعِهم وحُسن خِدمِتهم وليس وراءَ ذلك من النصيحة والأمانة شئ ولكن اخْتَبِرْهم بما وَلُوا للصالحين قَبْلك فاعْمد لِأحْسنِهم في العامّة أثَرًا وأعْرَفِهم بالآمانة وَجْهًا فان ذلك دليلٌ على نصيحتك لله ولمن وَليتَ أمْرَه واجعل لرأس كلٍّ من أمورك رأسا منهم لا يَقْهَره كبيرُها ولا يَتَشتَّت عليه صغيرُها ومهما كان في كُتّابك من عَيب فَتَغابَيْتَ عنه الْزِمْتَه. ثم اسْتَوْص بالتجّار وذَوي الصناعات وأوْصِ بهم خيرا المُقيم منهم والمُضْطِرب بمالِه والمُتَرَفّق ببَدنه فانهم مَوادّ المنافع وأسباب المَرافق وجُلّابُها من المَباعِد والمَطارِح في بَرّك وبَحْرِك وسَهْلك وجَبَلك وحيث لا يَلْتَئم الناسُ لمواضعِها ولا يَجْتَرؤون عليها فانهم سِلْمٌ لا تُخَافُ بائقَتُه وصُلْحٌ لا تُخْشَى غائلُته وتَفَقَّدْ أمورَهم بحضْرتك وفي

حَواشي بلادك واعْلَم مـع ذلـك انّ في كثـير مـنهم ضِـيقا فاحـشًا وشُـحًّا قبيحًـا واحتكارا للمنافع وتَحَكُّما في البِياعات وذلك بابُ مَـضَرّةٍ للعامّـة وعَيـبٌ عـلى الوُلاة فامْنَع من الاحتكار فان رسول الـلــه صلى الـلــه عليـه وآلـه مَنَـع منـه وليكن البيع بيعا سمْحا بموازين عَدْلٍ وأسْعارٍ لا تُجْحِف بالفريقين مـن البـائع والمبتاع فمن قارَف حُكْرَةً بعد نَهْيِك إيّاه فَنِكّلْ به وعاقِـب في غـير إسْرافٍ ثـم الـلـه الـلـه في الطَبَقة السُّفلَى من الذين لا حيلـةَ لهـم والمـساكين والمحتـاجين وأهـل البُـؤْسَ والزَّمْنَـي فـان في هـذه الطبقـة قانِعًـا ومُعْـتَرًّا واحْفَـظ لله مـا اسْتَحْفَظَك من حَقّه فيهم واجعل لهم قِسْما من بَيْت مالِك وقِسْما مـن غَـلَّات صَوافِي الاسلام في كل بلد فان للأقْصى منهم مِثل الذي للأدْنَى وكُلٌّ قد اسْتُرْعِيتَ حقَّه فلا يَشْغَلَنَّك عنهم بَطَرٌ فانك لا تُعْذَر بتَـضْييعك التافِـهَ لِإحْكامِـك الكثـيرَ المُهِمّ فلا تُشْخِصْ هَمّك عنهم ولا تُصَعِّر خَدَّك لهم وتَفَقَّـد أمـورَ مَـن لا يَـصِلُ إليك منهم ممن تَقْتَحِمه العيون وتَحْتَقرهُ الرجال ففَرِّغ لأولئك ثِقَتَك من أهل الخَشْية والتواضُع فلْيَرْفَع إليـك أمـورَهم ثـم اعْمَـل فـيهم بالاعْـذار إلى الـلــه سبحانه يوم تَلْقاه فان هؤلاء من بين الرَعيّـة أحْـوَجُ إلى الانْـصاف مـن غـيرهم فاعْذِرْ إلى الـلـه في تأدِية حقه إليه وتَعَهَّـد أهـلَ اليـتُمْ وذَوى الرّقَّـة في الـسّنّ ممن لا حِيلَة له ولا يَنْصِب للمسألة نَفْسه وذلك على الوُلاة ثَقيل والحَـقّ كُلُّـه ثَقيل وقد يُخَفِّفه الـلــه عـلى أقـوام طَلَبـوا العاقبَـة فَـصَبَّرُوا أنْفُـسَهم ووَثِقـوا بصدق مَوعُود الـلــه لهـم واجْعَـلْ لِـذَوي الحاجـات منـك قَـسْما تُفَـرِّغُ لهـم فيـه شَخْصك وتَجْلِس لهم مَجْلِسا عامّاً فتتواضَع فيه لله الذي خَلَقَك وتُقْعد عنهم جُنْدَك وأعوانَك من أحْرَاسك وشُرطَك حتى يُكَلِّمك مـتكلّمُهم غـيْرَ مُتَتَعْتِـع فـإنِّي سـمِعتُ

رسولَ اللـه صلى اللـه عليه وآلـه يقـول في غـير مَـوْطِن (لـن تُقَـدَّس أمَـةٌ لا يُؤْخَذ للضعيف فيها حقُّه من القَوِيّ غير مُتَتَعْتـع) ثـم احْتَمِـل الخُـرْق مـنهم والعِيّ وسَنِّح عنهم الضِيق والأنَفَ يَبْسُط اللــه عليـك بـذلك أكْنـافَ رحمتـه ويُوجِبْ لك ثوابَ طاعِته وأعِط ما أعْطَيْتَ هنيأ وامْنعْ في إجْمالٍ وإعْـذارٍ. ثـم أمورٌ من أمُورك لابُدَّ لك من مُباشَرِتها منها إجابةُ عُمَّالك بما يَعْيَـأ عنـه كُتَّابـك ومنها اصْدارُ حاجات الناس يومَ وُرودِها عليك مما تَحْرَج بـه صـدورُ أعوانـك وأمْض لكل يوم عَمَلَه فان لكل يوم ما فيه واجعـل لنفـسك فـيما بينـك وبـين اللـه تعالى أفضل تلك المواقيت وأجْـزَلَ تلـك الأقـسام وان كانـت كُلّهـا لله اذا صَلَحَتْ فيها النِيّة وسَلَمَت منها الرِعيّة وليكن في خاصّة ما تُخْلِص لله به دِينَك إقامةٌ فرائِضة التي هى له خاصة فأعْطِ اللـه من بَدَنِك في لَيْلِك ونَهـارِك ووَفِّ ما تَقَرَّبْتَ به إلى اللـه سبحانه من ذلك كاملا غيرَ مَثْلُوم ولا منقوص بالِغا مِن بَدَنِك ما بَلَغ واذا قُمْتَ في صلاتك للناس فلا تكوننّ مُنَفِّـرا ولا مُـضَيِّعا فـان في الناس من به العِلّة وله الحاجة وقد سألتُ رسول اللـه صلى اللـه عليـه وآلـه حين وَجَّهَني اليَمَن كيف أصَلّي بهم فقـال (صَلِّ بهـم كـصلاة أضْـعَفِهِم وكُـنْ بالمؤمنين رحيما) وأمّا بعدُ فـلا تُطَـوِّلَنَّ احتِجابَـك عـن رَعيَّتـك فـانّ احتجـابَ الوُلاة عن الرعية شُعْبة من الضيق وقِلّة عِلْمٍ بالأمور والاحتجاب منهم يَقْطَـع عنهم عِلْمَ ما احتَجَبوا دونـه فيَـصْغُر عنـدهم الكبـير ويَعْظُـم الـصغير ويَقْبُـح الحَسَن ويَحْسُن القبيح ويُشاب الحق بالباطل وانما الـوالي بَـشَرٌ لا يَعْـرِف مـا تَـوارَى عنـه النـاسُ بـه مـن الأمـور وليـست عـلى الحـق سِـماتٌ تُعْرَف بهـا ضُروب الصِق من الكذب وانما أنتَ أحد رَجُلين إمّا امْرُؤٌ سَخَت نفسك بالبَـذْل

في الحق ففيمَ احتجابُك مِن واجِب حقٍ تُعْطيه أو فِعْل كريم تُسْدِيه أو مُبْتَلَي بالمَنْع فما أسْرَع كَفَّ الناس عن مَسألِتك اذا أيِسُوا من بَذْلِك مع أنّ أكثر حاجات الناس إليك مِما لا مَؤُنة فيه عليك من شَكاةِ مَظْلَمة أو طَلَب انصاف في مُعامَلة. ثم انّ لِلوالي خاصةً وبِطانة فيهم اسْتِئْثار وتَطاوُلٌ وقلة إنْصافٍ في معُاملة فاحْسِم مادة أولئك بقَطع أسباب تلك الاحوال ولا تُقْطِعَنّ لأحدٍ من حاشِيَتِك وخاصَّتِك قطيعة ولا يَطْمَعَنّ منك في اعتقادِ عُقْدةٍ تَضُرُّ بمن يَليها من الناس في شِرْبٍ أو عَمَل مشتَرَكٍ يَحْمِلون مَؤونَتَه على غيرهم فيكون مَهْنَأ ذلك لهم دونك وعيبُه عليك في الدنيا والآخرة وألْزِم الحقّ من لَزِمه من القريب والبعيد وكُن في ذلك صابِرًا محتسبا واقِعا ذلك من قَرابتك وخاصَّتك حيثُ وَقَع وابْتَغ عاقِبَتَه بما يَثْقُل عليك منه فانذ مغبَّة ذلك محمودة وان ظَنَّت الرعية بك حَيفًا فأصْحِرْ لهم بُعذْرِك واعْدِلْ عنك ظُنُونَهم بِاصْحارك فانّ في ذلك رِياضَةً منك لنفسك ورِفْقًا برعيتك وإعْذَارًا تَبْلُغ به حاجَتَك من تَقْويمهم على الحقّ ولا تَدْفَعَنّ صُلْحا دَعَاك إليه عَدُوّك ولله فيه رِضًا فانّ في الصُّلح دَعَةً لجُنُودك وراحةً من هُمُومك وأمنًا لبلادك ولكن الحَذَر كلَّ الحَذَر من عَدُوّك بعد صُلْحه فانّ العَدُوّ رُبّما قارَبَ لِيَتَغَفَّل فخذ بالحَزْم واتّهِم في ذلك حُسْن الظَّنّ وان عَقَدْتَ بَيْنك وبين عَدُوّك عُقْدة أو ألْبَسْته منك ذِمّة فَحُطْ عهدَك بالوَفاء وارْعَ ذِمّتَك بالأمانة واجعل نفسك جُنَّة دون ما أعطيتَ فانه ليس من فرائض الله شئٌ الناسُ أشَدُّ عليه اجتماعا مع تَفَرُّق أهْوَائِهِم وتَشَتُّت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعُهود وقد لَزِم ذلك المُشْرِكون فيما بيْنَهم دونَ المسلمين لِمَا اسْتَوْبَلُوا من عَوَاقب الغَدْر فلا تَغْدِرَنّ بِذمّتك

ولا تَخِيسَنّ بعَهدك ولا تَخْتِلَنّ عَدُوّك فانه لا يَجْتَرِئ على اللـه الا جاهِل شقِي وقد جعل اللـه عَهْدَه وذِمّتَه أمْنًا أفْضَاه بين العباد برحمتـه وحَرِيمـا يَـسْكُنُون إلى مَنَعَتِه ويَسْتَفِيضون إلى جِوَارِه فـلا إدْغـال ولا مُدَالَـسَة ولا خِـدَاع فيـه ولا تَعْقِدْ عَقْدًا تَجوز فيه العِلَلُ ولا تُعوِلَنّ على لَحْن قَوْلٍ بعد التأكيد والتَوْثِقَة ولا يَدْعُوَنّك ضِيق أمْرٍ لَزِمَك فيه عَهْدُ اللـه إلى طلـب انْفِـسَاخه بغـير الحـقّ فـانّ صَبْرَك على ضيق أمرٍ تَرْجُو انْفِراجَه وفَضْلَ عاقِبَتِه خَيْرٌ من غَـدْر تَخَـاف تَبِعَتَـه وأن تُحيط بك فيه من اللخ طَلَبِةٌ فـلا تَـسْتَقِيل فيهـا دُنْيـاك ولا آخِرَتـك إيّـاك والدّماءَ وسَفْكَها بغير حِلِّها فانه ليس شئ أدْعـى لِنِقْمَـةٍ ولا أعْظَـمَ لِتَبِعَـةٍ ولا أحْرَى بزَوَال نِعْمة وانقطاع مُدة من سَفْك الدِّماء بغـير حَقّهـا واللـه سـبحانه يَتَوَلّى الحُكْم بين العبـاد فـيما تَـسَافَكوا مـن الـدِّماء يـومَ القيامـة فـلا تُقَـوِّيَنّ سُلْطَانَك بسَفْك دَم حَرَام فانّ ذلك مما يُضْعِفُه ويُوهِنُه بـل يُزيلُـه ويَنْقلُـه ولا عُذْرَ لك عند اللـه ولا عندي في قَتْل العَمْد لأنّ فيـه قَـوَدَ البَـدَن وان ابْتُلِيـت بخَطأ وأفْرَط عليك سَوْطُك أو سيفُك أو يدُك بعُقُوبة فانّ في الوَكْزَة فما فوقهـا مَقْتَلة فلا تَطْمَحَنّ بك نَخْوَة سُلْطانِك عن أن تُؤَدِّي إلى أوليـاء المَقْتـول حَقّهـم وايّاك والاعْجَاب بنفسك والثِقَةَ بما يُعْجبك منها وحُبَّ الاطْـراء فـانّ ذلـك مـن أوْثق فُرَص الشَيطان في نفسه ليَمْحَـقَ مـايكون مـن احـسان المحـسنين وايّـاك والمَنَّ على رَعِيَّتِك باحسانك أو التَزَيُّد فيما كان من فِعْلِك أو أن تَعِدهُم فَتُتْبِـع مَوْعِدَك بِخُلْفِـك فـانّ المَـنّ يُبْطِـل الاحـسانَ والتَزَيُّـد يَـذْهب بنـور الحـق والخُلْفَ يوجب المَقْت عند اللـه والناس قال اللـه سبحانه (كَـبُرَ مَقْتًـا عنـد اللـه ان تقولوا مالا تفعلون) وإيّاك والعَجَلة بالأمور قبـلَ أوانِهـا أو التَّـسَقُّط

فيها عند إمكانها أو اللّجاجَة فيها اذا تَنَكَّرَتْ أو الـوَهْنَ عنهـا اذا اسْتَوْضَـحَتْ فَضَعْ كُلَّ أمْرٍ مَوْضِعَه وأوْقِعْ كُلَّ عَمَل مَوْقِعَه وايّاك والاستئثار بما النـاسُ فيـه أسْوَةٌ والتَّغَابِي عما يُعْنَى به مما قـد وضَـحَ للعُيُـون فانـه مـأخوذٌ منـك لغَـيرك وعما قَليلٍ تَنْكشف عنك أغْطِيَةُ الأمور ويُنْتَصَف منك للمظلـوم إمْلِـكْ حَمِيَّـةَ أنْفِك وسَوْرةَ حَدِّك وسَطْوَةَ يَدِك وغَرْب لسانِك واحْـتَرِس مـن كـل ذلـك بكَـفّ البادِرة وتأخير السَطْوة حتى يسكُن غَضَبُك فَتَمْلِكَ الاخْتيارَ ولَـن تَحْكُـم ذلـك من نفسك حتى تَكثُرَ هُمُومُك بذكْر المَعَاد إلى رَبّك والواجـبُ عليـك أن تَتَـذَكَّر مامضى لِمَن تَقَدَّمك من حكومةٍ عادلةٍ أو سُنَّةٍ فاضِلة أو أثَـرٍ عـن نَبِيّنـا صـلى اللـه عليه وآله أو فريضة في كتاب اللـه فَتَقْتَدِي بما شاهَدْت مـما عَمِلْنـا بـه فيها وتَجْتَهِد لنفسك في اتّباع ما عَهِدْت إليك في عَهْدي هذا واسْتَوْثَقْتُ به من الحُجَّة لنفسي عليك لكَيْلا يكونَ لك عِلّـة عنـد تَـسَرُّع نفـسك إلى هَواهـا وأنـا اسأل اللـه بسعَة رَحْمته وعَظيم قُدْرتـه عـلى إعْطـاء كُلّ رَغْبـة أن يُـوَفِّقَني وايّاك لِمَا فيه رِضاهُ من الاقامة على العُذْر الواضِح إليه وإلى خلْقه مـع حُـسْن الثَنَاء في العباد وجميل الأثَـر في الـبلاد وتمـام النّعمـة وتَـضْعيف الكرامـة وأن يَخْتِمَ لي ولك بالسَعَادة والشَهَادَة إنـا إلى اللـــه راغبـون والـسلامُ عـلى رسـول اللـه صلى اللـه عليه وآله الطّيّبين الطّاهرين ومن ظريـف أخبـار ابـن أبي عَتيق أن عثمان بن حيّان المُرّي لما دخل المدينة والِياً عليها اجْتَمع الأشْراف عليه من قـريش والانـصار فقـالوا لـه انـك لا تعمَـل عمـلا أجْـدى ولا أولى من تحـريم الغِنـاء والرثـاء ففعـل وأجّلهـم ثلاثـا فقِـدم ابـن أبي عتيـق في الليلة الثالثة فَحَطّ رَحْلَه بباب سَـلامة الزَرْقـاء وقـال لهـا بَـدَأتُ بِـك قبـل

أن أصير إلى مَنْزلي فقالت أو ما تَدْرِي ما حَدَث وأخْبَرَتْه الخَبَر فقال أقيمي إلى السَحَر حتى ألْقاه فقالت إنّا نَخَاف أن لا تُغْنِيَ شيئا ونُنْكَظ (أي نُعْجَل) فقال انه لا بأس عليك ثم مضى إلى عثمان فاستأذَنَ عليه فأخْبَرَه أن أخَذَّ ما أقْدَمه عليه حُبّ التسليم عليه وقال له انّ من أفْضَل ما عَلِمت به تحريمَ الغِناء والرِثاء فقال ان أهْلَك أشارُوا عليّ بذلك قال فانك قد وُفِّقْت ولكني رسول امرأةٍ إليك تقول قد كانت هذه صناعتي فَتُبْتُ إلى الله منها وأنا أسألُك أيُّها الامير أن لا تَحُول بينها وبين مُجَاورَة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال عثمان إذَنْ أدَعها لك قال إذَنْ لا يدَعَها الناس ولكن تَدْعو بها فَتَنْظُر إليها فان كانت ممن يُتْرك تَرَكْتها قال فادْعُ بها قال فأمَرَها ابن أبي عتيق فَتَقَشَّفَتْ وأخَذَتْ سُبْحَة في يَدها وصارت إليه وحدَّثَتْه عن مآثر آبائه ففَكِه لها فقال لها ابن أبي عتيق اقْرَئي للامير فَفَعَلَتْ فأعْجِبَ بذلك فقال لها فاحْدي للامير فحرّكه حُدَاؤها ثم قال لها غيّري للامير فجعل يُعْجب بذلك عثمان فقال له ابن أبي عتيق فكيف لو سَمِعتها في صِناعتها فقال له قُلْ لها فَلْتَقُلْ فأمَرَها فَتَغَنَّتْ

سَدَدْنَ خَصَاصَ الخَيْمِ لَمّا دَخَلْنَه   بكُلِّ لَبَانٍ واضح وجَبين

فنزل عثمان بن حيان عن سريره حتى جلس بين يديها ثم قال لا والله ما مِثْلُك يُخْرَجُ عن المدينة فقال له ابن أبي عتيق اذًا يقول الناسُ أذِنَ لسَلامة في المُقام ومَنع غيْرهَا فقال له عثمان قد أذِنْتُ لهم جميعا

قال التَّوَّزِي بَيْنما نحن في المسجد الجامع بالكوفة وأهلُ الكوفة يومئذ ذَوُو حال حَسَنَة يخرج الرجل منهم في العشرة والعشرين من مواليه اذ أتى آتٍ فقال هذا الحجاج قد قدِم أميرا على العِراق فاذا به قد دخل المسجد مُعْتَما بعمامة قد غَطّى بها أكْثَر وَجْهه متقلِّدا سيفا متَنكّبا قَوسا يَؤُم المِنبر فقام الناس نَحْوَه حتى صعد المنبر فمكث ساعة لا يتكلم فقال الناس بعضهم لبعض قبح الله بني أمَيْة حيث تستعمِل مثلَ هذا على العِراق حتى قال عُمَير بن ضابئ البُرْجُمِيُّ ألَا أحْصِبُه لكم فقالوا أمْهِلْ حتى نَنْظر فلما رأى عيونَ الناس إليه حَسَرَ اللثام عن فيه ونَهَض فقال

أنا ابْنُ جَلَا وطَلّاع الثَنايا متى أضع العِمامة تِعرفوني

ثم قال يأهل الكوفة إنّي لأرى رُؤوساء قد أيْنَعَتْ وحان قطافُها وانّي لَصاحِبُها وكأنّي انْظُر إلى الدِّماء بين العمائم واللِّحَى ثم قال

هذا أوان الشَدّ فاشتَدِّي زِيَمْ قد لَفَّها الليل بسَوّاق حُطَمْ
ليس براعي اِبلٍ ولا غنم ولا بجَزّار على ظَهْرِ وضَمْ

ثم قال

قد لَفّها الليلُ بعَصْلَبِيّ أرْوَعَ خَرّاج من الدّوِّيّ

" مُهاجِر ليس بأعْرابِّي "

وقال

قد شَمَّرَتْ عن ساقها فشُدّوا وجَدّت الحَرْبُ بكم فَجِدّوا
والقَوْس فيها وتَرٌ عُرُدّ مِثْلُ ذراع البَكْر أو أشَدّ

لابُدّ مما ليس مِنه بُدّ

إنّي والله يأهْل العِراق ما يُقَعْقَع لي بالشِنان ولايُغْمِز جانِبي كَتَغْمازَ التِين ولقد فُرِرْتُ عن ذكاء وفُتِّشْت عن تَجْربة وان أمير المؤمنين أطال الله بقاءه نَثَر كِنانَتَه بين يديه فَعجَم عِيدانَها فَوَجَدني أمَرّها عُودًا وأصْلَبَها مَكْسَرا فرَما كم بِي لأنّكم طالَ ما أوْضَعْتُم في الفتنة واضطجعتم في مراقد الضلال والله لأحْزِمَنّكم حَزْم السَلَمَة ولأضْرِبَنّكم ضَرْبَ غرائب الإبِل فانكم لَكَأهْل قَرية كانت آمِنة مُطْمئنة يأتيها رزقُها رَغَدًا من كل مكان فكَفَرَت بأنْعُم الله فأذاقَها الله لِباسَ الجوع والخوف بما كانو يصنعون واني والله ما أقول الّا وَفّيت ولا أهُمّ الّا أمْضَيت ولا أخْلُق الّا فَرَيتُ وان أمير المؤمنين أمَرَني باعطائكم أعْطِياتكم وأنْ أُوَجِّهكم لمحاربة عدوّكم مع المُهَلّب بن أبي صُفْرة واني أقسم بالله لا أجد رجلا تخلّف بعد أخْذ عطائه بثلاثة أيام الا ضربت عُنُقَه يا غلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين فقرأ

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين إلى مَن بالكوفة من المسلمين سلام عليكم فلم يَقُل أحد منهم شيئا فقال الحجاج اكفُف يا غلام ثم أقبلَ على الناس فقال أسَلّم عليكم أمير المؤمنين فلم

تَرُدُّوا عليه شيئا هذا أدَب ابن نهِيْة أمَا والـله لأُؤَدِّبَـنّكم غـيرَ هـذا الأدب أو لتَسْتَقيمُنّ اقرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنين فلما بلـغ إلى قولـه سـلام علـيكم لم يَبْق في المسجد أحَد الا قال وعلى أمير المؤمنين السلام

(زَعَم أبو العباس أن ابن نهية رجل كان على الشُرْطة بالبـصرة قَبْـل الحَجّـاج) ثم نزل فوضع للناس أعطياتِهم فجلعوا يأخذون حتى أتـاه شـيخ يَـرْعَش كِـبَرا فقال أيُّها الأمير انّي من الضَعْف على ما ترى ولِي ابْنٌ هـو اقْـوَى عـلى الأسْـفار مِنّي فقال له الحجاج نَفْعَل أيها الشيخ فلما وَلّى قال له قائل أتَدْرِي مَـن هـذا أيها الأمير قال لا قال هذا عُمَير بن ضابئ البُرْجُمِي الذي يقول أبوه

هَمَمْتُ ولم أفْعَـل وكـدتُ وَليْتَنـي   تَركْــتُ عــلى عــثمان تــبكِي حَلائلُــهْ

ودخل هذا الشيخ على عثمان مَقْتُولا فوطِئ بَطْنَه فكسر ضِـلعَيْن مـن أضـلاعه فقال رُدُّوه فلما رُدّ قال له الحَجّاج أيُّها هَلّا بَعَثْتَ إلى أمير المؤمنين عثمان بَدَلًا يومَ الدار انّ في قَتْلِك أيها الـشيخ لَـصَلاحا للمـسلمين يـا حَـرَسِيُّ اضْرِبـا عُنُقَـه فَجَعَل الرجل يَضِيق عليه أمْرُه فَيَرْتَحِل ويأمُرُ وَلّيه أنْ يَلْحَقَه بزادِه ففـي ذلـك يقول عبد الـلـه بن الزَّبِير الآسَدي

نَجَهَّـز فامّـا أنْ تَـزُور ابـنَ ضـابئ   عُمَـيراً وإمّــا أنْ تَــزُورَ المُهَلَّبــا
هــما خُطَّتَـا خَـسْفٍ نَجـاؤُك منهـا   رُكُوبُـك حَوْلِيّـا مـن الـثَلْج أشْـهَبَا
فأضْحَى ولـو كانـت خُرَاسـانُ دونَـه   رآهـا مكـانَ الـسوق أو هـى أقْرَبـا

لَمَّا بَلَغ طارقًا دُنُوّ لَذَرِيق قام في أصحابه فحمد اللـه وأثنى عليه بما هو أهلـه ثم حثّ المسلمين على الجهاد ورغّبهم ثم قال أيها الناس أين المَفَرّ البَحْـرُ مـن ورائكم والعدوّ أمَامكم وليس لكم والـلـه الا الصدق والصبر واعلموا أنكـم في هذه الجزيرة أضْيَع من الأيتام في مَأدُبة اللئام وقد استَقْبَلَكم عَـدُوّكم بجيـشه وأسْلِحته وأقْواتُـه مَوْفُـورة وأنْـتُمْ لا وَزَر لكـم الا سُـيُوفكم ولا أقْـوات الّا مـا تستخلِصونه من أيدي عدوّكم وان امتدّت بكم الايام على افتقاركم ولم تُنْجزوا لكم أمْرًا ذهب رِيحُكم وتعوّضـت القلـوبُ مـن رُعْبهـا عـنكم الجُـرْأَةَ علـيكم فادفعوا عن أنفسكم خِذْلان هذه العاقبة من أمركم بمُناجرة هذا الطاغية فقد ألقَت به إليكم مَدينَتُه الحصينة وان انتهاز الفرصـة فيـه لَمُمكْـنِ ان سَـمَحْتم لانفسِكم بالموت واني لم أحَذِّركَم أمْرًا أنا عنه بَنْجـوةٍ ولا حَمَلْـتكم عـلى خُطّـة أرْخَصُ متاع فيها النفوسُ أبْدَأ بنفْسي واعلموا انكم ان صَبَرتم على الاشَقّ قليلا اسْتَمْتَعتم بالأرْفَه الألَذّ طويلا فلا تَرْغَبوا بأنفسكم عن نفسي فما حَظُّكـم فيـه بأوْفَرَ من حَظّى وقد بَلَغكم ما أنشأتْ هـذه الجزيـرة مـن الخـيرات العميمـة وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين مـن الابطـال عربانـا ورضـيَكُم لمُلوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا ثِقَةً منـه بارتيـاحكم للطعـان واسـتماحكم بمجالدة الابطال والفرسان ليكون حَظُّه (منكم ثوابَ الـلـه عـلى اعلاء كلمتـه واظهار دِينه بهذه الجزيـرة) وليكـون مغْنَمهـا خالـصة لكـم مـن دونـه ومـن دون المؤمنين سِواكم والـلــه تعـالى ولِّى إنْجـادكم عـلى مـا يكـون لكـم ذِكـرًا

في الـدارين واعلمـوا أنّي أوّل مُجيـب إلى مـا دَعَـوْتكم إليـه واني عنـد مُلْتَقَـى الجَمْعين حامِلٌ بنفسي على طاغِية القوم لَـذَريق فقاتِلُـه ان شـاء الـلــه تعـالى فاحمِلوا معي فان هَلَكْتُ بعـده فقـد كُفيـتم أمْـرَه ولم يُعْـوِزْكم بَطَـل عاقـل تُسْنِدون أمورَكم إليه وان هلكتُ قبل وصولي إليه فاخلُفوني في عزيمتـي هـذه واحمِلوا بأنفسكم عليه واكتفوا الهمّ من فتح هذه الجزيرة بقتله

صفة الامام العادل

كتب عمر بن عبد العزيز رضى الـلـه عنه لما وَلِيَ الخلافـة إلى الحـسن ابـن أبي الحسن البصري أن يكتب إليه بصفة الامام العادل فكتب إليه الحـسن رحمـة الـلـه

اعلم يا أمير المؤمنين ان الـلـه جعل الامام العادل قِوامَ كـل مائـل وقَـصْد كـل جائر وصَلاح كل فاسِد وقوّة كل ضعيف ونَـصَفَة كـل مظلـوم ومَفْـرَغ كـل ملهوف والامام العدل يا أمير المؤمنين كالراعي الـشفيق عـلى إبِلـه الرفيـق الذي يَرْتاد لها أطيبَ المَرْعَى ويَـذُودُها عـن مَرائـع المَهْلكـة ويَحْميهـا مـن السِباع ويكْنُفُها من أذَى الحرّ والقَرّ والامام العدل يا أمير المـؤمنين كـالأب الحاني على ولده يسعى لهم صغارا ويعلِّمهم كبـارا يكتـسب لهـم في حياتـه ويَدَّخرلهم بعد مماته والامام العدل يا أمير المـؤمنين كـالأم الـشفيقة الـبَرّة الرفيقة بولـدها حَمَلتْـه كُرْهـا ووضـعته كرهـا ورَبَّتْـه طِفـلا تـسهَر بـسَهَرِه وتَـسْكُن بـسكونه تُرْضِـعُه تـارةً وتَفْطِمُـه أخْـرَى وتفـرح بعافيتـه وتَغْـتَمّ

بِشكايتِه والامام العدل يا أمير المؤمنين وصِيّ اليتامى وخازن المساكين يُرَبِّي صغيرَهم ويمُون كبيرهم والامام العدل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجَوانح تَصْلح الجوانح بصلاحه وتفسُد بفساده والامام العدل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده يَسْمع كلام الله ويُسْمعهم ويَنظر إلى الله ويُريهم وينقاد إلى الله ويقودهم فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما مَلّكك الله كعبدٍ ائْتَمنه سيِّده واسْتَحْفَظَه مالَه وعيالَه فَبَدّد المالَ وشَرّد العيال فأفقَرَ أهلَه وفَرَّق مالَه واعلم يا أمير المؤمنين ان الله أنزل الحُدودَ ليَزْجربها عن الخبائث والفواحش فكيف اذا أتاها مَن يَليها وان الله أنزل القصاص حياةً لعباده فكيف اذا قَتَلَهُم من يَقْتَصّ لهم واذكر يا أمير المؤمنين الموتَ وما بعده وقلة أشْياعِك عنده وأنصارك عليه فَتَزَوَّدْ له ولِما بَعْدَه من الفَزَع الاكبر واعلم يا أمير المؤمنين ان لك منزلا غيرَ منزلك الذي أنت فيه يطول فيه ثَواؤُك ويُفارِقك أحبَّاؤُك يُسْلِمونك في قَعْرِه فريدا وحيدا فتَزَوَّدّ له ما يَصْحَبك يومَ يَفِرُّ المَرْءُ من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبَنيه واذكر يا أمير المؤمنين اذا بُعْثر مافي القُبور وحُصِّل مافي الصدور فالأسْرَار ظاهرة والكتاب لا يُغادِر صغيرةً ولا كبيرة الَّا أحْصاها فالآن يا أمير المؤمنين في عباد الله بحُكم الجاهلين ولا تَسْلُك بهم سبيل الظالمين ولا تُسَلِّط المستكبرين على المستضعَفين فانهم لا يَرْقُبون في مؤمِنٍ إلّا ولا ذِمَةً فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك وتحمل أثقالك وأثْقالًا مع أثقالك ولا يَغُرَّنَّك الذين يتَنَعَّمون بما فيه بُؤْسُك ويأكلون الطيبات في دُنياهم بِاذهاب طيّباتِك في آخرتِك لا تَنْظُر إلى قُدْرتك اليومَ ولكن انظر إلى قدرتك غدًا وأنتَ مأسورٌ في حبائل الموت وموقوف بين يدي الله في مَجْمَع من

الملائكة والنبيين والمرسلين وقد عَنَت الوجوه للحيّ القيُّوم انّى يا أمير المؤمنين وان لم أبْلُغْ بِعظتِي ما بَلَغَه أولو النُّهَي من قَبْلِي فَلَمْ آلُكَ شفقةً ونصحًا فأنْزِل كتابي إليك كمُداوي حبيبه يَسْقيه الأدْوية الكريهة لِمَا يَرْجُو له في ذلك من العافية والصحة والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته

وللفرزدق في وصف الامام زين العابدين

رضى الله تعالى عنه

هذا الذي تَعْرِف البَطْحاءُ وطْأتَه ... والبيتُ يعرفه والحِلّ والحَرَمُ

هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التَّقِى النَّقِيّ الطاهر العَلُم

اذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

يُنْمىَ إلى ذِرْوة العِزّ التي قَصُرت ... عن نَيْلها عَرَب الاسلام والعجم

يَكاد يُمْسكه عرفانَ راحته ... رُكْنُ الحَطيم اذا ما جاء يَسْتِلم

في كفِّه خَيْزُرانٌ ريحُه عبِقٌ ... من كَفّ أرْوَع في عِرْنِيه شَمٌم

يُغضِي حَياءً ويُغْضَى من مَهابِتَه ... فما يُكَلَّم إلَّا حين يَبْتَسم

يَنْشَقُّ نور الهُدَى من نُور غُرَّته ... كالشمس يَنْجاب عن إشْراقها القَتَم

مُشْتَقَّة من كِرامِ القوم نَبْعَتُه ... طابَت عَناصِره والخِيمُ والشِيَمُ

هذا ابن فاطمةٍ ان كنتَ جاهِلَة ... بجَدِّه أنْبِياءُ الله قد خُتِموا

الله شَرَّفَه قَدْرًا وعَظّمَه ... جَرَى بذلك له في لَوْحِه القَلَمُ

وليس قَوْلُك مَن هذا بضائرِه | العُرْب تَعْرف مَن أنكرتَ والعَجَم
كلْتا يَديه غِياثٌ عَمَّ نَفْعُهما | يُسْتَوْكَفَانِ ولا يَعْرُوهما عَدَم
سَهْل الخَلِيقة لاتُخْشَى بَوَادِرُه | يَزينه اثنان حُسْن الخَلْق والشِيمَ
حَمْال أثْقال أقْوامٍ اذا افْتَرَضوا | حُلْو الشَمَائل يَحْلو عنده نَعَمٌ
ما قال لا قطُّ الّا في تَشَهُّده | لولا التَشَهُّد كانت لاؤه نَعَم
عَمَّ البَرِيّة بالاحسان فانْقَشَعَتْ | عنها الغَياهِب والِأمْلاق والعَدَم
من معشرٍ حُبُّهم دينٌ وبُغْضُهُمُ | كُفْرٌ وقُرْبُهُم مَنْجًى ومُعْتَصَم
ان عُدَّ أهلُ التُقى كانوا أئمتَهم | أو قيل مَن خَيْرُ أهلِ الأرض قيل هُمُ
لا يَسْتَطيع جوابا بعد غايتهم | ولا يُدانيهِم قومٌ وان كَرُمُوا
هُمُ الغُيوثُ اذا ما أزْمَةٌ أزَمَتْ | والأَسْدُ أَسْدُ الشَرَى والبَأْسُ مُحْتَدِم
لا يَنْقُصُ العُسْرُ بَسْطًا من أكُفِّهم | سِيَّانِ ذلك إن أثْرَوْا وان عَدِموا
مُقَدَّمٌ بعد ذكْر الله ذكْرُهُمُ | في كُلِّ بَدْءٍ ومَخْتوم به الكَلِم
يَأْبَى لَهُمْ أنْ يَحُلَّ الذَّمُّ ساحَتَهُمْ | خُلْقٌ كَريمٌ وأيدٌ بالنَدَى هُضُم
أيُّ الخلائق ليست في رِقابِهم | لأوّليَّة هذا أوْلَهُ نِعَمُ
من يَعْرِف الله يَعْرِف أوّليّة ذا | فالدِّين من بيتِ هذا نالَهُ الامم

وخَطَب واصل بن عطاء وكان أَلْثَغَ بالراء

فكان لذلك يَتَجَنَّبُها في كلامه

الحمد لله القديم بلا غاية والباقي بلا نهاية الذي عَـلَا في دُنُـوّه ودَنـا في عُلُـوّه فلا يَحْويه زمان ولا يحيط به مكان ولا يَؤُودُه حِفْظُ ما خَلَـق ولم يَخْلُقْـه عـلى مِثالٍ سَبَق بل أَنْشَأه ابتداعا وعَدَّلَـه اصطِناعا فأَحْـسَنَ كُـلَّ شـئ خَلَقَـه وتَمَّـم مَشيئَتَه وأوضح حِكْمَتَه فَـدَلّ عـلى ألوهِيّتـه فـسبحانه لا مُعقّـبَ لحُكْمـه ولا دافِع لقضائه تواضَع كُلُّ شئ لعَظَمته وذَلّ كلُّ شئ لسلطانه ووسِـعَ كـلَّ شـئ فَضْلُه لا يَعْزُب عنه مِثْقال حبَّة وهو السميع العليم وأشهد أن لا اله الا اللـــه وحده الها تقدَّسَت أسماؤه وعَظُمت آلاؤه عَلَا عن صفات كلّ مخلـوق وتَنَـزّهَ عن شَبيه كل مصنوع فلا تَبْلُغه الأوهام ولا تُحيط به العقول ولا الافهام يُعـصَى فَيَحْلُم ويُدْعَى فَيَسْمَع ويَقْبَل التوبة من عباده ويَعْفُو عـن الـسيآت ويَعْلَـم مـا يفعلون وأشْهَدُ شهادةَ حَقٍّ وقَوْلَ صِدق باخلاص نِيّة وصِحّة طوِيّة أن محمد بـن عبد اللـه عبده ونبِيه وخالِصَته وصَفِيّه ابْتَعَثَه إلى خَلْقه بالبَيِّنـة والهُـدَى وديـن الحقِّ فَبَلَغ مَأْلُكَته ونَصَحَ لأمتّه وجاهَدَ في سبيل اللـه لا تأْخُـذه في اللــه لَومـةُ لائم ولا يَصُدُّه عنه زَعْمُ زاعم ماضِيا عـلى سُـنَّته مُوفِيـا عـلى قَـصْده حتـى أتـاه اليَقين فصلى اللـه على محمد وعلى آل محمد أفـضلَ وأزكى وأتـم وأنمـى وأجـلّ وأعلى صلاةٍ صلّاها على صَفْوَة أنبِيائه وخالِصة ملائكتِهِ وأَضْعافَ ذلك انه حميـد مجيد أُوصيكم عبادَ اللـه مع نفـسي بتقـوى اللـــه والعَمَـل بطاعتـه والمُجَانبـة

لمعصيته وأحُضّكم على ما يُدْنيكم منه ويُزْلِفكم لَدَيْه فان تقوى الـلـه أفـضلُ زاد وأحسن عاقبة في مَعَاد ولا تُلْهِيَنّكم الحياةُ الدنيا بزِينَتِها وخَـدْعها وفَـوَاتِن لذَّاتِها وشَهَوات آمالِها فانها متاعٌ قليل ومُدَّةٌ إلى حين وكلُّ شئ منها يَزُول فكم عايَنْتُم من أعاجيبها وكم نَصَبَتْ لكم من حَبَائلها وأهْلَكَـتْ ممـن جَـنَح إليهـا واعْتَمَدَ عليها أذاقتُهم حُلْوا ومَزَجَت لهم سُمّا أين الملـوك الـذين بَنُـوا المَـدَائن وشَيّدوا المصانع وأوثَقُوا الأبواب وكاثفوا الحِجَاب وأعَدُّوا الجِيادَ ومَلكـوا الـبلاد واسْـتَخْدَموا الـتِلاد قَبَـضَتْهُم بِمَجْمَلِهـا وطَحَنَـتْهُم بكَلْكَلهـا وعَـضَّتهم بأنيابِهـا وعاضَتْهُم من السَعة ضيقا ومن العِزّة ذُلا ومـن الحَيـاة فَنَـاء فَـسَكَنُوا اللّحُـود وأكَلَهُم الدُّود وأصْبَحُوا لا تَرىَ الّا مَـسَاكنهم ولا تجـد الّا مَعَـالِمَهم ولا تُحِـسّ منهم من أحد ولا تَسْمَع لهم نَبْسا فَتَـزَوَّدُوا عافـاكم الـلـه فـانّ أفْـضَلَ الـزَاد التَقْوىَ واتقوا الـلـه يا أولي الألباب لعلكم تفلحون جَعَلَنا الـلـه وايّـاكم ممـن يَنْتَفِع بِمَوَاعِظِه ويَعْمَل لَحظِّه وسَعَادَته وممن يَـسْتَمِع القـولَ فَيَـتَّبِع أحْـسَنَه أولئك الذين هَداهُم الـلـه وأولئك هم أولو الألباب انّ أحْسن قَصَص المؤمنين وأبْلَغ مَوَاعِظ المُتّقين كتابُ الـلـه الزَّكيّة آياتُه الواضِحة بَيّناته فاذا تُـلِى علـيكم فَأنْصِتُوا له واسْمَعُوا لعلكم تفلحون أعوذ بالـلـه القَوِيّ مـن الـشيطان الغَـوِيّ انّ الـلـه هو السميع العليم قل هو الـلـه أحَد الـلــه الـصَمَد لم يَلـدْ ولم يُولَـدْ ولم يكن له كفوا أحد ثم قال - نَفَعنا الـلـه واياكم بالكتـاب الحكـيم والـوَحْي المُبين وأعاذَنَا واياكم من العذاب الأليم وأدْخَلنَا واياكم جنّات النعيم

كتاب عبد اللـه بن معاوية بن عبد اللـه بن جعفر

إلى بعض اخوانه يعاتِبه

بسم اللـه الرحمن الرحيم

أما بعد فقد عاقَني الشَكّ في أمْرِك عن عَزيمة الرأي فيك وذلـك أنـك ابْتَـدَأتَني بلُطْفٍ عن غير خِبْرة ثم أعْقَبْتَنـي جَفَـاءً عـن غـير جَريـرة فـأطْعَمَني أوَّلُـك في اخائك وأيأسَني آخِرُك عن وَفَائك فَلَا أنا في اليَوْم مُجْمِع لك اطّراحا ولا أنـا في غَدٍ وانتظاره منك على ثِقَة فسبحان مَن لو شاء كَشَفَ بايضاح الـرّأي في أمْـرِك عن عَزيمة الشّكّ فيك فاجْتَمَعْنا على ائْتِلاف أو افْتَرَقْنا على اختلاف والسلام

وكتب وهو في السجن إلى أبي مسلم

صاحب الدعوة يَسْتَعْطفه

بسم اللـه الرحمن الرحيم

من الأسِير في يَدَيه بِلا ذَنْـبٍ إليـه ولا خِـلافٍ عليـه (أمـا بعـد) فآتـاك اللـه حِفْظَ الوَصِيّة ومَنَحك نَصيحةَ الرَّعِيّة وألْهَمَك عَدْل القَضِيّة فانـك مُـسْتَوْدَع الوَدائـع ومُـولِي الـصَنائع فـاحفظْ ودائعَـك بحـسن صَـنائعك

فالودائع عارِيَّة والصانع مَرْعِيّة وما النِّعَمُ عليك وعلينا فيك بِمَنْزُورٍ نَـدَاها ولا بِمَبْلُوغ مَدَاها فَنَبِّه للتّفْكير قلبَك واتَّق الـلـه رَبّك واعْـطِ مِـنْ نفـسك مَـن هـو تَحْتَك ما تُحِبّ أن يُعْطيَـك مـن هـو فوْقَـك مـن العَـدْل والرّأفـة والأمْـن مـن المخافة فقد أنعم الـلـه عليك بأن فوّض أمْرَنا إليك فاعْرِفْ لنا لِينَ شُكْر المَـوَدَّة واغتِفار مَسّ الشِّدّة والرضا بما رَضِيتَ والقناعة بما هَوِيتَ فان علينا مِن سَمْك الحدِيد وثِقْله أذى شـدِيداً مـع مُعالجـة الأغْـلال وقلّـة رحمـة العُمال الـذين تَسْهيلُهم الغِلْظة وتَيْسيرهُم الفظاظة وايرادُهم علينا الغُموم وتَـوْجيهُهُم إلينـا الهموم زِيـارتُهم الحِراسـة وبِـشارَتُهم الاِياسـة فإليـك بعـد الـلــه نَرْفَـع كُرْبَـةَ الشَكْوَى ونَشْكو شدّة البَلْوى فَمَتَى تَمِـلْ إلينـا طَرْفًـا وتُؤَلِنـا منـك عَطْفًـا تجـد عندنا نُصْحا صَريحا ووُدًّا صحيحا لا يُضَيّع مثلُـك مثلَـه ولا يَنْفِـي مثلـك أهلَـه فارْعَ حُرْمة مَن أدْرَكْتَ بحُرْمته واعْرِف حُجّة من فَلَجْت بحُجّته فان الناسَ مِن حَوْضِك رِوَاء ونَحْن مِنه ظِماء يمشون في الابـراد ونحـن نَحْجِـل في الأقْيـاد بعـد الخير والسَعة والخَفْض والدَّعة والـلـه المُستعانُ وعليه التُّكْلان صَرِيح الأخبـار مَنْجي الأبْرار الناسُ من دَوْلَتنا في رَخاء ونحن منها في بَلاء حين أمِـن الخـائفون ورَجَع الهارِبُون رَزَقنا الـلـه منك التَّحَنُّن وظاهَرَ علينا من التَمَـنُّن فانـك أمِـينٌ مُسْتَوْدع ورائدٌ مُصْطَنَع والسلام ورحمة الـلـه

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حَفِظكم الله يأهل صِناعة الكتابة وحاطَكم ووفَّقكم وأرشدكم فان الله عز وجل جعلَ الناسَ بعد الانبياء والمرسلين صلواتُ الله وسلامه عليهم أجمعين ومِن بَعْد الملوك المكرَّمين أصْنافا وان كانوا في الحقيقة سواءً وصَرَّفَهم في صُنُوف الصِناعات وضُروب المحاولات إلى أسباب معاشِهم وأبواب أرزاقهم فجعلهم معشَر الكُتّاب في أشْرَف الجهات أهل الأدَب والمُرُوات والعِلْم والرَزانة بكم تنتظِم للخلافة مَحاسنُها وتستقيم أمورها وبنصائحكم يُصْلِحُ الله للخلق سلطانهم وتَعْمُر بلْدانُهم لا يَسْتَغْني المَلِك عنكم ولا يُوجَد كافٍ الّا مِنكم فمَوْقِعكُم من المُلوك مَوْقعُ أسْماعِهم التي بها يَسْمَعون وأبْصارهم التي بها يُبْصِرون وألْسِنَتِهم التي بها يَنطقون وأيديهم التي بها يَبْطِشون فأمْتَعَكُم الله بما خَصّكم من فَضْل صِناعَتكم ولا نَزَعَ عنكم ما أضْفاه من النّعْمَة عليكم وليس أحدٌ من أهل الصِناعات كلّ أحْوَجَ إلى اجتماع خِلال الخير المحمودة وخصال الفضل المذكورة المعدودة منكم أيّها الكتاب اذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب من صِفَتكم فان الكاتب يَحْتاج في نفسه ويَحْتاج منه صاحِبُه الذي يثِق به في مُهِمّات أمُوره أن يكون حليما في موضع الحِلْم فهيما في موضع الاِحْجام مُؤْثِرًا للعَفاف والعَدْل والانصاف كَتُوم للَاسْرار وفِيًّا عند الشدائد عالِما بما يأتي من النوازل يَضَع الأُمُور مواضِعَها والطَوارِق في أمَاكنها قد نَظَر

في كل فَنّ من فُنون العِلْم فأحْكَمَه وان لم يُحْكِمْه أخَذ منه بمقدار ما يكْتَفِي به يَعْرِف بغريزة عَقْله وحُسْن أدَبه وفَضْل تَجْرِبَته ما يَرد عليه قبلَ وروده وعاقبَةَ ما يَصْدُر عنه قبلَ صُدُوره فيُعِدّ لِكل أمْرٍ عُدّته وعَتادَه ويُهَيّئ لكل وجهٍ هيئتَه وعادَته فتَنَافسُوا يا معشر الكتاب في صُنوف الآذاب وتَفَهّموا في الدِين وابدؤُا بِعلْم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العَرَبِية فانها نفَاق ألْسِنَتكم ثم أجِيدُوا الخَطَّ فانه حِلْيَة كُتُبِكم وارْوُوا الاشْعار واعرِفوا غَرِيبَها ومَعانِيها وأيّام العَرَب والعَجَم وأحادِيثَها وسِيَرَها فان ذلك مُعِين لكم على ما تسْمُو إليه هَمِمُكم ولا تُضَيّعوا النَظَر في الحِساب فانه قوام كُتّاب الخَراج وارْغَبُوا بأنْفُسكم عن المَطامع سَنِّيها ودَنِّيها وسَفْساف الامور ومَحاقرها فانها مَذَلّة للرِّقاب مَفْسَدة للكُتّاب ونَزِّهوا صِناعَتكم عن الدَناءة وارْبَؤُا بأنفُسكم عن السِعايَة والنَميمة وما فيه أهل الجَهالات وايّاكم والكْبر والسُخْف والعَظَمة فانها عَداوة مُجْتَلَبة من غير إحْنَةٍ وتَحابُّوا في الله عز وجل في صناعتكم وتَوَاصَوْا عليها بالذي هو ألْيَق لأهل الفضل والعدل والنُبْل مِن سَلَفكم وإنْ نَبَا الزمانُ برجُل منكم فاعْطِفُوا عليه وواسُوه حتى يرجع إليه حالُه ويَثُوب إليه أمْرُه وان أقْعَد أحدًا منكم الكِبَر عن مَكْسَبه ولِقاءِ اخْوانِه فَزُوروه وعظِّموه وشاوِروُه واسْتَظْهروا بفَضْل تَجْرِبَتِه وقَديم مَعْرِفَتِه ولْيَكُن الرجُل منكم على مَن اصْطَنَعَه واسْتَظْهر به لِيَوْمِ حاجَتِه إليه أحْوَطَ منه على وَلدِه وأخِيه فان عَرَضَت في الشُغْل مَحْمَدَةٌ فلا يَصْرِفْها الّا إلى صاحبه وان عَرَضَتْ مَذَمّة فَلْيَحْمِلْها هو مِن دونه ولْيَحْذَر السَقْطة والزَلّة والمَلَل عند تغيُّر الحال فان العَيب إليكم مَعشر الكتاب أسْرَعُ منه إلى الفِرَاء وهو

لكم أفْسَد منه لها فقد علمتم أن الرجل منكم اذا صَحِبَه مَن يَبْذُل له من نَفْسه ما يَجِب له عليه من حَقّه فواجبٌ عليه أن يعقد له من وفائه وشُكْره واحتماله ونصيحته وكتمان سرّه وتدبير أمره ما هو جزاءٌ لِحَقّه ويصدّق ذلك فِعْلُه عند الحاجة إليه والاضطرار إلى ما لديه فاستشعروا ذلك وفقكم الله من أنفسكم في حالة الرَخاء والشدّة والحِرْمان والمُواساة والاحسان والسَّراء والضَّراء فنِعْمَت الشِيمة هذه لمن وُسِم بها من أهل هذه الصناعة الشريفة واذا وَلِيَ الرجلُ منكم أو صُيِّر إليه من أمْر خَلْق الله وعِيالِه أمْرٌ فليُراقب الله عز وجل وليُؤْثِرْ طاعته وليكُن على الضعيف رفيقا وللمظلوم مُنْصفا فانّ الخَلْقَ عِيالُ الله وأحبُّهم إليه أرفقُهم بعياله ثم ليكُنْ بالعَدْل حاكما وللاَشْراف مُكْرِمًا وللْفَئ مُوَفِّرا وللبلاد عامِرا وللرَعيّة مُتأَلِفًا وعن أذاهم متخلفا وليكن في مجلسه متواضعا حليما وفي سجلات خراجه واستقضاء حقوقه دقيقا واذا صَحِبَ أحدُكم رجلا فَلْيَخْتَبِرْ خَلائقَه فاذا عَرَف حَسَنَها وقبيحَها أعانه على ما يوافقه من الحَسَن واحتال على صَرْفه عَمّا يَهْواه من القبيح بألطف حيلة وأجمل وسيلة وقد علمتم أن سائس البَهيمة اذا كان بصيرا بسياستها التَمَس معرفةَ أخْلاقها فان كانت رَمُوحا لم يَهِجْها اذا رَكِبَها وان كانت شَبوبا اتّقاها من بين يديها وان خاف منها شُرودا تَوَقّاها من ناحية رأسِها وان كانت حَرُونا قَمَع برِفْقٍ هَواها في طُرُقها فان استمرت عَطَفَها يسيرا فيَسْلِس له قِيادُها وفي هذا الوصف من السياسة دلائلُ لِمَن ساسَ الناسَ وعامَلَهم وجَرّبهم وداخَلَهم والكاتِب لفَضْل أدَبِهِ وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوله من الناس ويناظره ويَفْهم عنه أو يَخاف سَطْوَتَه

أوْلَى بالرِّفْق لصاحبه ومُداراته وتقويم أوَدِه مِن سائس البهيمة التي لا تُحِير جوابا ولا تَعْرف صوابا ولا تَفْهم خطابا الّا بقدر ما يُصَيِّرُها إليه صاحبُها الراكب عليها ألا فارْفُقوا رحمكم الله في النظر وأعْمِلوا ما أمكنكم فيه من الرَّوِيّة والفِكر تَأْمَنُوا باذْن الله ممَّن صَحِبْتُموه النَبْوَةَ والاستثقال والجَفْوة ويصير منكم إلى الموافقة وتصيروا منه إلى المُؤاخاة والشفقه ان شاء الله ولا يُجاوِزَنَّ الرجلُ مِنكم في هيئة مجلِسه ومَلْبَسِه ومَرْكَبِه ومَطْعَمه ومَشْربِه وخَدَمِه وغير ذلك من فنون أمْرِه قدر حقّه فانكم مع ما فضَّلكم الله به من شَرف صَنْعَتكم خَدَمة لا تُحْمَلون في خِدْمتكم على التقصير وحفَظَةٌ لا تُحْتَمَلُ منكم أفعالُ التَضييع والتبذير واستعينوا على أفعالكم بالقَصْد في كل ما ذَكَرْتُهُ لكم وقَصَصْتُهُ عليكم واحذَروا مَتالِف السَرَف وسوءَ عاقبة التَرفَ فانهما يُعْقبان الفقر ويُذِلَّان الرِّقابَ ويَفْضَحان أهْلَهُما ولا سيما الكُتّاب وأرباب الآداب وللأمور أشباه وبعضُها دليل على بعض فاسْتَدِلّوا على مُؤْتَنَف أعمالكم بما سبقت إليه تَجْرِبَتُكم ثم اسْلُكُوا مِن مَسالِك التدبير أوْضَحَها مَحَجّة وأصدَقها حُجّة وأحْمَدها عاقبة واعلموا أن للتدبير آفةً مُتْلفة وهو الوَصْف الشاغِل لصاحبه عن إنْفاذ عِلْمه ورَوِيَّته فليَقْصد الرجل منكم في مجلِسه قَصْد الكافي في مَنْطِقه ولْيُوجِزْ في ابتدائه وجوابِه ولْيأخُذ بِمَجامع حُجَة فأن ذلك مصلحة لِفِعْلِه ومَدْفَعة للشاغل من إكْثاره ولْيَضْرَع إلى الله في صِلة توفيقه وامْدادِه بتسديده مَخافة وقُوعه في الغَلَط المُضِرّ ببدنه وعَقْله وأدَبه فانه إنْ ظَنَّ منكم ظانٌّ أو قال قائل إنّ الذي بَرَز من جميل صَنْعته وقوّة حركته انما هو بفَضْل حيلته وحُسْن تدبيره فقد تَعَرَّض بحُسْن ظنّه أو مَقالته إلى ان

يَكِلَه اللـه عز وجل إلى نفسه فيصير منها إلى غير كافٍ وذلك على مَـن تأمّلـه غيرُ خاف ولا يَقُلْ أحَدٌ منكم إنه أبْصَر بالأمور أحْمَل لِأعْباء التدبير من مُرافِقة في صِناعته ومُصاحبه في خدمته فانّ أعْقل الرجُلين عند ذَوي الألباب مَن رَمَـى بالعُجْب وراءَ ظهره ورأى انّ أصحابَه أعْقَلُ مِنه وأجْمَلُ في طريقته وعـلى كـل واحد من الفريقين أن يَعْرف فضْلَ نِعَم اللـه جلّ ثناؤه من غـير اغـترار برأيِـه ولا تزْكِية لنفسه ولا يُكاثِر على أخيه أو نظيره وصاحبه وعَشيره وحمـدُ اللـه واجَبٌ على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتذلُّل لِعزّته والتَحَـدّث بنعمتِـه وأنا أقول في كتابي هذا ما سَبق به المَثَل مَن تَلْزَمه النصيحة يَلْزَمه العَمَل وهـو جوهر هذا الكتاب وغُرَّة كلامه بعد الذي فيه مِـن ذِكْـر اللــه عـز وجـل عـز وجل فلذلك جعلْتُه آخِـرَه وتَمَّمتْـهُ بـه تولّانـا اللــه وايّـاكم يـا معـشر الطَلَبـة والكَتَبَة بما يَتَوَلّى به مَن سَبَق عِلْمُه بِاسْعاده وإرْشـاده فـان ذلـك إليـه وبيـده والسلام عليكم ورحمة اللـه وبركاته

مُشاورة المَهْدي لاهل بيته في حَرْب خُراسان

قال ابن عبد ربه في العِقد الفريد

هـذا مـا تَرَاجَـع فيـه المهـدي ووزراؤُه ومـا بيـنَهم مـن تـدبير الـرأي في حـرب خراسان أيّام تَحَامَلَـت علـيهم العُـمّال وأعْنَفَـت فَحَمَلْـتهم الدالّـة ومـا تقـدّم لهـم مـن المَكانـة عـلى أنْ نَكَثـوا بيعَـتَهم ونَقَـضوا مَـوْثِقَهُم وطَـرَدُوا العُـمّال والْتَـوَوْا بمـا علـيهم مـن الخـراج وحَمَـل المَهْـدِي مـا يُحِـبَّ مـن مـصلحتِهم

ويكْرَهَ من عَنَتِهِم على أن أقال عَثْرَتَهَم واغْتَفَر زَلَّـتَهم واحتَمَـل دالَّـتَهم تَطَـوُّلَا بالفضل واتِّساعا بالعفو وأخْـذًا بالحُجَّـة ورِفْقـا بالـسياسة ولـذلك لم يَـزَل مُـذْ حَمَلَه الـلـه أعْباءَ الخلافة وقَلَّدَه أمورَ الرَّعيَّة رفيقا بِمَدار سلطانه بـصيرا بأهـل زَمانه باسِطا للمَعْدَلة في رِعيِّته تَسْكن إلى كَنَفـه وَتـأنَس بعَفـوه وتَثِـق بحِلْمـه فاذا وَقَعت الأقْضِية اللازمة والحقوق الواجبة فليس عنـده هَـوادة ولا إغْـضاء ولا مُداهنة أثَرَةً للحق وقياما بالعدل وأخْذًا بالحَزْم فدَعَا أهلَ خُراسان الاغتِرارُ بحِلْمِه والثِقة بعفوه أن كَسَّرُوا الخَراج وطَرَدُوا العُمّال وسألوا ما ليس لهم من الحق ثم خَلَطوا احتجاجا باعتذار وخُصومة باقرار وتَنَصُّلا باعتِلال فلـما انتهـى ذلك إلى المهدي خرج إلى مجلس خَلائـه وبَعَـث إلى نَفَـرٍ مـن لُحْمتـه ووُزرائـه فأعْلَمَهم الحال واستفهم للرعية ثـم أمَـرَ المَـوالِيَ بالابتـداء وقـال للعبـاس بـن محمد أي عَمّ تَعقَّبْ قوْلَنا وكُنْ حَكَما بَيْنَنا وأرْسَل إلى وَلَدَيْـه مُـوسَى وهـارُون فأحْضَرَهما الامْر وشارَكَهما في الرأي وأمَرَ محمد بن اللَّيـث بحفْـظ مُـراجَعَتهم واثبات مَقَّالتهم في كتاب فقال سلّام صاحب المَظَالِم

أيُّهـا المهـدي ان في كـل أمـر غايـة ولكـل قـوم صـناعة اسْـتفْرَغَت رأيَهـم واسْتَغْرَقَتْ أشغالَهم واسْتَنْفَدَتْ أعمارَهم وذَهَبُوا بها وذَهَبَت بهم وعُرِفـوا بها وعُرِفت بهم ولهذه الأمـور التـي جَعَلْتَنـا فيهـا غايـة وطَلَبْـتَ مَعُونتنـا عليها أقوام من أبناء الحَرْب وساسِة الأمور وقادَة الجُنود وفُرسان الهَزَاهِـز واخوان التَجَارِب وأبطال الوقائع الذين رشَّـحَتْهُم سِـجَالُها وفيّـأَتْهم ظِلالُهـا وعَضَّتْهم شَدَائدُها وقَرَمَتْهُم نَوَاجِذُها فلو عَجَمْتَ مـا قَـبِلَهم وكَـشَفْتَ مـا عندهم لَوَجَدْتَ نَظَائِر تُؤَيِّدأمْرَك وتَجَارِبَ تُوَافِـق نظَـرَك وأحاديـث تُقَـوِّي

قَلْبَك فأمّا نَحْن مَعاشِرَ عُمّالِك وأصْحَاب دَوَاوِينك فحسَنٌ بِنَا وكثيرٌ مِنّا أن نقوم بِثقْل ما حَمَّلْتنَا من عَمَلك واسْتَوْدَعْتنا من أمانَتِك وشَغَلْتَنا به من امْضاء عَدْلك وانفْاذ حُكمكَ واظْهار حَقّك فأجابَه المهدي انّ في كلّ قَوْمٍ حِكَمة ولكُلّ زمانٍ سِياسة وفي كُلّ حال تَدْبيرا يُبْطِل الآخِرُ الأوّلَ ونحن أعلم بزماننا وتدبير سلطاننا قال نَعَمْ أيُّها المهدي أنْتَ مُتَّبَع الرَأي وثيق العُقْدة قَوى المُنّة بليغ الفِطْنَة مَعْصُوم النِّيّة مَحْضُور الرّويّة مُؤَيَّد البَديهة مُوَفَّق العَزيمة مُعَان بالظَفَر مَهْدِىّ إلى الخَيْران هَمَمْتَ ففي عَزْمك مَوَاقع الظّنّ وان اجْتَمَعْت صَدَع فِعْلُك مُلْتَبِس الشّكّ فاعْزِم يَهْدِ الله الصواب قَلْبَك وقُل يُنْطق الله بالحقّ لِسانَك فان جُنُودك جَمّة وخَزَائنك عامِرة ونفسك سَخِيّة وأمْرَك نافِذ فاجابه المهدي انّ المُشاورة والمُناظرة بَابَا رَحْمة ومِفْتاحَا برَكَة لا يَهْلك عليهما رأيٌ ولا يَتَغَيَّل مَعَهُما حَزْم فأشيروا برَأيكم وقولوا بما يَحْضُرُكم فاني من ورائكم وتوفيقُ الله من وراء ذلك

قال الربيع أيُّها المَهْدي انّ تصاريف وُجُوه الرأْي كثيرة وان الاشارة ببعض مَعَاريض القول يسيرة ولكن خراسان أرضٌ بَعيدة المسافة مُتَراخِية الشُّقَّةُ مُتَفَاوِتة السَبيل فاذا ارْتَأيْتَ من مُحْكَم التَدْبير ومُبْرَم التقدير ولُباب الصواب رَأيَا قد أحْكَمَه نَظَرُك وقَلَّبه تَدْبيرك فليس وراءَه مَذْهَب طاعن ولا دُونه مَعْلَق لخُصومه عائب ثم أجَبْتَ البُرُد بِهِ وانطوت الرسل عليه كان بالحَرَي أن لا يصل إليهم مُحْكَمه إلا وقد حدث منهم ما ينقضه فما أيْسَرَ أن ترجع إليك الرسل وتردّ عليك الكتب بحقائق أخبارهم وشوارد آثارهم ومصادر أمورهم فتُحْدث رأيا غيره وتبتدع تدبيرا سواه وقد انفرجت الحلقَ وتحللت العُقَد واسترخى الِحقَاب وامتد

الزمان ثم لعلما موقع الآخرة كمصدر الاولى ولكن الرأي لك أيها المهدي وفقك الله ان تصرف اجالة النظر وتقليب الفِكَر جَمَعتْنا واستشرتنا فيه من التدبير لحَرْبهم والحِيَل في أمْرهم إلى الطَلَب لرَجُلٍ ذي دين فاضل وعقل كامل ووَرَع واسع ليس موصوفا بهوًى في سواك ولا مُتَّهَما في أثَرة عليك ولا ظَنِينا على دُخْلةٍ مكروهة ولا مَنْسوبا إلى بِدْعة مَحْذورة فيَقْدَح في مُلْكك ويُربض الأمورَ لغَيرك ثم تُسْند إليه أمورَهم وتفوّض إليه حَرْبَهم وتأمره في عهدك ووصيتك ايّاه بلزوم أمرك ما لَزِمه الحَزم وخلاف نَهْيك اذا خالفه الرّأي عند استحالة الأمور واشتداد الأحوال التي يَنْقَضّ أمْرُ الغائب عنها ويَثْبُتُ رأيُ الشاهد لها فانه اذا فعل ذلك فواثَبَ أمْرَهم من قريب وسَقَط عنه ما يأتي من بعيد تمّت الحيلة وقَوِيَت المَكيدة ونَفَذَ العَمَل وأُحِدّ النظر ان شاء الله

قال الفضل بن العباس أيُّها المهديّ ان وليّ الامور وسائس الحروب رُبّما نَحيّ جُنودَه وفرّق اموالَه في غير ما ضِيقِ أمْر حَزَبَه ولا ضَغْطةِ حالٍ اضْطَرَّتْه فَيَقْعد عند الحاجة إليها وبعد التفرقة لها عَدِيما منها فاقدا لها لا يثِق بقوّة ولا يَصُول بُعدّة ولا يَفْزَع إلى ثِقَة فالرأي لك أيها المهدي وفقك الله أن تُعْفي خَزَائنَك من الانفاق للاموال وجُنودَك من مُكابدة الاسفار ومُقارعة لما يسألون فيَفْسُد عليك أدَبُهم وتُجَرِّئ من رَعِيّتك غَيْرَهم ولكن اغْزُهم بالحيلة وقاتِلْهم بالمكيدة وصارِعْهم باللّين وخاتِلْهم بالرفْق وأبْرِقْ لهم بالقول وأرْعِدْ نحوَهم بالفِعل وابْعَث البُعُوث وجَنِّد الجنود وكَتِّب الكتائب واعقد الألْوِيِة وانصِب الرَايات وأظْهِر أنك مُوَجِّه إليهم الجُيوش مع أحْنَق قُوّادك عليهم وأسْوَئِهم أثَرًا فيهم ثم ادسُس الرُسُل

وابْثُث الكُتُب وضَعْ بَعْضَهم على طَمَع من وَعْدك وبَعْضًا على خَوفٍ من وَعيدك وأوْقد بذلك وأشْباهِه نيران التَحَاسُد فيهم واغرِس أشجار التَنَافُس بينهم حتى تملَا القلوب من الوَحشة وتَنْطوي الصدور على البِغْضة ويَدخل كُلًا من كُلِّ الحَذَر والهَيْبَة فانّ مَرَام الظَفَر بالغِيلة والقتال بالحيلة والمُناصبة بالكتب والمُكايَدة بالرُسُل والمُقَارَعة بالكلام اللطيف المُدْخَل في القلوب القَوِيّ المَوْقع من النفوس المَعقود بالحُجَج المَوْصول بالحِيَل المَبْني على اللين الذي يستميل القلوب ويسترقّ العقول والآراء ويستميل الَهْواء ويستدعي المُواتاة أنْفَذُ من القتال بظُبَات السُيوف وأسِنَّة الرِّماح كما أنّ الوالِي الذي يستنزل طاعة رعيته بالحِيَل ويُرَّق كلمةَ عَدُوّه بالمُكايدة أحْكَم عَمَلًا وألطَف مَنْظَرا وأحْسَنُ سِياسةً من الذي لا يَنَال ذلك الّا بالقتال والاتْلاف للاموال والتَغرير والخِطَار ولْيَعلَم المهدي أنه ان وَجَّه لِقتالهم رَجُلا لم يَسِرْ لقتالهم الّا بجنود كثيفة تخرج عن حال شديدة وتُقْدِم على أسفار ضيّقة وأموالٍ متفرقة وقُوّاد غَشَشَة ان ائْتَمَنَهُمْ اسْتَنْفَدُوا مالَه وان اسْتَنْصَحَهم كانوا عليه لا لَهُ

قال المهدي هذا رأيٌ قد أسفر نُورُه وأبرق ضَوْءُه وتَمَثَّل صوابُه للعيون ومَجُد حَقُّه في القلوب ولكن فوق كل ذي علم عليم ثم نظر إلى ابنه عليّ فقال ما تقول قال عليّ أيها المهدي ان أهل خراسان لم يَخْلَعوا عن طاعتك ولم يَنْصِبوا من دونِك أحدًا يقدَح في تغيير ملكك ويُريض الأمورَ لفساد دولتك ولو فَعَلُوا لكان الخَطْبُ أيْسر والشأن أصْغَر والحالُ أدَلّ لأن الله مع حقّه الذي لا يَخْذُله وعند موعِده الذي لا يُخْلِفه ولكنهم قوم من رعيتك وطائفة من شِيعتك الذين جعلك الله عليهم واليا وجعل

العدل بينك وبينهم حاكما طَلبوا حَقّا وسألوا انصافا فان أجبتَ الذين دعوتهم ونَفَّستَ عنهم قبل أن يَتَلاحَم منهم حال أو يَحْدُث مِن عندِهم فَتْق أطَعْتَ أمرَ الرَّبّ وأطْفَأْتَ ثائرةَ الحَرْب ووَفرتَ خزائن المال وطَرَحْتَ تَغْرير القتال وحَمَل الناسُ مَحْمَل ذلك على طبيعة جودك وسجيّة حِلْمِك واسْجاح خَلِيقتك ومَعْدَلة نَظَرك فأمنْتَ أنْ تُنْسَبَ إلى ضُعْف وان يكون ذلك فيما بقى دُرْبَةً وان مَنَعْتَهم ما طلبوا ولم تُجِبْهُم إلى ما سألوا اعْتدلَتْ بك وبهم الحال وساوَيْتهم في ميدان الخطاب فما أرَبُ المهدي أن يَعْمِد إلى طائفةٍ من رعيته مُقَرِّين بِمَمْلكته مُذْعنين بطاعته لا يُخرجون أنفسهم عن قدرته ولا يُبَرّؤنها من عبوديته فَيُمَلِّكَهُم أنْفُسَهم ويَخْلَع نفسه عنهم ويَقف على الحِيَل معهم ثم يجازِيهم السوءَ في حَدّ المُنازعة ومِضْمار المُخاطرة أيُريد المهدي وفّقه الله الأموالَ فلَعمْري لا يَنالُها ولا يَظْفَر بها الا بانفاق أكثر منها مما يَطْلُب منهم أضْعاف ما يَدَّعِي قِبَلَهم ولو نالهَا فَحُمِلَتْ إليه أو وُضِعت بخَرائِطها بين يديه ثم تجَافَى لهم عنها وطال عليهم بها لكان مما إليه يُنْسَب وبه يُعْرَف من الجود الذي طَبَعه الله عليه وجَعَل قُرّةَ عينه ونَهْمَة نفسه فيه فان قال المهدي هذا رأيٌ مستقيم سديد في أهل الخَراج الذين شَكَوْا ظُلْمَ عُمّالنا وتحامُلَ وُلَاتنا فأمّا الجنود الذين نَقضوا مواثيقَ العهود وأنْطَقوا لسان الِأرجاف وفَتَحُوا بابَ المَعْصِية وكَسَّروا قَيْد الفِتْنَة فقد ينبغي لهم أن أجْعَلَهم نَكلالا لغيرهم وعِظَةً لِسواهم فيعلم المهدي انه لو أُتِيَ بهم مَغْلولِين في الحديد مُقَرّنين في الاصْفاد ثم اتَّسَع لِحَقْن دِمائِهم عَفْوُه ولِاقالَةِ عَثْرَتِهم صَفْحُه واسْتَبْاهم لما هم فيه من حِزْبه أو لمن بازائهم من عَدُوِّه لما كان بِدْعا من رَأْيِه ولا

مُسْتَنْكرًا من نظره لقد عَلِمت العَرَب انه أعْظَمُ الخُلَفاء والمُلوك عَفْوًا وأشَدُّها وَقْعا وأصْدَقها صَوْلة وأنه لا يتعاظمُه عَفْو ولا يتكاءَدُه صَفْح وانْ عَظُم الذَنْب وجلّ الخطب فالرّأْيُ للمهدي وفّقه الله تعالى أن يَحُلّ عُقْدَة الغيظ بالرجاء لِحُسْن ثواب الله في العَفْو عنهم وأن يَذْكُر أُولىَ حالاتهم وضَيْعَة عِيالاتهم بِرًّا بهم وتَوَسُّعا لهم فانهم اخوان دَوْلته وأركان دَعْوته وأساس حَقّه الذين بِعِزَّتهم يَصُول وبحُجَّتهم يقول وانما مثلُهم فيما دَخَلوا فيه من مساخِطِه وتعرَّضوا له من معاصيه وانْطَوَوْا فيه عن اجابته ومَثَلُه في قلّة ما غَيَّر ذلك من رأيه فيهم أو نُقِل من حاله لهم أو تَغَيَّر من نعمته بهم كَمَثَل رجلين أخَوَين مُتَناصِرَين مُتَوازِرَيْن أصابَ أحدَهما خَبْلٌ عارض ولهوٌ حادِث فَنَهَض أخيه بالاذى وتحامَلَ عليه بالمكروه فلم يَزْدَد أخُوه إلّا رِقَةً له ولُطْفا به واحتِيالا لِمُداواة مَرَضه ومراجعة حاله عَطْفا عليه وبِرًّا به ومَرْحَمَة له فقال المهدي أمّا عَلِيّ فقد كَوَى سمت اللَّبَان وفَضّ القُلُوب في أهل خراسان ولِكلّ نَبأ مُسْتَقَر فقال ما تَرَى يا أبا محمد يعني موسى ابْنَه

فقال موسى أيها المهدي لا تَسْكُنْ إلى حَلاوة ما يَجْرِي من القول على ألْسِنَتهم وأنت تَرَى الدِّماء تَسِيل من خَلَل فِعْلهم الحالُ من القوم يُنادِي بمَضْمَرة شَرّ وخَفِيّة حِقْد قد جعلوا المَعاذِير عليها سِتْرا واتَخَذُوا العِلَل من دونها حِجَابا رَجاء أن يُدافعوا الايام بالتأخير والامورَ بالتَطويل فَيَكْسِروا حِيَل المهدي فيهم ويُفْنُوا جُنودَه عنهم حتى يتلاحم أمْرُهم وتتلاحق مادَّتُهم وتَسْتَفْحل حَرْبُهم وتستمرّ الامور بهم والمهديّ من قولهم في حال غرّة ولباس أمَنَة قد فَتَر لها وأنِس بها وسَكَن إليها ولولا ما اجْتَمَعَتْ به

قلوبهم وبَرَدَتْ عليه جُلُودهم من المُنَاصبة بالقتال والاضمار للقراع عن داعية ضلال أو شيطان فساد لَرُهِبوا عَوَاقَب أخْبار الوُلَاة وغِبّ سكون الأمور فَلْيَشدْد المهدي وفقه الله أزْرَه لهم ويُكَتّبْ كتَائبه نحوَهم وليْضَع الامر على أشَدّ ما يَحْضَره فيهم ولْيُوقن أنه لا يُعْطيهم خُطَّةً يريد بها صَلَاحَهم الا كانت دُرْبة إلى فَسادهم وقُوّةً على مَعْصيَتهم وداعيةً إلى عَوْدَتهم وسَبَبًا لفَساد مَن بحَضْرته من الجنود ومَن ببابه من الوُفود الذين أقَرّهم وتلك العادة وأجْرَاهم على ذلك الآرَب ولم يَبْرَح في فَتْق حادِث وخلاف حاضر لا يَصلُح عليه دين ولا تستقيم به دُنْيا وان طَلَب تغييرَه بعد استحكام العادة واستمرار الدُرْبَة لم يَصل إلى ذلك الا بالعُقوبة المُفْرطة والمَؤُنة الشديدة والرأيُ للمهدي وفقه الله أن لا يُقِيل عَثْرَتَهم ولا يَقْبَل مَعْذِرتهم حتى تَطَأَهم الجُيوش وتأخُذَهم السيوف ويَسْتَحِرّ بهم القَتْل ويُحْدق بهم المَوْت ويُحيط بهم البَلاء ويُطْبق عليهم الذّل فان فَعَل المهدي بهم ذلك كان مَقْطَعَةً لكل عادة سوء فيهم وهزيمةً لكل بادرة شرٍّ فيهم واحتمالُ المهدي في مَؤُونة غزوتِهم هذه تَضَع عنه غزَواتٍ كثيرة ونَفَقات عظيمة

قال المهدي قد قال القوم فاحكُم يا أبا الفضل

فقال العباس بن محمد أيها المهدي أما (المَوالِي) فأخَذوا بفُروع الرأيِ وسَلَكوا جَنَبات الصَواب وتَعَدّوا أمُورًا قَصّر بنَظَرهم عنها أنه لم تأت تَجارِبُهم عليها وأما (الفضل) فأشار بالاموال أن لا تُنْفق والجنود أن لا تُفَرّق وبأن لا يعطَي القومُ ما طَلَبُوا ولا يُبْذَل لهم ما سألوا وجاء بأمرٍ بيْن

ذلك استصغارًا لامْرهم واستِهانةً بحَرْبهم وانما يَهيج جَسيماتِ الأمور صِغارُها وأما (عليّ) فأشار باللِّين وإفْراط الرِفْق واذا جَرّد الوالي لمن غَمِط أمْرَه وسَفِه حقَّه اللينَ بَحْتًا والخَيْرَ مَحْضا لم يَخْلِطْهما بشِدّة تَعْطِف القلوب عن لينِه ولا بشَرٍّ يَحْبِسهم إلى خيره فقد مَلَّكَهم الخَلْع لِعُذْرِهم ووسَّع لهم الفُرْجة لِثَني أعناقهم فان أجابوا دعوته وقبلوا لينه من غير خوف اضطرهم ولا شدّة فَنَزْوَةٌ في رؤوسهم يستدعون بها البَلاء إلى انفسهم ويستصرخون بها رأي المهدي فيهم وان لم يَقْبلوا دعوتَه ويُسرِعوا لِاجابته باللِّين المحض والخير الصُّراح فذلك ما عليه الظن بهم والرأيُ فيهم وما قد يُشْبه أن يكون من مِثْلِهم لاَنَّ اللـه تعالى خَلَق الجنة وجَعل فيها من النعيم المقيم والمُلْك الكبير ما لا يَخْطُر على قلب بَشَر ولا تُدْرِكُه الفِكَر ولا تَعْلمه نَفْس ثم دعا الناسَ إليها ورغَّبهم فيها فلولا انه خَلَق نارا جَعلها لهم رحمةً يسوقُهم بها إلى الجنة لَمَا أجابوا ولا قَبِلوا وأما (موسى) فأشار بأن يُعْصَبوا بشِدةٍ لا لِين يَثْنيهم اشتدت الامور بهم وانقطعت الحال منهم إلى أحد أمرين إما أن تَدْخُلهم الحَمِيّة من الشِدة والأَنَفَة من الذِّلّة والامتعاضُ من القَهر فيدعوهم ذلك إلى التَمادي في الخلاف والاستبسال في القتال والاستسلام للموت وإما أن يَنْقادوا بالكُرة ويُذْعِنوا بالقَهْر على بِغْضةٍ لا زمة وعداوة باقية تُورِث النِفاق وتُعْقِب الشِقاق فاذا أمْكَنَتهم فُرْصة أو ثابَت لهم قُدرة أو قَوِيَت لهم حالٌ عاد أمْرُهم إلى أصْعب وأغْلَظ وأشد مما كان

وقال في قول الفضل أيها المهدي أكْفَى دليل وأوضح برهان وأبْينَ خبر بَانَ قد أجمع رأيه وحَزْمَ نَظَرةُ على الارشاد بِبعثة الجيوش إليهم وتوجيه

البُعوث نحوَهم مع اعطائهم ما سألوا من الحق واجابتهم إلى ما سألوه من العدل

قال المهدي ذلك رأيٌ

قال هارون ما خُلطت الشدة أيها المهدي باللين فصارت الشدة أمَرَّ فِطامٍ لما تَكْرَه وعاد اللين أهْدَى قائِد إلى ما تُحِبّ ولكن أرَى غير ذلك قال المهدي لقد قلتَ قولا بديعا وخالفتَ فيه أهل بيتك جميعا والمرْ مُؤْتَمَن بما قال وظَنين بما ادّعى حتى يأتِيَ ببيّنة عادلة وحجة ظاهرة فاخْرج عما قلت قال هارون أيها المهدي انّ الحَرْب خُدَعة والاعَاجِم قوْمٌ مَكَرة وربما اعْتَدَلت الحال بهم واتَّفَقَتْ الاهواء منهم فكان باطنُ ما يُسِرّون على ظاهر ما يُعْلنون وربما افترقَت الحالان وخالَف القلبَ اللسانُ فانطوَى القلبُ على محجُوبة تُبْطَن واسْتَسَرّ بمَدْخولة لا تُعْلَن والطبيب الرفيق بِطبّه البصير بأمْره العالِم بمُقَدَّم يدِه وموضع مِيسمِه لا يَتَعَجّل بالدواء حتى يَقَع على معرفة الداء فالرأيُ للمهدي وفقه الله أن يَفِرَّ باطِنَ أمرهم فَرَّ المُسنَّة ويَمْخَض ظاهرَ حالهم مَخْض السقاء بمُتَابعة الكُتب ومظاهَرة الرُسُل ومُوالاة العُيون حتى تُهْتَك حُجُب عيونهم وتُكْشَف أغْطِيةُ أمورهم فان انْفَرَجَت الحال وأفضَت الأمور به إلى تغيير حال أو داعية ضلال اشتملت الاهواء عليه وانْقادَ الرجال إليه وامْتَدّت الاَعْناق نحوه بِدين يعتقدونه واثْم يستَحِلّونه عَصَبَهُم بشدّةٍ لا لِينَ فيها ورماهم بعقوبة لا عَفْوَ معها وان انْفَرَجَتْ العُيون واهْتُصِرت السُتور ورُفِعَتْ الحُجُب والحال فيهم مَرِيعة والامور بهم معتدلة في أرزاق يطلبونها وأعمال يُنْكرونها وظُلامات

يَدَّعونها وحقوقٍ يسألونها بماتَّةِ سابِقَتهم ودالّة مُناصَحَتِهم فالرّأي للمهدي وفَّقه الله انْ يَتَّسِع لهم بما طَلَبوا ويَتَجافى لهم عمل كَرِهوا ويَشْعَب من أمْرهم ما صَدَعوا ويَرْتَق من فَتْقهم ما قَطَعوا ويُوَلِّيّ عليهم من أحَبّوا ويُداوي بذلك مَرَض قلوبهم وفساد أمورهم فانما المهدي وأُمَّتُه وسَواد أهل مملكته بمنزلة الطبيب الرفيق والوالد الشفيق والراعي المُجَرِّب الذي يحتال لمَرَابِض غَنَمه وضَوَالّ رعيته حتى يُبْرئ المريضة من داء عِلّتها ويَرُدّ الصحيحة إلى أنْس جَمَاعَتِها ثم ان خراسان بخاصّة الدين لهم دالّة محمولة وماتّة مقبولة ووسيلة معروفة وحقوق واجبة لأنهم أيدي دولته وسيوف دعوته وأنصار حقه وأعوان عدله فَلَيْس من شأن المهدي الاضطِغان عليهم ولا المؤاخذة لهم ولا التَوْغِير بهم ولا المكافأة باساءتهم لاَنّ مُبادَرة حسم الامور ضعيفةً قبل أن تَقْوَى ومُحَاوَلَة قَطْع الأصول ضئِيلة قبل أن تَغْلُظ أحْزَمُ في الرأي وأصحّ في التدبير من التأخير لها والتهاون بها حتى يلتئم قليلها بكثيرها وتجتمع أطرافُها إلى جُمْهورها

قال المهدي مازال هارون يَقَع وَقْع الحيا حتى خُرُوج القِدْح من الماء وانْسَلّ انسلال السيف فيما ادّعى فدَعُوا ما سَبَق موسى فيه اته هو الرأي وثنّى بعده هارون ولكن مَن لِأعنَّة الخيل وسياسة الحرب وقادة الناس ان أمعن بهم اللّجاج وأفرطت بهم الدالة

قال صالح

لسنا نَبْلُغ أيَّها المهدي بدوام البَحْث وطُول الفِكْر أدْنَى فِرَاسة رَأيك وبَعْضَ لَحَظات نَظَرك وليس يَنْفَضّ عنك من بُيُوتات العرب ورجال

العجم ذُو دِين فاضل ورأي كامل وتدبير قوي تُقَلِّده حَرْبك وتستودعه جُنْدَك ممن يَحْتَمل الاَمَانة العظيمة ويَـضْطَلع بالاَعْبـاء الثَقيلـة وأنْـتَ بحمـد الـلــه مَيْمون النَقيبة مبارك العَزيمة مَخْبور التَجَارِب محمود العواقب معصوم العَـزْم فليس يَقَع اختيارُك ولا يقف نَظَرك على أحد تُوَلّيه أمْرَك وتُسْند إليه ثَغْـرك الّا أراكَ الـلـه ما تُحبّ وجَمَع لك منه ما تريد

قال المهدي انّي لَاَرْجُو ذلك لقَديم عادة الـلـه فيه وحُسْن مَعُونَته عليـه ولكـن أُحبّ المُوَافقة على الرأي والاعْتبارَ للمشاورة في الأمر المُهِم

قال محمَد بن الليث

أهْلُ خُرَاسان أيها المهدي قَوْمٌ ذَوُ عِزّة ومَنَعة وشياطين خَدَعة زُروعُ الحَمِيّة فيهم نابتة وملابس الأنَفة عليهم ظاهرة فالرَّوِيّة عنهم عازبـة والعَجَلـة عـنهم حـاضرة تَسْبِق سيولُهم مَطرَهم وسُيُوفُهم عَذَلَهم لاَنّهم بين سِفْلَة لا يَعْدو مَبْلَـغ عُقـولِهم مَنْظَر عيونهم وبين رُؤَساء لا يُلْجَمـون الّا بـشدّة ولا يُفْطَمـون الّا بـالمُرّ وان وَلّى المهدي عليهم وضيعا لم تَنْقَـدْ لـه العُظَـماء وان وَلَّى أمْـرَهم شريفـا تَحامَـل عـلى الضُعَفاء وانْ أخّر المهدي أمْرَهم ودافَع حَرْبَهم حتى يُصيب لنفـسه مـن حَـشَمه ومَوَاليه أو بَني عَمِّه أو بَنـي أبيـه ناصِـحا يتّفِـق عليـه أمْـرُهم وثِقَـةً تجْتَمـع لـه أمْلاؤُهم بِلا أنَفة تَلْزَمُهم ولا حَمِيّة تَدْخُلهم ولا مُـصيبة تُنَفّـرهم تَنفّـست الايـام بهم وتراخت الحال بأمرهم فَـدَخَل بـذلك مـن الفـساد الكَبـير والـضَّياع العظـيم ما لا يَتَلَافاه صاحبُ هذه الصفة وان جَدّ ولا يَسْتَصْلِحُه وان جَهَد الّا بَعْـد دَهْـر طويل وشرّ كبير وليس المهـدي وفّقـه الـلـه فـاطِما عـاداتهم ولا قارعـا صَـفَاتهم

بِمِثْل أحد رَجُلين لا ثالث لهما ولا عَدْلَ في ذلك بهما أحدُهما لسانٌ ناطق موصول بسَمْعك ويَدٌ مُمَثِّلة لِعَينك وصَخْرة لا تُزَعْزَع وبِهْمَة لا تُثْنَى وبازِلٌ لا يُفْزِعه صوْتُ الجُلْجُل نَقّي العِرْض نَزيه النفس جَلِيل الخَطَر قد اتّضَعَتْ الدُنيْا عن قَدْره وسَمَا نحوَ الآخرة بهمَّته فَجَعَل الغَرَض الاقْصى لِعَينه نُصْبا والغَرَض الاَدْنى لِقَدَمه مَوْطِئا فليس يَقْبَل عَمَلا ولا يَتَعَدَّى أمَلا وهو رأس مَوَاليك وأنْصَح بَني أبيك رجل قد غُذِّي بلطيف كرامتك ونَبَتَ في ظِلّ دَولتك ونَشَأ على قوائم أدَبك فان قَلَّدْتَه أمْرَهم وحَمَّلْتَه ثِقْلَهم وأسْنَدْتَ إليه ثَغْرهم كان قُفْلا فتَحه أمْرُك وبابًا أغْلَقَه نَهْيُك فجعل العَدْل عليه وعليهم أمِيرا والانصافَ بينَه وبينهم حاكِما واذا حَكَم المَنْصَفة وسَلك المَعْدَلَة فأعطاهُم مالَهُم وأخذ منهم ما عليهم غَرَس في الذي لك بين صُدورهم وأسكَن لك في السُوَيْدَاء داخل قلوبهم طاعةً راسِخةَ العُرُوق باسِقَةَ الفُرُوع مُتَمَاثِلةً في حَوَاشي عَوَامِّهم مُتَمَكّنَة من قُلُوب خَوَاصِّهم فلا يبقى فيهم رَيْبٌ الّا نَفَوْه ولا يلزمهم حق الا أدّوه وهذا أحَدُهما والآخَرُ عُودٌ من غَيْضَتك ونَبْعةٌ من أُرُومِتَك فَتِيّ السِّنّ كَهْلُ الحِلْم راجح العقل محمود الصَّرَامة مأمون الخِلاف يُجَرِّد فيهم سَيفَه ويبسط عليهم خَيْرَه بقدر ما يستَحِقون ولى حسب ما يَسْتَوْجِبون وهو فُلَان أيها المهدي فسلِّطْه أعَزّك الله عليهم وَوَجِّهْهُ بالجُيُوش إليهم ولا تَمْنَعْك ضَرَاعة سِنّه وحَدَاثة مَوْلِده فان الحِلْمَ والثِقَة مع الحَدَاثة خَيْرٌ من الشّكّ والجَهْل مع الكُهُولة وانما أحْدَاثُكُمْ أهلَ البيت فيما طَبَعكم الله عليه واختَصّكم به من مكارم الأخلاق ومحامد الفِعَال ومَحَاسن الأمور وصواب التدبير وصَرَامة الأنفس كفِراخِ عتاق الطَيْر المُحكمة لاَخْذ

الصَيْد بِلا تَدْريب والعارِفة لُوجوه النَفْع بلا تأديب فالحلم والعلم والعزم والحزم والجود والتُؤَدَة والرفْق ثابتٌ في صُدُوركم مَزْروع في قُلوبكم مُسْتَحْكم لكم مُتَكامل عندكم بطَبائعَ لازمة وغَرائزَ ثابته

قال معاوية بن عبد الله

فِتَاءُ أهل بيتك أيها المهدي في الحلم على ما ذُكر وأهلُ خراسان في حال عِزّ على ما وُصِف ولكن انْ وَلّى المهدي عليهم رَجُلا ليس بقديم الذِكْر في الجنود ولا بنَبِيه الصوت في الحروب ولا بطويل التجربة للامور ولا بمعروف السياسة للجيوش والهيبة في الاعداء دخل ذلك أمرانِ عظيمانِ وخَطَران مَهُولان أحدُهما أن الاعداء يَغْتَمِزونها منه ويحتقرونها فيه ويجترؤون بها عليه في النهوض به والمقارعة له والخلاف عليه قبل الاختبارِ لأمْره والتَكَشّف لِحاله والعلم بِطباعه والأمر الآخر أنّ الجُنود التي يقود والجيوش التي يسوس اذا لم يختبروا منه البأس والنَجْدة ولم يعرفوه بالصِّيت والهَيْبة انكسرت شجاعتهم وماتت نَجْدَتهم واستأخرت طاعتهم إلى حين اختبارهم ووقوع معرفتهم وربما وقع البَوَار قبل الاختبار وبباب المهدي وفقه الله رجل مَهيب نَبيه حَنيك صَيِّتٌ له نَسَب زاكٍ وصَوْت عالٍ قد قاد الجيوش وساس الحروب وتألف أهل خراسان واجتمعوا عليه بِالمَقة ووثقوا به كل الثِّقة فلو ولّاه المهدي أمْرَهم لكفاه الله شرهم قال المهدي جانَبْتَ قَصْد الرَمِيّة وأبَيْت الّا عَصَبِيّة اذ رَأيُ الحَدَث من أهل بيتنا كرأي عَشَرَة حُلَمَاء من غيرِنا ولكن أين تركتم وليّ العهد

قالوا

لم يَمْنَعْنا من ذِكره الّا كَوْنُه شَبِيه جَدّه ونَسِيج وَحْدِه ومن الدِين وأهلِه بحيث يَقْصُر القول عـن أدنى فـضله ولكـن وجَـدْنا الـلـه عـز وجـل حَجَـب عـن خَلْقـه وسَتَردون عباده عِلْمَ ما تختلف به الأيام ومعرفـةَ مـا تجـري عليـه المقـادير مـن حوادث الأمور ورَيْب المَنُـون المُخْتَرِمـة لخَـوَالي القُـرون ومَـوَاضي المُلـوك فكرِهْنـا شُسُوعه عن مَحَلّة المُلْك ودار السلطان ومَقَـرّ الإِمامـة والوِلايـة وموضـع المـدائن والخزائن ومستَقَرّ الجُنود ومعدِن الجود ومَجْمَع الأموال التي جعلها الـلـه قُطْبـا لدار المُلْك ومِصْيَدة لقلوب الناس ومَثَابـة لاخـوان الطَمَـع وثُـوّارِ الفِـتَن ودواعـي البِدَع وفرسان الضلال وأبناء الموت وقُلْنا انْ وجّـه المهـدي وليَّ عَهْـده فحـدث في جيوشه وجنوده ما قد حدث بجنود الرسل من قبله لم يستطع المهديُّ ان يُعْقبهم بغيره الا أن يَنْهَدَ إليهم بنفسه وهذا خَطَر عظيم وهَوْل شديد ان تنفست الأيـام بمقامه واستدارت الحال بامامه حتي يقع عوض لا يستغنى عنـه أو يحـدث أمـر لابد منه صار ما بعده مما هو أعظم هولا وأجل خطرا له تبعا وبه متصلا

قال المهدي

الخَطْـب أيْـسَرُ مـما تـذهبون إليـه وعـلى غـير مـا تَـصِفون الأمْـرَ عليـه نحـن أهلَ البيت نَجْري من أسباب القضايا ومواقع الأمـور عـلى سـابقٍ مـن العلْـم ومحتوم من الأمر قد أنْبَأتْ به الكُتُب ونَبّأَت عليـه الرّسُـل وقـد تَنَـاهى ذلـك بأجْمَعه إلينا وتَكَامل بحَذَافيره عندنا فبه نُدَبِّر وعلى الـلـه نتوكل انه لابد لوليّ عهدي ووليّ عهد عَقِبي بعدي أن يقود إلى خراسـان البعـوث ويتوجـه نحوهـا بالجنود أمـا الأول فانـه يُقَـدم إلـيهم رسله ويُعْمِـل فـيهم حِيَلـه ثـم يخـرج

نَشِطا إليهم حَنِقا عليهم يريد أن لا يَدَع أحدا من اخوان الفِتن ودواعي البِدَع وفُرْسان الضلال الّا تَوَطَّأهُ بَحرّ القتل وألبسَه قِناعَ القهر وقلده طَوق الـذل ولا أحدا من الذين عملوا في قصّ جناح الفِتْنة واخماد نار البِدْعة ونُصْرة وُلاة الحقّ الا أجْرَى عليهم دِيمَ فَضْله وجَدَاوِل نَهْلِه فاذا خرج مُزْمِعًا بـه مُجْمِعًا عليه لم يَسِرْ الا قليلا حتى تأتيَه ان قد عَمِلَتْ حِيَلُه وكَدَحَت كُتُبه ونَفَذَت مكايِده فهدأت نافرة القلوب ووقَعَتْ طائرة الأهواء واجتمع عليه المختلفون بالرضى فيمِيل نظرًا لهم وبِرًا بِهِم وتَعَطُّفا عليهم إلى عَدُوّ قد أخاف سبيلَهم وقطع طريقهم ومنع حُجّاجَهم بيتَ الله الحرام وسَلَب تُجّارَهم رِزْقَ الله الحلال وأما الآخَر فانه يوجه إليهم ثم تعتقد له الحجة عليهم باعطاء ما يطلبون وبذل ما يسألون فاذا سَمَحت الفِرَق بقَرَاباتها له وجَنَح أهل النواحي بَاعْناقهم نحوه فأصْغَتْ إليه الأفئدة واجتمعت له الكلمة وقدِمت الوُفود قَصَدَ لأول ناحية نجعَتْ بطاعتِها وألْقت بأزمَّتِها فألْبَسها جَنَاح نِعْمَته وأنزَلَها ظل كرامته وخصَّها بعظيم حِبائه ثم عمّ الجماعة بالمَعْدَلة وتعطّفَ عليهم بالرحمة فلا تبقي فيهم ناحيةٌ دانِية ولا فِرْقة قاصِيَة الا دَخَلَتْ عليها بَرَكَتُه ووَصَلَتْ إليها مَنْفَعَتُه فأغْنَى فَقيرَها وجَبَر كَسِيرَها ورَفَع وضِيعَها وزاد رَفِيعها ماخلا ناحيتَيْنِ ناحيةٍ يَغْلِب عليها الشَقَاء وتَسْتَمِيلهم الأهْواء فَتَسْتَخِفّ بدَعْوته وتُبْطِئ عن اجابته وتَتَثَاقَل عن حَقّه فتكون آخِرَ مَن يَبْعَث وأبْطَأ مَن يُوَجِّه فَيَصْطَلى عليها مَوْجودَه ويبتغي لها علّة لا يَلْبَث أن يَجدَّ بحقٍّ يلزمُهم وأمْرٍ يجب عليهم فَتَسْتَلْحِمهم الجُيوش وتأكلهم السُيوف ويَسْتَحِرّ بهم القَتْل ويُحيط بهم الأسْر ويُفْنِيهم التَتَبُّع حتى يُخَرِّب البلاد ويُوتِم الأولاد وناحيةٍ

لا يَبْسُط لهم أمانا ولا يَقْبل لهم عَهْدًا ولا يجعل لهم ذِمَّة لَانَّهم أولُ مَن فَتَح باب الفُرْقة وتَدَرَّع جِلْبابَ الفتنة ورَبَضَ في شَقّ العَصَا ولكنّه يَقْتُلُ أعْلَامَهم ويَأْسِر قُوّأدهم هُرَّابَهم فيث لَجُج البِحار وقُلَل الجِبال وحَميل الأوْدِيَة وبُطون الأرض تقتيلا وتغليلا وتنكيلا حتى يَدَع الدِيارَ خرابا والنساءَ أيَامَى وهذا أمْرٌ لا نَعْرِف له في كُتُبِنا وَقْتا ولا نُصَحِّحْ منه غيرَ ما قُلْنا تفسيرا وأما موسى ولىّ عَهْدي فهذا أوانُ تَوَجُّهه إلى خراسان وحُلوله بجُرْجان وما قضى الله له من الشُخُوص إليها والمُقَام فيها خيْرٌ للمسلمين مَغَبَّةً له باذن الله عاقبة من المقام بحيث يغمر في لجج بحورنا ومدافع سيولنا ومجامع أمواجنا فيتصاغر عظيم فضله ويتدأب مشرق نوره ويتقلل كثير ما هو كائن منه فمن يصحبه من الوزراء ويختار له من الناس

قال محمد بن الليث

أيها المهدي ان وليّ عهدك أصبح لأمَّتك وأهل مِلّتك عَلَما قد تَثَنَّت نحوَه أعناقُها ومدَّتْ سمْتَه أبصارَها وقد كان لُقرْب داره منك ومحلّ جِواره لك عُطْل الحال غُفْل الاَمْر واسِعَ العُذْر فأما اذا انْفَرَد بنفسه وخَلا بنَظَره وصار إلى تدبيره فان من شأن العامة أن تَتَفَقَّد مَخَارِج رأيِه وتَسْتَنْصِت لِمَوَاقع آثارِه وتَسْأل عن حوادِث أحواله في بِرِّه ومَرْحَمته وإِقْساطه ومَعْدَلته وتدبيره وسياسته ووزرائه وأصحابه ثم يكون ما سَبَق إليهم أغْلَبَ الاشياء عليهم وأمْلَكَ الأُمور بهم وألْزَمَها لقلوبهم وأشدَّها استمِالةً لرأيِهم وعَطْفا لأهْوائهم فلا يَفْتأ المهدي وفّقه الله ناظرا له فيما يُقَوِّي عَمَد مَمْلكته ويُسَدد أركان ولايته ويستجمع رضاء أمته بأمر هو أزْيَنُ لِحاله

وأظْهَر لجماله وأفضل مَغَبّة لأمره وأجل موقعا في قلوب رعيته وأحمد حالا في نفوس أهل ملّته ولا أدفَع مع ذلك باستجماع الأهواء لـه وأبْلَـغ في استعطاف القلوب عليه من مَرْحَمة تَظْهر من فعْلِه ومَعْدَلة تنتشر عن أثَره ومَحَبّةٍ للخَير وأهْلِه وان يختار المهدي وفقه اللـه من خيار أهل كل بَلْدة وفُقَهاء أهـل كـل مِصْر أقواما تَسْكُن العامّة إليهم اذا ذُكِروا وتأْنَس الرعيـةُ بِهِـم اذا وُصـفوا ثـم تُسَهّل لهم عِمارَةُ سُبُل الاحسان وفَـتْح بـاب المعـروف كـما قـد كـان فُـتح لـه وسُهّل عليه

قال المهدي صدقت ونصحت ثم بعث في ابنه موسى فقال

أي بُنَيّ انك قد أصْبَحْت لسَمْت وجوه العامـة نُـصْبا ولَمثْنَـى أعطـاف الرعيـة غايـةً فحـسَنَتُك شـامِلة واسـاءتك نائيـة وأمـرُك ظـاهر فعليـك بتقـوى اللـه وطاعته فاحتِملْ سُخْط الناس فيهما ولا تَطْلُب رِضاهُم بخلافهما فان اللـه عز وجل كافيكَ مَن أسْخَطَه عليك ايثارُك رِضاه وليس بكافيك من يُسْخطه عليـك ايْثارُك رضا مَن سواه ثم اعلم أن لله تعالى في كل زمان فَـترةً مـن رسـله وبَقايـا من صَفْوة خَلْقه وخَبايا لنُصرة حَقّه يُجَدّد حَبْلَ الاسلام بدعواهم ويُشَّيد أركانَ لبدين بنُصْرتهم ويَتّخذ لأوْلياء دينه أنْصارًا وعلى اقامـة عَدْلـه أعْوانًـا يَـسُدّون الخَلَل ويُقيمون المَيَل ويَدْفَعون عن الارض الفـسادَ وان أهـل خراسـان أصْبَحوا أيْدي دولتنا وسُيوف دَعْوتنا الذين نَسْتَدفع المَكَارهَ بطـاعتهم ونَسْتَـصرف نـزُولَ العَظَـائمِ بمنُاَصـحَتِهم ونُـدَافِع ريـبَ الزمـان بعَـزَائمِهم ونُـزَاحم رُكْـن الـدهر ببصائِرهم فَهُم عِماد الارض اذا أرْجَفَتْ لُفَفُها وخَوْف الاعداء اذا برزت صـفحتها

وحصون الرعية اذا تضايقت الحال بها قد مضت لهم وقائع صادقات ومواطن صالحات أخْمَدَتْ نيرانَ الفِتَن وقَسَمتْ دواعي البِدَع وأذَلّت رِقاب الجَبّأرين ولم يَنْفَكُّوا كذلك ما جَرَوا مع ريح دولتنا وأقاموا في ظِلّ دَعْوَتنا واعتصموا بحبل طاعتنا التي أعز الله بها ذاتَهم ورَفَع بها ضَعَتَهم وجعلهم بها أربابا في أقطار الارض وملوكا على رقاب العالمين بعد لِباس الذُّلّ وقِناع الخوف وإطْباق البَلَا ومُحالَفة الأَسَى وجَهْد البأْس والضّرّ فظاهِرْ عليهم لِباسَ كَرَامتك وأنْزِلْهم في حدائق نعمتك ثم اعْرِفْ لهم حقّ طاعتهم ووسيلة دالَّتهم وماتَّةَ سابِقَتهم وحُرْمة مُناصَحتهم بالاحسان إليهم والتوسعة عليهم والاثابة لمُحسنهم والاقالة لمُسيئهم أيْ بُنَيَّ ثم عليك العامّة فاستدْعِ رِضاها بالعَدْل عليها واستجلِبْ مَوَدَّتَها بالانصاف لها وتَحَسّنْ بذلك لرَبّك وتَوَثّق به في عين رعيتك واجعلْ عُمّالَ العُذْر ووُلاةَ الحُجَجِ مُقَدّمةً بين عملك ونَصَفَةً منك لرعيتك وذلك أن تأمر قاضيَ كُلّ بَلَد وخِيار أهل كل مصْر أن يختاروا لأنفسهم رَجُلًا تُوَلّيه أمْرَهُم وتَجْعَل العَدْل حاكما بَيْنَه وبَيْنَهم فانْ أحْسَنَ حُمِدتَ وان أساء عُذِرْتَ هؤلاء عُمّال العُذْر ووُلَاة الحُجَجِ فلا يَسْقُطَنّ عليك ما في ذلك اذا انْتَشَر في الآفاق وسَبَقَ إلى الاسماع من انعقاد ألْسِنة المُرْجِفين وكَبْت قُلوب الحاسدين وإطْفاء نيران الحُروب وسلامة عواقب الامور ولا يَنْفَكّنَّ في ظِلّ كرامتك نازلا وبِعُرَى حَبْلِك مُتَعَلِّقا رَجُلانِ أحدُهما كَريمة من كرائم رِجالات العَرَب وأعْلام بُيُوتات الشَرَف له أدب فاضل وحِلْم راجح ودِين صحيح والآخَر له دِين غيرُ مَغْمُوز ومَوْضِع غير مَدْخول يصيرٌ بتَقْليب الكلام وتَصْريف الرأي وأنْحاء العَرَب ووَضْعْ الكُتُب عالم

بحالات الحروب وتصاريف الخُطوب آدابا نافعة وآثاراً باقية من مَحَاسِنِك وتَحْسين أمرك وتَحْلِيه ذِكْرك فَتَسْتَشيرهُ في حَرْبك وتُدْخِله في أمرك فَرَجُلٌ أَصَبْتَه كذلك فهو يأوِي إلى مَحَلّتي ويَرْعَى في خُضْرة جِناني ولا تَدَعْ أن تختار لك من فقهاء البُلْدان وخِيار الأمْصار أقواما يكونون جِيرانك وسُمَّارَك وأهلَ مُشاوَرتك فيما تُورِد وأصحابَ مُناظَرتك فيما تُصْدِر فَسِر على بركَة الله أَصْحَبَك الله من عَوْنه وتوفيقه دليلا يَهْدِي إلى الصواب قَلْبَك وهادِياً يُنْطِق بالخير لسانَك وكتب في شهر ربيع الآخِر سنة سبعين ومائة ببغداد

وقال ابراهيم بن المهدي يرثي ابنه وكان مات بالبصرة

نأىَ آخَر الأيام عنك حَبيب   فللعين سَحّ دائِم وغُرُوب

دَعَتْهُ نَوًى لا يُرْتَجى أوْبَةٌ لها   فَقَلْبُك مَسْلُوبٌ وأنت كئيب

يَؤُوب إلى أوطانه كلُّ غائب   وأحمدُ في الغُيّاب ليس يَؤُوب

تَبَدَّلَ دارا غيرَ داري وجِيرةً   سِواىَ وأحْداث الزمانِ تَنُوب

أقام بها مُسْتَوطِنا غيرَ أنه   على طول أيام المُقام غريب

كأنْ لم يَكُنْ كالغُصْن في مَيْعَة الضُّحَى   سَقاهُ النَدَى فاهتزّ وهو رَطيب

كأنْ لم يكن كالدُّرّ يَلْمَع نُوره   بأصْدافه لَمّا تَشِنْه ثُقُوب

كأنْ لم يكن زَيْن الفِناء ومَعْقِل   النِساء اذا يومٌ يكونُ عَصيب

ورَيْحان صَدْري كان حين أشُمُّه   ومُؤْنِس قَصْري كان حين أغيب

وكانت يَدِي مَلْأى به ثم أصْبَحَتْ بحمْدِ الَهي وهي منه سَليب

قَليلا من الأيام لم يُرْوَ ناظري بها منه حتى أعْلَقَتْه شَعوب

كظِلّ سَحابٍ لم يُقِمْ غيرَ ساعةٍ إلى أن أطاحَتْه فَطاح جَنوب

أو الشّمس لما من غَمامٍ تَحَسَّرَت مَساءً وقد وَلَّتْ وحانَ غُروب

سأَبْكيك ما أبْقَتْ دُمُوعي والبُكَى بعَيْنَيَّ ماءً يا بُنَيَّ يُجيب

وما غارَ نَجْمٌ أو تَغَنَّتْ حمامةٌ أو اخْضَرَّ في فَرْع الأراك قَضيب

حَياتِيَ ما دامَتْ حَياتي فانْ أَمُتْ ثَوَيْتُ وفي قلبي عليك نُدُوب

وأُضْمِرُ ان أنْفَدْتُ دمعيَ لوعةً عليك لها تحتَ الضُلوع وَجيب

دَعَوْتُ أطِبّاءَ العِراق فلم يُصب دواءَك منهم في البلاد طَبيب

ولم يَمْلك الآسُون دَفْعًا لمُهْجة عليها لأشْراك المَنُون رَقيب

قَصَمْتَ جَناحي بَعْدَ ما هَدَّ مَنْكِبي أخُوكَ فَرَأْسِي قد عَلاه مَشيبُ

فأصْبَحْتُ في الهُلّاك الّا حُشاشةً تُذَاب بنار الحُزْن فهى تَذُوب

تَوَلَّيْتُما في حِقْبَةٍ فَتَرَكْتُما صَدًى يَتَولّى تارةً ويَثُوب

فلا مَيْتَ الّا دونَ رُزْئِك رُزْؤُه ولو فُتِّتَتْ حُزْنًا عليه قُلُوب

واني وانْ قَدَّمْتَ قَبْلِي لَعَالِمٌ بأني وان أبطأتُ منك قريب

وانّ صَباحًا نَلْتَقِي في مَسائه صَباحٌ إلى قلبي الغَدَاة حَبيب

المأمون وراثي البرامكة

قال خادم المأمون طَلَبَني أمير المؤمنين ليلةً وقد مضى من الليل ثُلُثُه فقال لي خُذْ معك فلانا وفلانا وسَمَّاهُما لي أحدُهما عليّ بن محمد والآخر دينار

الخادم واذهبْ مُسْرِعا لِمَا أقول لك فانه بَلَغَني أنّ شيخا يَحْضُر ليلا إلى آثار دُور البَرَامكة ويُنْشد شعراء ويذكرهم ذكرا كثيرا ويَنْدُبهم ويبكي عليهم ثم ينصرف فامضِ أنت وعليّ ودينار حتى تردُوا تلك الخرِبات فاسْتَترِوا خَلْف بعض الجُدُر فاذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكي ونَدَب وأنشد أبياتا فَأْتُوني به قال فأَخَذْتُهما ومَضَيْنا حتى أتَيْنَا الخَرِبات فاذا نحن بغُلامٍ قد أتى ومعَهُ بِساطٌ وكرسي حديد واذا شيخ قد جاء وله جَمَال وعليه مَهَابة ولُطْف فجلس على الكرسي وجعل يبكي وينتحب ويقول هذه الابيات

ولما رأيتُ السَيْفَ جَنْدَل جعْفَرًا   ونادى منادٍ للخليفة في يَحْيَى
بَكَيتُ على الدُّنْيا وزاد تأسُّفي   عليهم وقلتُ الآن لا تنفع الدنيا

مع أبياتٍ أطالَها فلما فَرَغ قَبَضْنا عليه وقلنا له أجب أمير المؤمنين ففزع فَزَعًا شديدا وقال دَعوني حتى أُوصي بوصيّةٍ فاني لا أوقِن بعدَها بحياةٍ ثم تقدّم إلى بعض الدكاكين واستفتح وأخَذَ ورقةً وكَتَب فيها وصيّة وسَلّمها إلى غلامه ثم سرْنا به فلما مَثَل بين يدي أمير المؤمنين قال حين رآهُ مَن أنتَ وبمَ اسْتَوْجَبَتْ منك البَرَامكة ما تفعلُه في خَرَائب دُورهم قال الشيخ يا أمير المؤمنين انّ للبرامكة أيادِىَ خَضِرةً عندي أفتأذَن لِي أن أُحَدِّثَكَ بِحالي معهم قال قُلْ فقال يا أمير المؤمنين أنا المُنذر ابن المُغيرة من أولاد الملوك وقد زالت عَنّي نِعْمتي كما تَزُول عن الرِّجال فلما رَكِبَني الدَيْن واحْتَجْتُ إلى بيع ما عَلَى رَأسي ورُؤُوس أهْلي وبَيْتي الذي وُلِدْت فيه أشاروا عَلَيّ بالخُروج إلى البرامكة فخرجتُ من دِمَشْقَ ومَعي نَيِّفٌ

وثلاثون رجلا من أهْلي وَوَلَدي وليس ما يُبَاع ولا ما يُوهَب حتى دَخَلْنا بَغْـداد ونَزَلْنا في بعض المساجد فَدَعَوتْ ببعض ثيابٍ كنتُ أعْدَدْتُها لأسْتَتِر بها فَلَبِسْتُها وخَرَجْتُ وتَرَكْتُهم جِياعا لا شئ عنـدَهم ودَخَلْـتُ شـوارع بغـداد سـائلا عـن البرامكة فاذا أنا بمسجدٍ مزخـرفٍ وفي جانبـه شـيخ بأحْـسن زيٍّ وزينـة وعـلى الباب خادمان وفي الجامع جماعةٌ جُلُوسٌ فَطَمِعْتُ في القوم ودخلـتُ المـسجدَ وجلستُ بين أيديهم وأنا أُقَدِّم رِجْلا وأُؤَخِّر أُؤَخْرَى والعَرَق يَسيل مني لانها لم تكن صِناعَتي واذا الخادمُ قد أقبلَ ودعا القومَ فقاموا وأنـا مَعَهُـم فَـدَخَلُوا دارَ يَحْيى بن خالد فدخلتُ معهم واذا يحيى جالسٌ عـلى دكـةٍ لـه وسْـط بُـسْتان فَسَلَّمنْا وهو يَعُدُّنا مائة وَوَاحِدًا وبين يَدِه عـشرة مـن وَلَـدِه واذا بمائـةٍ واثنـى عشر خادما قد أقبلوا ومع كل خادم صينيَّة فرأيـتُ القـاضيَ والمـشايخ يَـضَعُن الدنانير في أكمامهم ويَجْعَلون الصينيّات تحـتَ آبـاطِهم ويقـوم الاوّل فـالاول حتـى بَقِيْـتُ وحـدي لا أجْـسُر عـلى أخْـذِ الـصينية فَغَمَـزَني الخـادِم فَجَـسرْتُ وأخَذْتُها وجعلتُ الذَهَبَ في كُمّي والصينيةَ في يَـدي وقُمْـتُ وجعلـت أتَلَفَّـتُ إلى وَرَائي مَخَافَةَ أن أُمْنَع مـن الـذَهَاب فَوَصَـلْتُ وأنـا كـذلك إلى صَحْن الـدار ويحيَى يُلاحِظُنـي فقـال للخـادم ائتنِـي بهـذا الرَجُـل فأتـاني فقـال مـا لي أراكَ تَتَلَفَّت يَمينا وشِمالا فَقَصَصْتُ عليه قِصَّتي فقال للخـادم ائتنـي بوَلَـدي مـوسى فأتاه به فقال لـه يـا بُنَـيّ هـذا رَجُـلٌ غريـبٌ فَخُـذْه إليـك واحْفَظـه بنفـسِك ونِعْمتك فَقَبَض موسى وَلَدُه عـلى يَـدِي وأدْخَلَنـي إلى دارٍ مـن دُوره فـأكْرَمَني غايـةَ الاكـرام وأقَمْـتُ عنـده يَـوْمي ولَيْلَتـي في ألَـذِّ عَـيْشٍ وأتَـمّ سُرورٍ فلـما أصْبَح دَعا بأخيه العباس وقال له الوزير أمَرني بالعَطْف على هـذا الفَتَـى وقـد

عَلِمْتَ اشتِغالي في بَيْت امير المؤمنين فاقبِضْه إليك وأكْرِمْه فَفَعَلَ ذلك وأكْرَمَني غاية الاكرام ثم لما كان من الغَدِ تَسَلَّمَني أخوه احمد ثم لم أزَلْ في أيْدي القوم يَتَدَاوَلُونَني مدةَ عشرة أيام لا أعْرِف خَبَرَ عِيالي وصِبْياني أفي الامْوات هُمْ أمْ في الاحْياء فلما كان اليوم الحادي عشر جاءني خادِمٌ ومعَهُ جماعة من الخَدَم فقالوا قُمْ فاخْرُجْ إلى عِيالِك بسلام فقلت واويلاه سُلْبتُ الدَنانير والصينيّة وأُخْرَجُ على هذه الحالة إنّا لله وانا إليه راجعون فَرُفِع السِتْر الاوّل ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع فلما رَفَع الخادم السِتْر الاخير قال لي مهما كان من الحوائج فارْفعْها إلىَّ فاني مأمورٌ بقَضاء جميع ما تأمُرُني به فلما رُفِع السِتْر الأخير رأيتُ حُجْرة كالشمس حُسْنا ونورًا واسْتَقْبَلني منها رائحةُ النَّدّ والعود ونَفَحات المِسْك واذا بصِبْياني وعِيالي يَتَقَلّبون في الحرير والدِّيباج وحُمِلَ إلىَّ مائةُ ألف دِرْهَم وعَشرة آلافِ دينار ومَنْشُورٌ بضَيْعَتَين وتلك الصينية التي كنت أخَذْتُها بما فيها من الدَّنانير والبَنَادِق وأقَمْت يا أمير المؤمنين مع البرامكة في دورِهم ثلاثَ عشرةَ سنة لا يعلمَ الناسُ أمِنَ البرامكة أنا أم رَجُلٌ غريب فلما جاءتهم البَلِّية ونَزَل بهم يا أمير المؤمنين من الرشيد ما نزل أجْحَفَني عَمْرو بن مَسْعدة وألْزَمَني في هاتين الضيعتين من الخَراج مالا يَفي دَخْلُهما به فلما تَحامَل عليّ الدَهْر كنتُ في آخِرِ الليل أقْصِد خَرِبات دُورِهم فأنْدُبُهم وأذْكر حُسْن صُنْعِهم إلىَّ وأبكي على احسانِهم فقال المأمون عَلَيَّ بعمرو بن مسعدة فلما أَتِي به قال له تَعْرِف هذا الرَجُلَ قال يا أمير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال كم ألْزَمْتَه في ضَيْعَتَيْه قال كذا وكذا فقال لهُ رُدّ إليه كُلَّ ما أخَذْتَه منه في مُدّته وأفْرِغْها له ليكونا له ولعَقبه من بعده

قال فَعَلَا نَحيبُ الرَجُل فلما رأى المأمونُ كَثْرَة بكائِه قال له يا هذا قد أحْسَنّا إليك فما يُبْكيك قال يا أمير المؤمنين وهذا أيضا من صَنيع البرامكة لو لم آتِ خرباتهم فأبكيهم أنْدُبهم حتى اتّصل خَبَري إلى أمير فَعَل من أين كنتُ أصل إلى أمير المؤمنين قال ابراهيم بن مَيْمون فرأيتُ المأمون وقد دَمَعَتْ عَيْناهُ وظهر عليه حُزْنُه وقال لَعَمْري هذا من صنائع البرامكة فعليهم فابْكِ وايَّاهُمْ فاشكُرْ ولهم فأوْفِ ولا حسانهم فاذْكُرْ

رسالة سهل بن هارون في البخل

بسم الله الرحمن الرحيم

أصلحَ الله أمركم وجَمَع شملكم وعلّمكم الخير وجعلكم من أهله قال الاحْنَف بن قَيْس يا معشرَ بني تَميم لا تُسْرِعوا إلى الفِتْنة فانّ أسْرَع الناس إلى القتال أقلُّهم حياء من الفِرار وقد كانوا يقولون اذا أردتَ أن ترى العُيوب جَمَّةً فتأمَّلْ عَيَّابًا فانه انما يَعيب الناسَ بفَضْل ما فيه من العَيب ومن أعْيَب العَيْب أن تَعيب ما ليس بعَيب وقبيحٌ أن تَنْهَى مُرشدا وأن تُغْرَى بمُشْفِق وما أردنا بما قلنا الا هدايتكم وتقويمكم واصلاحَ فاسِدِكم وابقاءَ النعمة عليكم وما أخطأنا سبيلَ حُسْن النّيّة فيما بيننا وبينكم وقد تَعْلَمون أنّا ما أوْصَيناكم الا بما اخْتَرْناه لكم ولأنْفُسنا قبلكم وشُهرنا به في الآفاق دونكم ثم نقول في ذلك ما قال العَبْد الصالح لقومه (وما أريد أن أخالِفَكم إلى ما أنْهاكُمْ عنه إن أريد الا الِاصْلاحَ ما استطعتْ وما

توفيقي الا بالـلـه عليه توكلتُ) فما كان أحَقّنا منكم في حُرْمَتنا بكم أن تَرْعَوْا حقّ قصْدِنا بذلك إليكم على ما رَعَيْناه من واجب حَقّكم فلا العُـذْرَ المبـسوط بَلَغْتم ولا بواجب الحُرمة قمتم ولو كان ذكْر العيـوب يُـراد بـه فَخْـرٌ لرَأَيْنـا في أنفُسنا من ذلك شُـغْلًا عِبْتُمـوني بقَـوْلي لخـادِمي أجِيـدي العَجـين فهـو أطْيَـبُ لُطْعمِه وأزْيَد في رَيْعه وقـد قـال عمـر بـن الخطـاب رضى الـلــه عنـه أمْلِكـوا العَجين فانه أحدُ الرَيْعَيْنِ وعبتموني حين ختمـت عـلى مـا فيـه شـئ ثمـين مـن فاكهةٍ رَطْبة نَقيّة ومن رَطْبة غَريبة على عَبْدٍ نَهـم وصَـبيّ جَـشِع وأمَـةٍ لَكْعَـاءَ وزَوْجةٍ مُضِيعة وعبْتُموني بالخَتمْ وقـد خَـتَم بعـض الائمـة عـلى مِـزْوَدِ سَـويقٍ وعلى كيسٍ فارغ وقال طينَةٌ خيرٌ من طَيَّـةٍ فأمْـسَكْتم عَمّـن خَـتم عـلى لاشـئ وعبْتُمْ مَن خَتَم على شئ وعبتموني أن قلتُ للغـلام اذا زِدتَ في المَـرَق فـزِدْ في الانضاج ليَجْتَمِع مـع التـأدُّم بـاللحم طِيْـبُ المَـرَق وعبتمـوني بخَـصْف النَعْـل وبتَصْدير القَميص وحين زَعَمْتُ أنّ المَخْصوفة النَّعْل أَبْقَى وأقْوَى وأشْبَه بالشَّدّ وأنّ التَرْقيع من الحَزْم والتَفْريط من التَضْييع وقد كان رسول الـلـه صلى الـلــه عليه وسلم يَخْصِف نَعْلَه ويُرَقّع ثَوْبَه ويقول لـو أُهْـدِيَ إليّ ذِراعٌ لَقَبِلْـتُ ولـو دُعيتُ إلى كُرَاع لأجَبْت وقالت الحكماء لا جَديدَ لِمَنْ لم يَلْبَس الخَلَـق وبَعَـثَ زياد رَجُلا يَرْتادُ له مُحَدِّثا واشترط عليه أن يكون عاقلا فأتاه بـه مُوافِقـا فقـال له أكنت به ذَا معرِفة قال لا ولكني رأيْتُه في يـوم قـائظ يَلْـبَس خَلَقًـا ويَلْـبَس الناسُ جَديدا فَتَفَرّسْت فيه العقلَ والادبَ وقـد عَلِمْـت أنّ الخَلَـقَ في موضِـعه كما جعل لكل زمانٍ رجالًا ولكل مقام مقَـالا وقـد أحيَـا الـلــه بالـسُّمّ وأمـاتَ بالدواء وأغَصّ بالماء وقد زَعَمُوا أنّ الاصلاح أحدُ الكاسِبَيْن كـما زعمـوا أن قلّـة

العِيال أحدُ اليَسَارَيْنِ وقد جَبَرَ الأحْنَف بن قَيْس يَدَ عَنْزٍ وأمر مالكُ بن أنَس بفَرْك النَعْل وقال عُمَرُ بن الخطاب مَن أَكَلَ بَيْضَةً فقد أكل دَجاجة ولَبِس سالم بن عبد الله جِلْدَ أضْحِيَة وقال رجا لبعض الحكماء أريد أن أهْدِي إليك دَجاجة فقال ان كان لابُدّ فاجعلْها بَيُوضًا وعبتموني حين قلت من لم يَعرِف مواضعَ السَرَف في الموجود الرخيص لم يعرف مواضعَ الاقتصاد في المَمْتَنع الغالي ولقد أُتيتُ بماء للوضوء على مَبْلَغ الكفاية وأشَدّ من الكفاية فلما صِرْتُ إلى تفريق أجزائه على الأعضاء وإلى التوفير عليها من وضيعة الماء وَجَدْتُ في الأعضاء فضلا عن الماء فَعَلِمْت أن لو كنتُ سَلَكْت الاقتصادَ في أوائله لَخَرج آخرُه على كفاية أوله ولَكانَ نَصيب الأول كنصيب الآخر فبعتموني بذاك وشَنّعْتُم عليّ وقد قال الحَسَنُ وذَكَر السَرَفَ أمَا انه ليَكون في الماء والكَلأ فلم يَرْضَ بذكر الماء حتى أرْدَفَه الكلأ وعِبتموني أن قلت لا يَغْتَرّنّ أحدُكم بطول عُمْره وتَقْويس ظَهْره ورِقّة عَظْمه ووَهْن قُوّته وأن يرى نحوه أكثَر ذُرِّيّته فيَدْعوه ذلك إلى اخْراج مالِه من يَده وتحويِله إلى مِلك غيره وإلى تحكيم السَرَفَ فيه وتَسْليط الشَهَوات عليه فلَعَلّه يكون مُعَمّرا وهو لا يدري ومَمْدودا له في السِّنّ وهو لا يَشْعُر ولعلّه أن يُرْزَق الوَلَدَ على اليأس ويَحْدُث عليه من آفات الدهر ما لا يَخْطُر على بالٍ ولا يُدْرِكه عقلٌ فَيَسْتَرِدُّه ممن لا يَرُدّه ويُظْهِر الشكوى إلى من لا يَرْحَمُه أصعبَ ما كان عليه الطلب وأقبحَ ما كان به أن يَطْلُب فعبتموني بذلك وقد قال عمرو بن العاص اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا وعبتموني بأن قلت بأنّ السَّرَف والتبذير إلى مال المواريث

وأموال الملوك وأنّ الحفْظَ للمال المُكْتَسَب والغِنَى المُجْتَلَب وإلى ما لا يُعَرَّض فيه بذَهاب الدين واهْتِضام العِرْض ونَصَب البَدَن واهتضام القلب أسرعُ ومَن لم يَحْسُب نَفَقَتَه لم يَحْسُبْ دَخْلَه ومَن لم يَحْسُب الدَخْل فقد أضاع الاصل ومن لم يَعْرِف للغِنَى قَدْرَه فقد أذِن بالفقر وطاب نفسا بالذُّلّ وعبتموني بأن قلت انّ قلت انّ كَسْبَ الحلال يَضْمَن الاِنْفَاقَ في الحلال وانّ الخبيث يَنْزع إلى الخبيث وانّ الطَّيّب يَدْعُو إلى الطَّيّب وانّ الانفاق في الهوى حجابٌ من الهوى فَعِبْتُم عليّ هذا القول وقد قال معاوية لم أرَ تَبْذيرا قَطّ الّا وإلى جَنْبه تضييع وقد قال الحَسَن ان أرَدْتم أن تَعْرِفوا من ايْنَ أصابَ الرجلُ مالَه فانظروا فيما ذا يُنْفِقُه فان الخبيث انما يُنْفَقُ في السَرَف وقلت لكم بالشَفَقة عليكم وحُسْن النظر مني لكم وأنتم في دار الآفاتِ والجوائحُ غيرُ مأمونات فانْ أحاطَتْ بمالِ أحدِكم آفةٌ لم يَرْجِع إلى نفسه فاحذروا النِقَم واختلافَ الامكنة فانّ البَلّية لا تجري في الجميع الا بموْت الجميع وقد قال عُمَر بن الخطاب رضى الله عنه في العبد والأمة والشاةِ والبَعير فَرِّقوا بين المَنايا وقال ابن سِيرِين لبعض البَحْرِيِّين كيف تصنعون بأموالكم قالوا نُفَرِّقُها في السُفُن فان عَطِب بعضٌ سَلِمَ بعضٌ ولولا أنَّ السَلامة أكثر ما حَمَلْنا أموالَنا في البحر قال ابن سيرين يَحْسَبها خَرْقاء وهى صَناع وعبتموني بأن قلت لكم عند إشْفاقي عليكم ان لِلْغِنَى لَسُكْرًا وللمالِ لَنَزْوة فمن لم يَحفظ الغِنَى من سُكْره فقد أضاعَه ومن لم يَرْتَبِط المال بخَوف الفقر فقد أهْمَله فعبتموني بذلك وقد قال زيد بن جَبَلة وليس أحد أقْصَر عقلا من غَنِيٍّ أمنَ الفقر وسُكْرُ الغنى أكثرُ من سُكْرِ الخَمْر وقد قال الشاعر يحيى بن خالد بن بَرْمَك

وهُوبُ تِلَاد المالِ فيما يَنوبُه مَنوعٌ اذا ما مَنْعُه كان أحْزَمَا

وعبتموني حين زعمتم أني أقدِّم المالَ على العِلمْ لأنّ المالَ بـه يُفـادُ العلـم وبـه تقوم النفس قبلَ أن تَعْرِف فَضْلَ العِلم فهو أصل والاصل أحقّ بالتفـضيل مـن الفَرْع فقلتم كيف هذا وقد قيل لـرئيس الحكـماء الاغنيـاءُ أفـضلُ أم العُلـمَاء قال العلماء قيل له فما بالُ العلماء يأتون أبوابَ الاغنياء أكثر ما يـأتي الاغنيـاء أبوابَ العلماء قال ذلك لمعرفة العلماء بفضْل المال وجَهْل الاغنياء بحقّ العلـم فقلتُ حالُهما هى القاضية بينهما وكيف يَسْتَوي شئٌ حاجَةُ العامّة إليه وشـئُ يُغْني فيه بَعْضُهم عن بعض وكان النبي صلى الـلـه عليه وسلم يـأمر الاغنيـاء باتّخاذ الغَنَم والفقراء باتخاذ الدَجاج وقال أبو بكر رضى الـلـه عنه اني لأُبْغِـض أهلَ بَيْتٍ يُنْفِقُون نَفَقَة الايّامِ في اليَوْم الواحد وكان أبـو الأسْـود الـدُؤلي يقـول لولدِه اذا بَسَط الـلـه لك الرِزْق فابْسُطْ واذا قَبَضَ فاقْبِضْ وعبتموني حين قلتُ فَضْل الغِنَى على القوت انما هو كفضل الآلَة تكون في البَيْـت اذا احْتـيج إليهـا اسْتُعْمِلَت وان استغنى عنها كانت عُدّة وقد قال الحُصَين بن المُنْـذِر وَدِدْتُ أنّ لي مثل أُحُدٍ ذَهَبًا لا أنْتَفع منه بشئٍ قيل له فـما كنـتَ تَـصْنَع بـه قـال لكـثرة من كان يَخْـدُمُني عليـه لانّ المـالَ مَخْـدوم وقـد قـال بعـض الحكـماء عليـك بطلب الغِنَى فلو لم يكن فيه الا أنه عِزٌّ في قلبك وذُلٌّ في قلـب عـدوّك لَكـانَ الحظّ فيه جسيما والنَفْع فيه عظيما ولَسْنا نَدَع سيرَةَ الانبياء وتعلـيم الخُلَفـاء وتأديـبَ الحكـماء لأصْحاب الـلــهو ولَـسْتُم عـليَّ تَـردُّون ولا رأيـي تُفَنِّـدون

فَقَدِّموا النَظَر قبل العَزْم وأدركوا مالكم قبل أن تُدْرِكوا مآلكم والسلام عليكم

وكتب الجاحظ إلى بعض اخوانه في ذَمَّ الزمان

بسم الـلـه الرحمن الرحيم

حفِظَك الـلـه حِفْظَ مَنْ وفَّقه للقَناعة واستعمله بالطاعة كتبـتُ إليـك وحـالي حالُ مَن كَثُفَتْ غُمُومه وأشْكَلَتْ عليه أُموره واشْتَبَه عليه حالُ دَهْره ومَخْـرَج أمْره وقَلّ عنده مَن يثِق بوفَائه أو يَحْمَد مَغَبّة إِخائه لاسْـتِحالة زماننـا وفـساد أيامنا ودَوْلة أنْذَالِنا وقِدَمًا كان مَن قَدَّمَ الحياءَ عـلى نفـسه وحكَّـم الـصدْق في قوله وآثر الحقّ في أموره ونبذ المُشْتَبِهات عليه مـن شـؤونه تَمَّـتْ لـه الـسَلامة وفازَ بوُفور حَظّ العافية وحَمِد مَغبّـة مكـروه العاقبـة فَنَظَرْنـا اذْ حـال عنـدنا حكْمُه وتَحَوَّلَتْ دَوْلَتُه فوجَدْنا الحياءَ مُتَّصِلا بالحِرْمان والصِدْق آفةً على المـال والقصدَ في الطَلَب بِتَرْك استعمال القِحَـة وإِخـلاق العِـرْض مـن طريـق التوكُّـل دليلا على سَخَافة الرأي اذ صارَت الحُظْـوة الباسـقة والنِعمـة الـسابغة في لُـؤْم المَشيئة وسَناءُ الرزق من جهة محاشاة الرَخاء ومُلَابَسة مَعَرّة العـار ثـم نظرنـا في تَعَقُّب المُتَعَقّب لقولنا والكاشِرَ لِحُجَّتنَا فأقَمنا له عَلَمًا واضِحا وشاهدا قائِمـا ومَنارا بَيِّنا اذ وَجَدْنا مَن فيه السُّفُوليّة الواضـحة والمَثالِـب الفاضـحة والكَـذِب المُبَرّح والخُلْف المُصَرِّح والجَهالة المُفْرِطـة والركاكـة المُـسْتَخَفّة وضـعْف اليقـين

والاستثبات وسُرْعة الغَضَب والجَراءة قد استكملَ سُرورُه واعْتَدَلَتْ أموره وفاز بالسَهْم الأغْلب والجَظّ الأَوْفَر والقَدْر الرَفيع والجَواز الطائع والأمر النافِذ ان زَلَّ قيل حَكَم وان أخطأ قيل أصابَ وان هَذَى في كلامه وهو يَقْظان قيل رُؤْيا صادِقة من نَسَمَةٍ مُباركة فهذه حُجَّتُنا والله على مَن زَعَم أنّ الجَهْل يَخْفِض وأنّ النُّوكَ يُرْدِي وأنّ الكَذِب يَضُرّ وأنّ الخُلْفَ يُزْري ثم نظرنا في الوفاء والامانة والنُبْل والبَلاغة وحُسن المَذْهَب وكمال المُرُوءة وسَعَة الصَدْر وقِلَّة الغَضَب وكَرَم الطَبيعة والفائق في سَعة عِلْمه والحاكِم على نفسه والغالِب لِهَواه فوجَدْنا فلانَ ابنَ فلان ثم وجدنا الومان لم يُنْصِفْه من حَقّه ولا قَام له بوظائف فَرْضه ووجدنا فضائلَه القائِمة له قاعدةً به فهذا دليلُ أن الطَّلاح أجْدَى من الصَلاح وأن الفضل قد مضى زمانُه وعَفَتْ آثارُه وصارت الدائرة عليه كما كانت الدائرة على ضدّهِ ووجدنا العقلَ يَشْقَى به قرينُه كما أن الجهل والحُمْق يَحْظَى به خَدِينه ووجدنا الشِّعْر ناطقا على الزمان ومُعْربا عن الايام حيث يقول

تَحامَقْ مع الحمقَى اذا ما لَقِيتَهُم ولاقِهُم بالجَهْل فِعْلَ أخِي الجَهْل
وخَلِّطْ اذا لاَقيْتَ يومًا مُخَلِّطا يُخَلِّط في قولٍ صحيح وفي هَزْل
فاني رأيتُ المَرْءَ يَشْقَى بعَقْلِه كما كان قبلَ اليومِ يَسْعَدُ بالعقل

فَبَقيتُ أبْقاك الله مثلَ مَن أصبحَ على أو فاز ومن النُقْلة على جِهاز لا يسوغ له نِعْمة ولا تَطْعَم عَيْنُه غَمْضة في أهاويلَ يُباكِرُه مكروهُها ويُرَاوِحُه عَقَائبُها فلو أنّ الدُّعاء أجيبَ والتَضرُّع سُمِع لكانت العِدَة العُظْمَى والرَجْفَة الكبرى فليتَ أي أخي ما أسْتَبْطئُه من النَفْخَة ومن فَجْأة

الصَيْحة قُضِيَ فحانَ وأُذِن به فكان فوالـلـه ما عُذِّبَتْ أَمَّةٌ بِرَجْفـة ولا ريـح ولا سَخْطَة عذابَ عيني برُؤْية المُغَايَظَة المُدْمِنة والاخبار المُهْلِكة كأنّ الزمانَ يُوَكِّـل بعذابي أو يُنْصَب بأيامي فما عَيْش مَن لا يُسَرّ بأخٍ شَـفيق ولا يَـصْطَبِح في أول نهاره الا برؤية من يكرهُه ويَغُمّه بطلعته فقد طالتْ الغمة وواظبـت الكُرْبـة وادْلَهَمَّت الظُلْمة وخَمَدَ السِراج وتَبَاطأ الانْفراج

وكتب الجاحظ إلى محمد بن عبد الملك يستعطفه

بسم الـلـه الرحمن الرحيم

أعاذَك الـلـه من سوءِ الغَضَب وعَصَمَك من سرف الهوى وصَرَف ما أعارَك مـن القُوّة إلى حُبّ الانصاف ورَجّح في قلبك ايثار الأناة فقد خفْتُ أيّـدك الـلــه أن أكونَ عندك من المَنْسوبين إلى نَزَق السُفَهاء ومُجانَبة سُبُل الحُكماء وبعد فقـد قال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت

وانّ امْـرَأً أمْـسَى وأصْـبَحَ سـالما   مــن النـاس الا مــا جَنَــى لَـسَعيد

وقال الآخر

ومَــن دَعــا النــاسَ إلى ذَمّــه   ذَمُّـــوه بـــالحقّ وبالباطـــل

فان كنُت اجْتَرَأْت عليك أصْلَحَك الـلـه فلم أجْـتَرِئْ الا لأنّ دوامَ تَغَافُلِـك عَنّـي شَـبيهٌ بـالاهمال الـذي يـورِثُ الاغْفـال والعفـوُ المُتَتـابع يُـؤْمِن مـن المكافـأة

ولذلك قال عُيَيْنَه بن حصْن بن حُذَيفة لعُثمان رحمه الله عُمَرٌ كان خَيْرًا لي منك أرْهَبَني فاتَّقَاني وأعطاني فأغناني فان كنتَ لا تَهَبُ عِقابي أيّدك الله لخدْمةٍ فَهَبْه لأياديك عندي فانّ النعمةَ تَشْفَع في النِقْمة والا تفعلْ ذلك لذلك فَعُد إلى حُسْن العادة والا فافعلْ ذلك لحُسْن الأُحْدوثة والا فَأْتِ ما أنتَ أهلُه من العفو دون ما أنا أهلُه من استحقاق العُقُوبة فسبحانَ مَن جعلك تَعْفُو عن المُتَعَمِّد وتتجافَى عن عِقاب المُصِرّ حتى اذا صِرْتَ إلى مَن هَفَوْتُه ذِكْر وذَنْبُه نِسْيان ومَن لا يَعرِف السكْر الا لك والانعامَ الا منك هَجَمْتَ عليه بالعُقُوبة واعَلمْ أيّدك الله أنّ شَيْنَ غضبِك عَلَيّ كَزَيْن صَفْحك عني وأنّ مَوْتَ ذِكْري مع انقطاع سَبَبي منك كَحياةِ ذكرِك مع اتّصال سَبَبي بك واعلم أنّ لك فطْنَةَ عَليم وغَفْلَةَ كريم والسلام

وصف الجاحظ لقُريش وبني هاشم

قد عَلِم الناسُ كيفَ كَرَم قُرَيش وسَخاؤها وكيف عُقولها ودَهاؤها وكيف رأيُها وذكاؤها وكيف سِياسَتُها وتدبيرها وكيف ايْجازها وتَحْسيرها وكيف رَجاحة أحْلامها اذا خَفّ الحَليم وحِدّة أذهانها اذا كلّ الحديد وكيف صَبْرُها عند اللقاء وثباتُها في اللَّأْواء وكيف وفاؤها اذا استُحْسن الغَدْر وكيف جودُها اذا حُبَّ المالُ وكيف ذِكْرُها لأحاديث غَدٍ وقلّة صُدودِها عن جهة القَصْد وكيف إقْرارُها بالحقّ وصَبْرُها عليه وكيف وصْفُها له ودُعاؤها إليه وكيف سَماحَة أخلاقها وصَوْنُها لأعْراقها

وكيف وصَلوا قـديمَهم بحَـديثهم وطَـريفَهم بتَليـدهم وكيـف أشْبَه عَلانِيَـتَهم سِرُّهم وقولَهم فِعلُهم وهل سلامة صدر أحدهم الا على قدر بُعد غَديره وهل غَفْلَتُه الا في وزن صِدْق ظَنُّه الا كَيَقين غيره

دُرَّتا زَيْن لقُرَّتَيْ عَيْن

حكى عن محمد بن عبد الرحمن الهاشمي قال كانت عَتَّابة أُمُّ جعفر بن يحيى تَزُور أُمّي وكانت لبيبة من النساء حازمة فصيحة بَرْزة يُعْجِبنُي أن أجِدَها عند أميّ فأستَكْثِرِ من حديثها فقلت لها يوما يا أم جعفر انّ بعـضَ النـاس يفـضِّل جعفرا على الفضل على جعفر فأخبريني فقالت مازلنـا نعـرف الفـضل للفـضل فقلت ان أكثر الناس على خلاف هذا فقالت هاءنا أحَدِّثك واقْـضِ أنـتَ وذلـك الذي أردتُ منها فقالت كانا يوما يلعَبان في داري فدخل أبوهما فدعا بالغِـذاء وأحْضَرَها فَطَعِمَا معه ثم آنَسَهما بحديثه ثم قال لهما أتلعبان بالشِّطْرَنْج فقال جعفر وكان أجْرَأهما نعم قال فهل لاعَبْتَ أخاك بها قال جعفر لا قـال فالْعَبـا بها بينَ يَدَيّ لأرَى لِمَن الغَلَب فقال جعفـر نعـم وكـان الفـضل أبْـصَرَ منـه بهـا فجئ بالشطرنج فصُفَّت بينهما وأقبلَ عليها جعفر وأعْرَض عنهـا الفـضل فقـال له أبوه مالَكَ لا تُلاعِب أخاك فقال لا أحِبّ ذلك فقال جعفر انه يَرَى أنه أعلمُ بها فيأنَفُ من مُلاعَبَتي وأنا أُلاعِبُه مُخَـاطَرَةً فقـال الفـضل لا أفعـل فقـال أبـوه لاعِبْه وأنا معك فقال جعفر رضيتُ وأبى الفضل واستعفَى أباهُ فأعْفاه ثم قالـت

لي قد حَدَّثْتُك فاقْضِ فقلت قد قضَيْتُ للفضل بالفضل علي أخيه فقالت لو عَلْمِتُ أنك لا تُحْسِن القضاء لَمَا حَكَّمْتُك أفلا ترى أنّ جعفرا قد سَقَط أربع سَقَطات تَنَزَّه الفضل عنهنّ فَسَقَطَ حين اعترف على نفسه بانه يَلْعب بالشِّطْرَنج وكان أبوه صاحبَ جِدٍّ وسقط في طلب المُقامَرة واظهار الحرْص على مال أخيه والرابعة قاصِمة الظَهْر حين قال أبوه لأخيه لاعِبْه وأنا معك فقال أخوه لا وقال هو نعم فناصَبَ صَفًّا فيه أبوه وأخوه فقلتُ أحسنت والله وانِك لأقْضَى من الشَّعْبيّ ثم قلت لها عَزَمْتُ عليك أخبريني هل خَفِى مِثلُ هذا على جعفر وقد فَطَن له أخوه فقالت لولا العزيمة لَما أخْبَرْتُك انّ أباهُما لمّا خرج قلت للفضل خاليةً به ما مَنَعَك من ادْخال السُرور على أبيك بمُلاعبة أخيك فقال أمْرانِ أحدُهما لو أني لاعَبْتُه لَغلَبْتُه فأحْجَلْتُه والثاني قول أبي لاعِبْه وأنا معك فما يَسُرُّني أن يكون أبي معي على أخي ثم خَلَوْت بجعفر فقلت له يسأل أبوك عن اللعِب بالشطرنج فيصمت أخوك وتعترف وأبوكَ صاحِب جدّ فقال اني سَمِعْت أبي يقول نِعْم لَهْوُ البال المَكْدُود وقد عَلِم ما نَلْقاه من كدّ التعلُّم والتأدُّب ولم آمَن أن يكون بَلَغَه أنّا نَلْعَب بها ولا يُبادر فيُنْكر فبادرْت بالاقرار إشْفاقا على نفسي وعليه وقلتُ ان كان تَوْبيخ فَدَيْتُه من المُواجَهة به فقلتُ له يا بنيّ فلِمَ تقول أُلاعِبُه مُخَاطرةً كأنك تُقَامر أخاك وتَستكثِر مالَه فقال كَلّا ولكنه يَسْتحِسن الدَواة التي وهَبَها لي أميرُ المؤمنين فعَرضْتُها عليه فأبَى قبولَها وطَمِعْت أن يُلاعِبَني فأُخاطِره عليها وهو يَغْلِبني فتَطيب نفسُه بأخْذِها فقلت لها يا أُمّاه ما كانت هذه الدواة فقالت انّ جعفرا دخل على أمير المؤمنين فرأى بين يديه دواة من العقيق الاحمر مُحَلّاة بالياقوت

الازرق والاصفر فرآه يَنْظُر إليها فَوَهَبَها له فقلت إِيِه فقالت ثم قلت لجعفر هَبْكَ اعتذَرْت بما سمعتُ فما عُذْرُك من الرِضا بمُناصَبَة أبيك حين قال لاعِبْه وأنا معك فقلتَ أنتَ نَعَمْ وقال هو لا فقال عَرَفْت أنه غالِبُني ولو فَتَر لَعِبُه لتغالبتُ له مع مالَه من الشَّرَف والسرور بتحيُّز أبيه إليه قال محمد بن عبد الرحمن فقلت بَخٍ بَخٍ هذه والله السيادة ثم قلت لها يا أمّاه أكان منهما مَن بَلَغَ الحُلُم فقالت يا بنىّ أين يُذْهَب بك أُخْبِرُك عن صَبِيَّيْن يَلْعَبان فتقول أكان منهما من بلغ الحلم لقد كنا نَنْهَي الصبيّ اذا بَلَغ العَشْر وحَضَر من يُسْتَحَى منه أن يَبْتَسم

دُرَّتا زَيْن لقُرَّتَيْ عَيْن

يحكي أنّ الفضل بنَ سهل أرسل وَهْب بن سعيد إلى فارِس مُحاسِبًا لِعُمّالها فَبَلَغه أنه خانَ فَعَزله وسَخِط عليه وبعث به إلى أخيه الحَسَن ابن سهل لينظر في أمره فأحَسَ وهب بن سعيد بالشرِّ فأوصى إلى رجل من أهل واسِطَ ثِقَةٍ مُوسِرٍ يَتَحَرَّف بالجِزارة ويَتَّجر في الجلود فأعطاه مالا عظيما وضمّ إليه ولَدَيْه الحسنَ وسليمان وهما صغيران ثم توجّه وهب إلى بَغْداد فغَرِق وهَلَك غَرَقًا فلما بلغ ذلك الوصيَّ أخبر به الغلامين وقال اختارا حِرفةً تَحْتَرِفان بها وان اخترتُما الجِزارةَ وبيعَ الجلود بصَّرْتكما بذلك ولكما عندي مالٌ سأشتري لكما به ضِياعا تَسْتَظهِران بها على أحْداث الزمان فقالا مالَنا ولِحَرف العوامّ وصِناعاتِهم وانما حرفة أمثالِنا جَزْر

أعناق الرجال في القراطيس فسَمِع الجزار كلاما لا عَهْد له بسَماع مِثلِه فَتَهيَّبَهُما الوصيّ ورأى بَزًا ليس من سوقه فضمَّ إليهما مَن يؤدِبُهما ويُصْلح من شأنِهما فلما اشتدّا قالا لوصِيِّهما انّ واسِطَ لا تَفي لنا بما نَرومُه من العلْم ونُؤَمِّلُه من الرّآسة فقال لهما الوصي انّ مِثلَكما لا يُوَلَّى عليه فَمُراني بأمْرِكما أَطِعْ فقالا له جَهِّزْنا إلى مُعْتَرَض العلماء ومستقرّ الخلفاء فجهزَهما إلى بَغْداد ودَفَع إليهما من المال ما أحَبّاه وذَكَر الصُولِي أنه دفع إليهما مالَهما كلَّه فلما صارا إلى بغداد نالا ما أمَّلا من الرآسة والعلم ثم كتبنا معًا في دار المأمون في حال غُلُومِيَّتهِما وصِغَر سِنِّهما ورأى المأمون يوما أحدَهما في الدار يمشي فقال له من أنتَ يا غلام فقال أنا الناشئ في دولِتك المُغْتَذي بِنعمتك المكَّرم بخدْمتك عبدُك وابن عبدك سليمان ابن وهب فقال المأمون أحسنتَ يا غلام ثم ان المأمون دعا سليمان ابن وهب وهو غلام فأمَرَه أن يكتُب بين يديه كتابا لم يبلُغْ قدرُه أن يكتُبَ مِثَله فحرّره على ما أراد المأمون على أحْسنِ خطٍّ وأصح ضَبْطٍ وأسهل لفظٍ وأجْود معنًى فسُرَّ به المأمون سرورا ظهر عليه فلما خرج سليمان كتب إليه بعض اخوان أبيه يقول

أبوك كَلَّفَك الشأو البعيد كما ... قِدْمًا تَكَلَّفَه وَهْبٌ أبو حَسَنِ

فلستَ تُحْمد ان أدركتَ غايتَه ... ولستَ تُعْذَر مسبوقا فلا تَهِنِ

ولم تزل أمورُهما تَنْمي حتى نالا الوِزارةَ وحكى أنّ ابن يزيد بن محمد المُهَلَّبي وفَدَ على سليمان بن وهب حين اسْتُوِز فسُرَّ به وعَرَف له فضلَه وأجْلَسَه إلى جانبه فأنشده قولَه

وَهَبْـتم لنـا يـا آل وَهْـبٍ مـودّةً فأبقـتْ لنـا مـالًا ومجـدًا يُؤَثَّـل
فمـن كـان للآثـامِ والـذُّلّ أرضُـه فأرضُـكُمُ للاجْـر والعِـزّ مَنْـزِل
رأى الناسُ فوقَ المجد مقدارَ فضلكم فقد سألوكم فوق ما كان يُسئل
يُقَصِّر عـن مَـسعاتِكم كـلُّ آخـرٍ ومـا فـاتَكم ممـن تقـدَّمَ أوَّل
بلغـتُ الـذي قـد كنـتُ آمُلُـه لكـم وان كنـت لم أبلُـغ بكـم مـا أُؤَمِّـل

فقطَع عليه سليمانُ انشادَه وقال لا تقل ذلك أصلَحَك اللـه فانك عندي كما أنشدني عِمارةُ بنُ عَقيل بن بلال بن جَرير حيث قال

أُقَهْقِـهُ مـسرورا اذا أنـتَ سـالمٌ وأبـكي مـن الاشـواقِ حـين تغيـب

فقال له المهَلَّبي فليَسْمع الوزير من آخر الشِعر ما يَحْقِر أوّله فقال هات فانشأ يقول

ومـا ليَ حـقٌّ واجـبٌ غيرأنني بجـودِكم في حـاجتي أتوسَّـل
وانكـمُ أفـضلتُم وبـرزتُم وقـد يَـسْتَتِمُّ النِعمـةَ المتفـضل
وأَوْليـتمُ فعـلا جمـيلا مقـدَّما فعـودوا فـانّ العـود بـالحرِّ أجمـلُ
فكم مُلْحِفٍ قد نـال مـارام مـنكمُ ويمنعُنـا عـن مِثـل ذاك التجمُّـلُ
وعوّدتمونـا قبـلَ أن نـسألَ الغِنَـى ولا وجـه للمعـروف والوجـهُ يُبْـذَلُ

فقال سليمان واللـه لا تَبْرَح حتى أقضي حوائجَك كائنةً ما كانت ولو لم أُفدْ مما أنالَني أمير المؤمنين الا شكرُك لرأيتُ بذلك جنابي مُمْرِعا وزَرْعي مُرْتِعا ثم وقع له في رِقاع كثيرة كانت معه بجميع ما أرادَ

وقال أبو الطّيب يمدح أبا شُجاع فاتِكًا

وكان يلقب بالمجنون

لا خيـلَ عنـدك تُهـديها ولا مـالُ ... فلْيُسعِد النُطْـقُ ان لم تُـسعِد الحـالُ

واجْـز الامـيرَ الـذي نُعـماه فاجئـةٌ ... بغـير قـولٍ ونُعْمَـى النـاسِ أقـوالُ

فربمـا جَـزَت الاحـسانَ مُولِيَـه ... خَريـدةٌ مـن عَـذَاري الحَـيّ مِكْـسالُ

وان تكـن مُحْكَـماتُ الـشكل تمنعنـي ... ظهـورَ جَـرْي فَـلي فـيهن تَـصْهال

ومـا شَـكَرْتُ لأنّ المـالَ فَرَّحَنـي ... سِـيانِ عنـديَ اكثـارٌ وإقـلال

لكـن رأيـتُ قبيحًـا أن يُجادَلَنـا ... وأننـا بقـضاء الحـق بُخَّـال

فكنـتُ مُنْبِـتَ رَوْضِ الحَـزْن بـاكَره ... غيـثُ بغـير سِـباخ الارضِ هَطّـال

غيـثٌ يُبَـيّن للنُّظّـار موقِعُـه ... أنّ الغُيـوثَ بمـا تأتيـه جُهّـال

لا يُـدْرك المجـدَ الّا سَـيّد فَطِـنٌ ... لِـمَا يَـشُقُّ عـلى الـسادات فَعّـال

لا وارِثٌ جَهِلَـت يُمْنـاه مـا وهبـتْ ... ولا كَـسوبٌ بغـير الـسيف سَـئّال

قـال الزمـانُ لـه قـولا فأفهَمـه ... أن الزمـان عـلى الامـساك عَـذَّال

تـدري القنـاةُ اذا اهتـزّت بِراحَتـه ... أنّ الـشَّقِيّ بهـا خيـلٌ وأبطـال

كفاتـكٍ ودخـولُ الكـاف مَنْقَـصَةٌ ... كالـشمس قُلْـتُ ومـا للـشمس أمثال

القائـدُ الأسْـدَ غَـذَّتْها بَرَاثِنُـه ... بمثْلِهـا مـن عِـداهُ وهـى أشْـبال

القاتِـل الـسيفَ في جـسم القتيـل بـه ... وللـسُّيوف كـما للنـاس آجـالُ

تَغـير عنـه عـلى الغـارات هَيْبَتُـه ... شَرِبـوا ومـا لَـهُ بأقـاصي الـبَرّ أهْـمال

لـه مـن الـوَحْش مـا اختـارت أسِـنَّتُه ... عَـيْرٌ وهَيْـقٌ وخَنْـساءٌ وذَيّـال

تُمْـسِي الـضُّيُوف مُـشَهّاةً بَعقْوتـه ... كـأن أوقاتَهـا في الطِيـب آصـال

لـو اشـتهتْ لَحْـمَ قارِيهـا لَبَادَرَهـا خـزَاذِلٌ منـه في الـشِيزَى وأوْصـال

لا يعــرف الــرُّزْءَ في مـالٍ ولا ولـدٍ الا اذا احتفــز الــضيفانَ تَرْحـال

يُـرْوِي صَـدَى الارضِ مِـن فَـضْلات ما مَحْـضُ اللَّقـاح وصَـافِي اللَّـون سَلْـسال

تَفْـرِي صَـوَارِمُه الـساعِات عَـبْطَ دَم كأنمـا الـسَاعُ نُـزّال وقُفّـال

تجـري النفـوس حوالَيْـه مُخَلَّطـة منهـا عُـداةٌ وأغنـامُ وآبـالُ

لا يُحْـرِمِ البعـدُ أهـلَ البعـد نائلَـه وغــيرُ عــاجرة عنـه الأُطَيْفَـال

أمـضَى الفـريقين في أقرانِـه ظُبَـةً والبـيضُ هادِيـةٌ والـسُّمْر ضُـلّال

يُريـك مَخْـبَرُهُ أضـعافَ مَنْظَـرِه بـين الرجـال وفيهـا المـاء والآل

وقـد يُلَقِّبُـه المجنـونَ حاسِـدُه اذا اخـتلطْنَ وبعـضُ العقـل عُقّـال

يَرْمـي بهـا الجـيشَ لابُـدُّ لـهُ ولهـا مـن شَـقّة ولـو آنّ الجـيشَ أجبـال

اذا العـدَي نَـشِبَت فـيهم مَخالِبُـه لم يَجْتَمـع لهُـم حِلـمٌ ورِيبـال

يَـرُوعُهم منـه دهـرٌ صَرْفـه أبـدًا مُجَـاهِرٌ وصُروف الـدهر تَغْتـال

أنالـه الـشرفَ الأعـلى تَقَدُّمُـه فـما الـذي بِتَـوَقّى مـا أتَى نـالُوا

اذا المُلـوك تحلّـت كـان حِلْيَتـه مُهَنَّـدٌ وأصَـمُّ الكعـب عَـسَّال

أبـو شـجاع أبـو الـشَّجْعان قاطبـةً هَـوْل تَمَتْـه مـن الهَيْجـاء أهـوال

تَمَلّـكَ الحمـد حتـى مـا لمُفْتَخِـرٍ في الحمـد حـاءٌ ولا مـيمٌ ولا دال

عليـه منـه سرابيـلٌ مـضاعَفَةٌ وقـد كفـاه مـن المـاذي سِرِبْـال

وكيـف أسْتُرُ مـا أولَيْـتَ مـن حَـسَنٍ وقـد غمـرت نَـوَالا أيُّهـا النَّـال

لَطَّفْـتَ رأيَـك في بِـرّي وتكرمنـي انّ الكـريم عـلى العَلْيـاء يَحْتـال

حتـى غـدوتَ وللاخبـار تَجْـوال وللكواكـب في كفّيـك آمـال

وقـد أطـالَ ثَنَـائي طُـولُ لابِـسِه انّ الثنـاء عـلى التِنْبـال تِنْبـال

ان كنـتَ تكْـبُرُ أن تختـال في بَـشَرٍ		فـانّ قــدرك في الأقــدار يختـــال
كـــأن نفـــسك لا ترْضـــاك صـــاحِبَها		الا وأنـــت عـــلى المفـــضال مِفـــضال
ولا تَعُـــدّك صَـــوّانا لمهجتِهـــا		الا وأنـــت لهـــا في الـــرَّوْع بَـــذّال
لـولا المَـشَقّة سـاد النـاسُ كلُّهـم		الجـــودُ يُفْقِـــر والإقْـــدام قَتّـــال
وانمـــا يَبْلـــغ الانـــسانُ طاقَتَـــه		مـــا كُـــلُّ ماشِـــيَةٍ بالرّجـــل شِـــمْلان
انّـــا لفـــي زمـــن تـــركُ القبـــيح بـــه		مـــن أكـــثر النـــاسِ احـــسان واجـــمال
ذِكْـرُ الفتـى عُمْـرُه الثـاني وحاجتُـه		مـــا قاتَـــهُ وفـــضُولُ العَـــيش أشـــغال

قال أبو الطيب المتنبي يرثي أبا شجاع فاتكا

الحُـــزْن يُقْلِـــق والتجمّـــل يَـــرْدَع		والـــدمع بيـــنهُما عَـــصِيٌّ طيِّـــع
يتنازَعـــانِ دُمـــوعَ عـــين مُـــسَهَّدٍ		هـــذا يَجـــئ بهـــا وهـــذا يَرْجِـــع
النـــوم بعـــد أبي شُـــجاع نـــافِرٌ		والليـــلُ مُعْـــيٍ والكواكـــب طُلَّـــع
اني لأجْـــبُن مـــن فِـــراقِ أحبتـــي		وتُحِـــسّ نفـــسي بـــالحِمام فأشـــجُع
ويزيـــدني غَـــضَب الاعـــادي قـــسوةً		ويُلِّـــم بي عَتْـــب الـــصديق فـــأجزَع
تَـــصْفو الحيـــاةُ لجاهـــلٍ أو غافـــلٍ		عـــما مـــضى منهـــا ومـــا يُتَوقَّـــع
ولِمَـــنْ يُغـــالِط في الحقـــائِق نَفْـــسَه		ويَـــسومُها طَلَـــبَ المُحَـــال فَتَطْمَـــع
ايـــنَ الـــذي الهَرَمـــانِ مـــن بُنْيانِـــه		مـــا قومُـــه مـــا يومُـــه مـــا المَـــصْرِع
تَتَخلَّـــف الآثـــار عـــن أصـــحابها		حِينًـــا ويُـــدرِكُها الفنـــاء فتَتْبَـــع
لم يـــرضَ قلـــبَ أبي شـــجاع مَبْلَـــغٌ		قبـــلَ المـــمات ولم يَـــسَعْه موضِـــع
كُنّـــا نَظُـــنّ دِيـــارَه مملـــوءةً		ذَهَبًـــا فـــماتَ وكـــلُّ دارٍ بَلْقَـــع

واذا المكـــارِم والـــصَّوارِم والقَنـــا وبَنَـــاتُ أعْـــوَج كـــلُّ شـــئ يَجْمَـــع

المجـــدُ أخـــسرُ والمكـــارم صَـــفْقَةً مـــن أن يَعـــيش بهـــا الكـــريم الأرْوَع

والنـــاسُ أنـــزلُ في زمانِـــك مَنـــزِلا مـــن أن تُعايِـــشَهم وقـــدرُك أرفـــع

بَـــرِّد حَـــشاىَ ان اســـتطعتَ بلفظـــةٍ فلقـــد تَـــضُرّ اذا تـــشاء وتَنْفـــع

مـــا كـــان منـــك إلى خليـــل قبلَهـــا مـــا يُـــسْتَرَاب بـــه ولا مـــا يُوجِـــع

ولقـــد أراك ومـــا تُلـــمّ مُلِمّـــةٌ الا نفاهـــا عنـــك قلـــبٌ

ويَـــدٍ كـــأن قِتالَهـــا ونوالَهـــا فـــرضٌ يَحُـــقّ عليـــك وهـــو تَـــبَرُّع

يـــا مَـــن يُبَـــدِّل كـــل يـــوم حُلَّـــةً أنَّي رَضـــيتَ بحُلّـــةٍ لا تُنْـــزَع

مـــا زِلْـــتَ تَخْلَعُهـــا عـــلى مَـــن شـــاءها حتـــى لبـــسْتَ اليـــومَ مـــا لا تَخْلَـــع

مـــا زلـــت تَـــدْفَع كـــل أمـــرٍ فـــادحٍ حتـــى أتى الامـــرُ الـــذي لا يُـــدْفَع

فَظَلِلْـــتَ تنظـــر لا رِماحُـــكَ شُرَّع فـــيما عَـــراك ولا سُـــيوفُك قُطَّـــع

بـــأبي الوحيـــدَ وجيـــشه متكـــاثِرٌ يَـــبْكِي ومِـــن شَرّ الـــسِّلاح الأَدْمُـــع

واذا حَـــصَلْتَ مـــن الـــسلاح عـــلى البُكـــا فَحَـــشاك رُعْـــت بـــه وخَـــدَّك تَفْـــرَع

وصَـــلَتْ إليـــك يَـــدٌ سَـــواءٌ عنـــدها ألْبَـــازُ الاشْـــهَبُ والغـــرابُ الأَبْقَـــع

مَـــن للمحافِـــل والجحافـــل والـــسُّرَى فَقَـــدَتْ بفقـــدك نَـــيِّرا لا يَطْلُـــع

ومَـــن اتخـــذتَ عـــلى الـــضُّيوف خليفـــةً ضـــاعوا ومثْلُـــك لا يَكـــاد

قُبْحًـــا لوجهـــك يـــا زمـــانُ فانـــه وجـــهٌ لـــه مـــن كـــل لُـــؤْمٍ بُرْقُـــع

أيَمُـــوت مثـــلُ أبي شُـــجاعٍ فاتِـــكٍ ويَعـــيش حاسِـــدُه الخَـــصِيُّ الأَوْكَـــع

أيـــدٍ مُقَطَّعَـــةٌ حـــوالَيْ رأسِـــه وفَقَّـــا يَـــصِيح بهـــا ألَا مَـــن يَـــصْفع

أبقيـــتَ أكْـــذَبَ كـــاذِبٍ أبقيتَـــه وأخـــذتَ أصْـــدَقَ مَـــن يقـــول ويَـــسْمع

وتركـــت أنْـــتَنَ ريحَـــةٍ مذمومـــة وســـلبْتَ أطيـــبَ ريحـــةٍ تَتَـــضَوّع

فـــاليومَ قَـــرّ لكـــل وحْـــشٍ نـــافرٍ دَمُـــه وكـــان كأنـــه يتطلّـــع

وتصالَحَتْ ثَمَرُ السِيَاط وخَيْلُه … وأوَتْ إليها سُوقُها والأذْرُع

وعَفا الطِراد فلا سِنانٌ راعِفٌ … فوق القَناة ولا حُسامٌ يلمع

ولّى وكلُّ مُخالِمٍ ومُنادِمٍ … بعد اللزومِ مُشَيِّع ومُوَدِّع

مَن كان فيه لكل قومٍ ملجأ … ولسيفه في كل قومٍ مَرْتَع

إن حلَّ في فُرْسٍ ففيها رَبُّها … كِسْرَى تَذِلّ له الرِقابُ وتخضع

أو حَلّ في رومٍ ففيها قَيْصَرٌ … أو حل في عُرْبٍ ففيها تُبَّع

قد كان أسرعَ فارسٍ في طعنةٍ … فرسًا ولكنّ المنِيّة أسرَع

لا قَلَّبَتْ أيدي الفوارس بعدَه … رُمْحا ولا حَمَلَتْ جَوَادا أرْبَعُ

وللمتنبي يمدح سيف الدولة ويَذْكُر بناءَ قلعة الحدَث

على قدر أهل العزم تأتي العزائم … وتأتي على قدر الكرام المكارم

ويَعْظُم في عين الصغير صِغارُها … وتصغُر في عين العظيم العظائم

يُكلف سيفُ الدولة الجيشَ همَّه … وقد عَجَزَت عنه الجُيوش الخضَارِم

ويَطْلُب عند الناس ما عند نفسه … وذلك ما لا تدعيه الضَراغِم

يُفَدِّي أتَمُّ الطَّيرِ عُمْرًا سِلاحَه … نُسُورُ المَلَا أحداثُها والقَشَاعِمُ

وما ضَرّها خَلْقٌ بغير مَخالِب … وقد خُلِقَت أسيافُه والقوائم

هل الحَدَث الحَمراء تَعْرف لَوْنَها … وتَعْلَم أيّ السَّاقِيَين الغَمَائم

سَقَتْها الغَمامُ الغُرُّ قبل نُزوله … فلما دنا منها سَقَتها الجماجم

بنَاها فأعلَى والقَنا تَقْرَع القنا … ومَوْج المَنَايا حولَها مُتلاطِم

وكان بها مثلُ الجُنون فأصبحتْ … ومن جُثَثِ القَتْلى عليها تمائم

طَريدة دَهْر ساقَها فَرَدَدْتَها … على الدِّين بالخَطِّيّ والدهرُ راغم

تُفيت الليالي كلَّ شئ أخذتَه … وهُنّ لِمَا يأخُذْن منك غَوارم

وكيف تُرَجِّي الرُّومُ والرُّوسُ هَدْمَها   وذا الطعنُ آساسٌ لها ودعائم

وقد حاكموها والمَنايا حواكِمٌ   فما مات مظلوم ولا عاش ظالم

أتَوْك يَجُرُّون الحديدَ كأنهم   سَرَوْا بجِيادٍ ما لَهُنَّ قوائم

اذا بَرَقوا لم تُعرَف البيضُ منهمُ   ثِيابُهُمُ مِن مِثلها والعمائم

خميس بشَرْق الارض والغَرْب زَحْفه   وفي أذُن الجوزاء منه زمازِم

تَجَمّع فيه كلُّ لِسْنٍ وأُمّة   فما تُفْهِم الحُدّاثَ الا التراجم

فللّه وقتٌ ذَوَّبَ الغِشَّ نارُه   فلم يَبْقَ الا صارِمٌ أو ضُبارِم

تقطّعَ ما لا يَقْطَع الدِرع والقَنا   وفَرَّ من الابطال مَن لا يُصادِم

وَقَفْتَ وما في المَوْت شَكٌّ لواقِفٍ   كأنك في جَفْن الرَّدَى وهو نائم

تمُرّ بك الابطال كَلْمَى هزِيمةً   ووجهُكَ وضّاح وثَغْرُك باسم

تجاوزتْ مقدار الشجاعة والنُّهَى   إلى قولِ قومٍ أنت بالغيب عالم

ضَمَمْتَ جَناحَيْهِم على القلب ضَمَّةً   تمُوتُ الخَوافِي تحتَها والقوادم

بضَرْب أتى الهاماتِ والنصرُ غائب   وصار إلى اللَّبّات والنصرُ قادم

حَقَرْتَ الرُدَيْنِّيات حتى طرحَتها   وحتى كأنّ السيف للرمح شاتم

ومَن طلبَ الفتحَ الجليل فانما   مفاتيحُه البيضُ الخِفاف الصوارم

نثَرْتَهُمُ فوق الأُحَيْدب نَثْرَةً   كما نُثِرت فوق العَروس الدراهم

تَدُوسُ بك الخيلُ الوُكُور على الذُّرَى   وقد كَثُرَتْ حولَ الوُكُور المَطَاعم

تَظُنّ فِراخُ الفُتْخ أنك زُرْتَها   بأُمّاتِها وهي العِتاق الصَّلادم

اذا زَلِقَتْ مَشَّيْتَها ببطونِها   كما تتمشَّى في الصَعيد الأراقم

أفي كل يوم ذا الدُّمُسْتُق مُقْدِم   قَفاهُ على الإقدامِ للوجه لاثم

أيُنْكِر ريحَ الليث حتى يَذُوقَه   وقد عَرَفَت ريحَ الليوث البهائم

وقد فَجَعَتْه بابْنِه وابن صِهْره   وبالصِّهر حَمْلات الأمير الغواشم

مَضَى يشكُر الاصحابَ في فَوْته الظُّبا   بما شَغَلَتْها هامُهم والمَعَاصم

ويَفْهَم صوتَ المَشْرَفيّة فيهمُ   على أن اصوات السُّيوف أعاجم

يُسَرُّ بما أعطاكَ لا عن جَهالةٍ   ولكنّ مَغْنُوما نَجا منك غانم

لـك الحمـد في الـدُّرِّ الـذي لِيَ لفظُـه فانـــك مُعْطيـــه واني نـــاظم

واني لَتَعْـدو بي عطايـاك في الـوَغَى فـلا أنـا مـذموم ولا أنـت نـادم

عـلى كـل طيّـار إليهـا بِرِجْلِـه اذا وقَعَـت في مَـسْمَعَيْه الغماغـم

ألا أيها السيف الذي لست مُغْمَدًا ولا فيك مُرْتاب ولا منك عاصم

هنيئا لـضرب الهام والمجد والعلا وراجيـك والاسـلام أنـك سـالم

ولِمْ لا يَقِي الرحمنُ حَدّيك ما وَقى وتَفْليقه هام العِدَى بك دايم

بعض حكم المتنبي

ذَلَّ مَـن يَغْـبِطُ الـذليلَ بَعـيْشٍ رُبَّ عـيشٍ أخَـفّ منـه الحِـمام

كـل حِلْـم أتى بغـير اقْتـدار حُجَّـةٌ لاجـئٌ إليهـا اللئـام

مَـن يَهُـنْ يَـسْهُل الهـوان عليـه مـا لجُـرْحٍ بمَيّـتٍ ايـلام

وقال أيضا

أفاضِلُ الناسِ أغراضٌ لِذَا الزَمَن يَخْلو من الهَمّ أخْلَاهُمْ من الفِطَن

وقال أيضا

واذا أتَتْكَ مَذَمّتي من ناقص فهـي الـشهادةُ لي بـأنّيَ كامـل

وقال أيضا

ومن يُنْفِق الساعاتِ في جَمْع مالِه مخافةَ فَقْرٍ فالذي فَعَل الفقر

وقال أيضا

ومن نكَد الدنيا على الحرّ أن يَرَى ... عَـدُوّا لـه مـا مـن صَـدَاقته بُـدّ
وأُكْـبِرُ نفـسي عـن جَـراءٍ بِغيبـةٍ ... وكلُّ اغتيابٍ جُهْدُ مَن لا لـه جُهْد

وقال أيضا

من الحلْم أن تَسْتعِمل الجهلَ دونَـه ... اذا اتَّسعَت في الحلـم طُرْقُ المظالم

وقال أيضا

اذا لم تكـن نفـسُ النَسيب كأصـلِه ... فـماذا الـذي تُغْنـي كِـرامُ المَناصـب

وقال أيضا

والَهــمّ يَخْــتَرِم الجَــسيم نَحافــةً ... ويُــشيب ناصـيةَ الـصّبيّ ويُهْـرِم
ذو العقـل يَـشْقَى في النعـيم بعقلـه ... وأخـو الجَهالـة في الـشَقاوة يَـنْعَم
لا يَـسْلم الـشرف الرفيـع مـن الاذى ... حتـى يُـراق عـلى جوانبـه الـدَمُ
والظُلم من شِيَم النُفوس فـان تجِـدْ ... ذا عِفّــةٍ فَلِعِلّـــةٍ لا يَظلـــم
ومــن البليــة عَــذْلُ مَــن لا يَرْعَــوِي ... عن جهلـه وخِطـاب مـن لا يَفهـم
والـــذُّلُّ يُظهــر في الـــذليل مــودّةً ... وأودّ منـــه لِمَــن يَــوَدّ الأرْقَــم
ومــن العَــداوة مــا يَنالــك نفعُــه ... ومــن الـصَداقة مـا يـضُرُّ ويـؤلِم

وقال أيضا

يــرى الجُبَنَــاءُ أنّ العجــز عقــلٌ ... وتلــك خديعــة الطبــع اللئيــم

وكــلُّ شــجاعةٍ في المــرء تَفْنَــى ... ولا مثــلَ الــشجاعِةِ في حكــيم
وكــم مــن عائــبٍ قــولا صــحيحا ... وآفتُـــه مـــن الفهـــم الـــسقيم

وقال أيضا

والأَسى قبــل فُرْقِــة الــروح عجــز ... والاسى لا يكـــون بعـــد الفـــراق
والغِنَــى في يـــد اللئـــيم قبـــيحٌ ... قَـــدْرَ قُـــبْحِ الكـــريم في الامـــلاق

وقال أيضا

واذا كانـــت النُفـــوس كِبـــارًا ... تَعِبَـــت في مُرادِهـــا الاجـــسام

وقال أيضا

ولــو كــان النِــساء كَمــنْ فَقَــدْنا ... لَفُــضِّلَتِ النــساءُ عــلى الرجــال
ومـا التأنيـث لاسِـم الـشمس عَيْـبٌ ... ولا التـــذكيرُ فجـــرٌ للهـــلال
فــان تفُــق الانــامَ وأنــت مــنهم ... فــانّ المــسك بعــضُ دم الغــزال

وقال أيضا

مَن كان فوقَ محل الـشمس موضِـعُه ... فلــيس يَرْفَعــه شــئٌ ولا يَــضَع
فقــد يُظَــنّ شُــجاعا مَــن بــه خَــرَقٌ ... وقــد يُظَــنّ جبانًــا مَــن بــه زَمَــع
انّ الــسلاحَ جميــعُ النــاس تحملُــه ... وليس كـلُّ ذواتِ المخْلَـب الـسُبع

وقال أيضا

وما الخـوْف الا ما تَخَوّفَـه الفتـى　　　ولا الأمْـن الا مـا رآه الفتـى أمْنـا

وقال أيضا

وحيـدٌ مـن الخِـلّان في كـل بلـدةٍ　　　اذا عظُـم المطلـوبُ قـلّ المـساعِد

بـذا قَـضَت الايـام مـا بـين أهلِهـا　　　مـصائب قـومٍ عنـد قـومٍ فوائـد

وقال أيضا

وفي تَعَـبٍ مَـن يَحْـسُد الـشمسَ ضـوءَها　　　ويَجْهَـد أن يـأتي لهـا بـضريب

وقال أيضا

ومَــن صَـحِب الـدنيا قلـيلا تقلَّبـت　　　عـلى عينـه حتـى يـرى صِـدقَها كِـذْبا

ومَـن تكـن الأُسْـد الـضَواري جُـدُودَه　　　يكـن ليلُـه صُـبحاً ومَطْعَمُـه غَـصْبا

وقال أيضا

أعيــذُها نظَـراتٍ منـكَ صـادِقةٍ　　　أن تَحْـسَب الـشحمَ فـيمن شـحمُه ورَمُ

ومـا انتفـاعُ أخـي الـدنيا بنـاظره　　　اذا اسـتوت عنـده الانـوار والظُّلَـم

اذا رأيــتَ نُيــوبَ الليــث بــارِزةً　　　فــلا تَظُــنَّنَّ أنّ الليــثَ يبتــسِم

وبيْنَنــا لــو رعيــتم ذاك معرفــةٌ　　　انّ المعــارِفَ في أهــل النُّهــى ذمَــم

شرُّ الــبلاد مكــانٌ لا صــديقَ بــه　　　وشر مـا يكـسِبُ الانـسانُ مـا يَـصِم

وشر مــا قَنَـصَتْهُ راحتـي قَـنَصٌ　　　شُــهْب البُــزَاة ســواءٌ فيــه والــرُّخَم

وقال أيضا

لعــلّ عَتْبَــك محمــودٌ عواقبــه وربمــا صَــحَّت الاجــسام بالعِلــل
لانّ حلْمَــــكَ حلْــــمٌ لا تُكَلَّفُــــهُ لـيس التكحُّـلُ في العينـين كالكحـل

وقال أيضا

ولــيس يَــصحُّ في الافهــام شــئٌ اذا احتـــاج النهـــارُ إلى دليـــل

وقال أيضا

ومـا كَمَـدُ الحـسادِ شـئٌ قـصدتُه ولكنــه مَــن يَــزْحَم البحــرَ يَغْــرِق
وإطراقُ طرف العـين لـيس بنـافع اذا كـان طـرفُ القلـب لـيس بمُطْـرِق

وقال أيضا

أيــدري مــا أرابَــك مَــن يُريــب وهــل تَرْقَــى إلى الفَلَــك الخُطــوب

وقال أيضا

ومـــا قَتَـــلَ الاحـــرارَ كـــالعفو عـــنهم ومَـن لـك بـالحر الـذي يَحْفـظ اليَـدا
اذا أنـــتَ أكرمْـــت الكـــريمَ ملكتَـــه وإن أنـــت أكرمـــتَ اللئـــيم تَمَـــرَّدا
ووضْـعُ النَـدى في موضِـع الـسَيف بـالعُلَى مِـضر كُوضْـع الـسيف في موضـع النـدى

وقال أيضا

وأتعب مَـن نـاداك مَـن لا تُجيبـه وأغـيَظ مَـن عـاداك مَـن لا تُـشاكِل

وقال أيضا

على قَدْر أهل العَزْم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

وقال أيضا

وما الحُسْنُ في وجه الفتى شرفا له اذا لم يكن في فعلِه والخلائق

وما بلدُ الانسان غيرُ الموافق ولا أهلُه الأَدْنَوْنَ غيرُ الاصادق

وقال أيضا

واذا لم تجِدْ من الناس كفؤا ذاتُ خِدْر تَمَنَّتِ الموتَ بعلا

واذا الشيخُ قال أفٍّ فما مَلَ حياةً وانما الضعْفَ مَلَا

آلةُ العَيشِ صِحَّةٌ وشبابُ فاذا وَلَّيا عن المرء ولَّى

وقال أيضا

واذا ما خلا الجبان بأرضٍ طلب الطعنَ وحدَه والنِزالا

مَن أراد التماسَ شئ غِلابًا واغْتِصابا لم يلتمِسْه سُؤالا

كلُّ غاد لحاجةٍ يتمنى أن يكون الغضنفرَ الرِّئبْالا

وقال أيضا

الرأيُ قبلَ شَجاعة الشُّجعان هو أولٌ وهى المحلّ الثاني

ولربما طَعَن الفتى أقرانَه بالرأي قبل تطاعُن الأقران

لولا العُقول لكان أدنى ضَيْغَم أدنى إلى شرفٍ من الانسان

وقال أيضا

وعــادَ في طَلَــب المــتروك تارِكُــهُ إنــا لَنَغْفُــل والأيــام في الطلــب
ومــا قَــضَى أحــدٌ منهــا لُبانَتَــه ولا انتهـــــــــــى أرَبٌ الا إلى أرب
ومـــن تَفَكَّــر في النيــا ومُهجتِــه أقامَـه الفكـر بـينَ العجْـز والتعـب

وقال أيضا

اذا كنــتَ تـرضَى أن تعـيش بِذِّلـة فــلا تَــسْتعِدَّنّ الحــسامَ ايمانِيــا
فما يَنْفَع الأُسْدَ الحيـاءُ مـن الطَّوَى ولاتُتَّقَــى حتــى تكــونَ ضــواريا
اذا الجـود لم يُـرْزَق خَلاصـا مـن الاَذى فلا الحمـد مكسوبا ولا المـالُ باقيـا
وللـنفس أخـلاقٌ تَـدُلّ عـلى الفتـى أكــان سَــخاء مــا أتى أم تَــساخِيا

وقال أيضا

فـما الحداثـةُ عـن حلْـمٍ بمانِعـةٍ قد يوجد الحلـم في الـشُّبان والـشِيب

وقال أيضا

ومــا الــصارِم الهنــديّ الا كغــيرِهِ اذا لم يفارِقْــه النِجــاد وغِمــدُه

وقال أيضا

اذا ساءَ فعـلُ المـرء سـاءت ظُنونُـه وصَــدَّق مــا يَعْتــاده مــن تَــوَهُّم
وأحْلُــم عــن خِــلّي وأعلــمُ أنــه متى أجْزِهِ حلما عـلى الجهـل يَنْـدَمِ
لمَــنْ تطلُــب الــدنيا اذا تُــرِد بهــا سرور مُحِــبٍّ أو اســاءَةَ مُجْــرِمِ

وقال أيضا

انمـــا تَــنْجَح المقالـــة في المَـــرْ ء اذا وافَقَـــتْ هـــوًى في الفـــؤاد

وقال أيضا

وكـلُّ امـرئ يُـولِي الجميـل مُحَبَّـبٌ وكـلُّ مكـان يُنْبِـت العِـزّ طَيِّـبُ
ولـو جـازَ أن يَحْـوُوا عُـلاك وهبتَهـا ولكن من الاشـياء مـا لـيس يوهـب

وقال أيضا

مـا كـل مـا يتمنـى المـرءُ يدرِكُـه تجري الرياح بمـا لا تـشتهي الـسفن

وقال أيضا

غـــيرَ أن الفتـــى يُلاقـــي المنايـــا كالحـــات ولا يلاقـــي الهوانـــا
واذا لم يكـــن مـــن المـــوتِ بُـــدُّ فمـــن العجـــز أن يكـــون جَبانـــا
كـل مـا لم يكـن مـن الـصَعْب في الان فُـسِ سَـهْلٌ فيهـا اذا هـو كانـا

وقال أيضا

لـو لا المَـشَقّة سـاد النـاسُ كلُّهـم الجـــودُ يفْقِـــر والإقـــدام قَتّـــال

وقال أيضا

ولم أرَ في عُيـــوب النـــاس شـــيأ كـــنَقْص القـــادرين عـــلى الـــتمام

وقال أيضا

وللسّرِّ مني موضِع لا ينالُه نديمٌ ولا يُفْضي إليه شرابُ
أعَز مكانٍ في الدُّنا ظَهْر سابح وخير جَليسٍ في الزمان كتاب

وقال أيضا

ومَن جَهِلَتْ نفسُه قدرَه رآى غيرُه منه ما لا يرى

وقال أيضا

اين الذي الهَرَمانِ من بنيانِه ما قومُه ما يومُه ما المصرَع
تَتَخَلّف الآثار عن أصحابِها حينًا ويدرِكها الفناء فتتَبع

وقال أيضا

ولم تزل قِلَّة الانصاف قاطِعةً بين الانام ولو كانوا ذوي رَحم

وقال أيضا

ذَريني أنَلْ ما لا يُنَال من العُلَى فَصَعْب العلى في الصعب والسهل في السهل
تُريدينَ لِقْيان المعالي رَخيصةً ولأُبَّ دونَ الشهد من إبَرِ النَحْل

قال أبو فراس الحَمْداني يَصف قتال سيف الدولة

لاهل قِنِّسْرين وقبائل العرب

ولما سار سيفُ الدين سِرْنا ... كما هيَّجْتَ آسادًا غِضابا

أسِنَّته اذا لاقَى طِعانا ... صَوارِمه اذا لاقَى ضِرابا

دعانا والأسنة مُشْرَعات ... فكنّا عند دعوتِه الجوابا

صَنائع فاق صانِعُها ففاقت ... وغَرْسٌ طاب غارِسُه فطابا

وكنَّا كالسِّهامِ اذا أصابت ... مرامِيهَا فراميها أصابا

فلما اشتدّتِ الهيجاء كُنَّا ... أشدّ مَخالبًا وأحَدَّ نابا

وأمنع جانبًا وأعزَّ جارًا ... وأوفَى ذِمَّةً وأقلّ عابا

سقينا بالرماح بني قُشَير ... ببطْن العنتر السُّمَّ المُذابا

وسرنا بالخُيول إلى نُمَيرٍ ... تُجاذِبنُا أعِنَّتها جِذابا

ولما أيْقَنوا أن لا غِياثٌ ... دَعَوْه للمغوثة فاستجابا

وعادَ إلى الجميل لهم فعادوا ... وقد مدّوا لِمَا يهوىَ الرقابا

أمَرَّ عليهمُ خوفا وأمْنًا ... أذاقهمُ به أرْيًا وصابا

أحَلَّهم الجزيرةَ بعد يأس ... أخو حلم اذا ملَكَ العِقابا

ديارهم انْتَزَعناها اقْتِسارا ... وأرضُهُمُ اغتصبناها اغتِصابا

ولو رُمْنا حميناها البوادي ... كما تَحْمي أسودُ الغاب غابا

اذا مـــا أرســـل الأمَـــراء جيـــشا إلى الأعـــداء أرســـلنا الكتابـــا

أنـــا ابـــنُ الـــضاربين الهـــامَ قِـــدْمًا اذا كَـــرِه المُحـــامون الـــضرابا

ألم تعلَـــم ومِثلُـــك قـــال حقـــا بأنيكنـــتُ أثْقَبَهـــا شِـــهابا

كتب أبو بكر الخوارَزْمي إلى تلميد له قد ظهر عليه الجُدَري

وصلَني خبر الجُدَري فنال مني وهَيّج حَـزَني وراعَ قلبـي وأسـهر عينـي وهـذه العلة وان كانت مُوجِعة وفي رأي العين فظيعة شنيعة فانها إلى السلامة أقـرب وطريقها إلى الحياة أقصَد لأنّ عينَ الطبيب تقع عليها وظاهِرُ الداءِ أسـلم مـن باطِنه وبارِزُ الجُرْح أهون من كامِنه ولعَمْري انها تورثُ سوادَ اللـون وتَـذْهَبُ من الوجه بديباجة الحُسْن ولكن ذلك يسيرٌ في جنب السلامة للـروح اللطيفـة والنفس الشريفة ولستُ أستطيع لك غيرَ الدُّعاء لا أسأل صِحَّتَك الا ممن خلق عِلَّتَك وأرى لك أن تُحْسِن ظنَّك بربـك وتـستغفر مـن ذنبـك وتجعـل الـصدقة شفيعَك واليقين طبيبَك وتعلم أنـه لا داءَ أدْوَأ مِـن أجَـل ولا دواء أشْـفَى مـن مَهَل ولا فراش أوطأ من أمَل شَفاك الـلـه تعالى وحَسْبُك به طبيبا

حدثنا عيسى بن هِشام قال لما بَلَغَت بِيَ الغُربة بابَ الأبواب ورضيت من الغنيمة بالإياب ودونَه من البحر وَثّاب بغاربه ومن السفن عَسّافٌ براكبه استخرتُ الله في القُفول وقعدْت من الفُلك بمثابة الهُلك ولما مَلَكَنا البحر وجَن علينا الليل غشيتْنا سحابة تَمُدّ من الامطار حِبالا وتَحُوذُ من الغَيْم جِبالا بريحٍ تُرْسِل الامواجَ أزواجا والامطار أفواجا وبَقِينا في يَدِ الحَيْن بين البحرين لا نَملِك عُدّةً غير الدُّعاء ولا حيلةً الا البكاء ولا عِصمةً غيرَ الرجاء وطويناْها ليلةً نابِغيّة وأصبحنا نَتَباكى ونتشاكى وفينا رجل لا يَخْضَلّ جفنُه ولا تَبْتَلّ عينُه رَخِيّ الصدر مُنشرِحه نشيط القلب فرِحه فعجِبنا والله كلَّ العجب وقلنا له ما الذي آمَنَك من العطب فقال حِرْزٌ لا يَغْرَق صاحبُه ولو شئت أن أمنح كلًّا منكم حرْزًا لفعلْت فكلُّ رَغِب إليه وألَحّ في المسألة عليه فقال لن أفعلَ ذلك حتى يُعطِيَني كلُّ واحدٍ منكم دينارا الآن ويَعِدُني دينارا اذا سلِم قال عيسى بن هشام فَنَقَدناه ما طلب ووعدناه ما خطب وآبَتْ يَدُه إلى جَيْبه فأخرج قطعةَ ديباج فيها حُقَّة عاج قد ضمَّن صدرَها رِقاعًا وحَذَف كلَّ واحد منا بواحدة منها فلما سَلِمَت السفينة وأحَلَّتْنا المدينة اقتضى الناسَ ما وعدوه فتَقَبدُوه وانتهى الامرُ إليّ فقال دَعوه فقلتُ لك ذلك بعد أن تُعْلِمَني سِرّ حالك قال أنا من بلاد الاسكندرية فقلت كيف نَصرك الصبرُ وخَذَلنَا فأنشأ يقول

وَيْكَ لولا الصبرُ ما كنتُ   ملأتُ الكيسَ تِبْرا

لَــن يَنــال المجـدَ مَــن ضـا ... ق بمـــا يَغْـــشاه صَـــدْرا

ثـــم مـــا أعقبنـــي الـــسا ... عـــةَ مـــا أُعطيـــتُ ضُرّا

بـــل بـــه أشـــتدُّ أزْرًا ... وبـــه أجـــبُرُ كـــسرا

ولَـــوَ انِّي اليـــومَ في الغَـــرْ ... قَـــى لَـــما كُلِّفـــت عُـــذْرا

المقامة البشرية له

حدثنا عيسى بنُ هِشام قال كان بِشر بـن عَوانـة العَبْـدي صُعلوكا فأغار عـلى رَكْبٍ فيهم امرأةٌ جميلة فتزوَّج بها وقال ما رأيت كاليوم فقالت

أعْجَـبَ بِـشْرًا حَـوَرٌ في عَيْنـي ... وســـاعدٌ أبـــيضُ كـــالَلجَيْنْ

ودونَـه مَـسْرَحُ طَـرف العـين ... خُمْـصَانَةٌ تَرْفُـل في حِجْلَـيْن

أحسنُ مَن مِشي عـلى رجلـين ... لـو ضَـمَّ بِـشرٌ بيـنهما وبينـي

أدامَ هجــري وأطـــال بينـــي ... ولـــو يَقـــيس زَيْنَهـــا بِزَّيْنـــي

لَأُسفَر الصُّبح لِذِي عَينين

قال بِشْرٌ وَيْحَك مَن عَنَيْتِ فقالت بنتَ عَمِّك فاطِمة فقـال أهِـيَ مـن الحُـسْن بحيث وصَفت قالت وأزيد وأكثر فأنشأ يقول

ويْحَـــكِ يـــا ذاتَ الثنايـــا البـــيِض ... مـــا خِلْتُنِـــي منـــكِ بمُـــسْتَعيض

فـــالآن اذ لَوَّحْـــتِ بـــالتعريض ... خَلَـوْت جَـوًّا فاصْـفِري وبِيـضِي

لا ضـــمَّ جَفْنـــاىَ عـــلى تغمـــيض ... ما لم أشِـلْ عِـرْضي مـن الحَـضيض

(فقالت) كـم خاطِـبٍ في أمرِهـا ألَحّـا ... وهـــى إليـــك ابنـــةُ عَـــمّ لَحّـــا

ثم أرسل منهم ان لم يُزَوِّجْه ابنَته ومَنَعَه العَمّ أُمْنِيَّتَه فآلَى ألّا يُرْعِي على أحد منهم ان لم يُزَوِّجْه ابنَته ثم كَثُرَت مَضَرَّاتُه فيهم واتصلت مَعَرّاتُه إليهم فاجتمع رجال الحيّ إلى عمه وقالوا كُفّ عنا مجنونَك فقال لا تُلْبِسوني عارا وأمهِلوني حتى أُهلكَه ببعض الحِيَل فقالوا أنتَ وذاك ثم قال له عَمُّه اني آليتُ أن لا أُزَوّج ابنتي هذه الّا ممن يَسوق إليها الفَ ناقةٍ مَهْرًا ولا أرضاها الا من نوقِ خُزَاعَةَ وغَرَضُ العم كان أن يَسْلُكَ بِشْرٌ الطريق بينه وبين خزاعة فيَفْتَرِسَه الاسد لأنّ العرب قد كانت تحامتْ عن ذلك الطريق وكان فيه أسدٌ يُسمى داذًا وحيَّة تُدْعَى شُجاعا يقول فيهما قائلُهم

أفْتَكُ من داذٍ ومن شُجاع ... ان يَكُ داذٌ سَيّد السباع

فانّها سَيِّدة الافَاعِي

ثم انّ بِشْرًا سَلَك ذلك الطريق فما نَصَفَه حتى لَقِى الأَسد وقَمَصَ مُهْرُه فنزل وعَقَره ثم اخْتَرَطَ سيفَه إلى الاسد واعترضه وقَطَّه ثم كتب بِدَمِ الاسد على قميصه إلى ابنةِ عَمّه

أفاطِمُ لو شَهِدتِ ببطْنِ خَبْتٍ ... وقد لاقَى الهِزَبْرُ أخاكِ بِشْرا

اذًا لَرَأَيْتِ لَيْثًا زار لَيْثًا ... هِزَبْرًا أغْلبًا لاقَى هِزَبْرا

تَبَنْهَسَ حين أحْجَم عنه مُهرِي ... مُحاذَرَةً فقلتُ عُقِرْتَ مُهرا

أنِلْ قَدَمَيَّ ظَهْرَ الارض اني ... رأيتُ الارضَ أثبتَ منك ظَهرا

وقلت له وقد أبدَى نِصالا ... مُحَدّدة ووَجْهًا مُكْفَهِرا

يُكَفْكِف غِيلةً احدَى يَدَيه ... ويَبْسُط للوُثوب علىّ أُخْرَى

يَــدُلّ بِمْجِلَــب وبِجِــدّ نــاب ... وباللّحَظـــات تَحْـــسَبُنهن جَمْـــرا

وفي يُمْنــاىَ مــاضي الحــدّ أبقَــى ... بِمَــضْرِ بِــه قِــراعُ المــوت أُثْــرًا

ألم يَبْلُغْــك مــا فعلَــت ظُبــاه ... بكاظمـــةٍ غَـــداةَ لَقِيـــتُ عَمْـــرا

وقلبـي مثـلُ قلبـك لـيس يَخْشى ... مُـــصاولةً فكيـــف يَخـــاف ذُعْـــرا

وأنـــتَ تَـــروم للاشـــبال قُوتـــا ... وأطلـــبُ لابنـــه الاعـــمام مَهـــرا

ففـــيمَ تَـــسوم مِـــثلي أن يُـــوَلِّي ... ويَجْعَـــل في يـــديْك الـــنفس قَـــسْرا

نـصحتُك فـالتَمِسْ يـا ليـثُ غـيري ... طَعامـــا إنّ لَحْمـــي كـــان مُـــرّا

فلـــما ظَـــنّ أنّ الغـــشّ نُـــصْحي ... وخـــاَلفَني كـــأني قلـــت هُجْـــرا

مَـشَى ومَـشَيْت مـن أسَـدَيْن رَامـا ... مَرَامًـــا كـــان اذ طَلَبـــاه وَعْـــرا

هَـــزَزْت لـــه الحُـــسام فَخِلْـــت أني ... سَـــلَلْت بـــه لَـــدَى الظَلْـــماء فَجْـــرا

وجُـــدْتُ لـــه بجائـــشةٍ أرَتْـــه ... بـــأنْ كَذَبَتْـــه مامَنَّتْـــه غَـــدْرا

وأطلقـــتُ المُهَنَّـــد مـــن يمينـــي ... فَقَـــدّ لـــه مـــن الاضـــلاع عَـــشْرا

فَخَـــرّ مُجَـــدّلًا بـــدَم كـــأني ... هَـــدَمت بـــه بنـــاءً مُـــشْمَخِرًا

وقلـــت لـــه يَعـــزّ عـــلَيَّ اني ... قتلـــتُ مُنـــاسي جَلَـــدًا وفخـــرا

ولكـــن رُمْـــتَ شـــيأ لم يَرُمْـــه ... ســـواكَ فلـــم أطِـــقْ ياليـــتُ صـــبرا

تُحـــاوِلُ أن تُعَلِّمَنـــي فِـــرارًا ... لَعَمْـــر أبيـــك قـــد حاولْـــتَ نُكْـــرا

فـــلا تجـــزع فقـــد لاقيـــتَ حُـــرًّا ... يُحـــاذِر أن يُعـــابَ فَمُـــتَّ حُـــرًّا

فلما بلغَت الابياتُ عَمَّه نَدِم على ما منعه تزويجها وخـشِى أن تَغْتالَـه الحَيّـة فقام في أثَره وبَلَغَـه وقـد مَلَكَتْـه سَوْرةَ الحَيّـة فلـما رأى عَمّـه أخذتـه حَمِيّـة الجاهلية فجعل يده في فَم الحية وحَكّم سيفَه فيها فقال

بِـــشْرٌ إلى المجــد بعيــدٌ هَمّــهُ ... لمـــــا رآه بـــــالعَراء عَمّـــــهُ

قَـــد ثَكِلَتْــه نفـــسُه وأمُّـــه ... جاشـــتْ بـــه جائـــشةٌ تُهمّـــه

قـــامَ إلى ابـــنٍ للفـــلا يَؤُمُـــهُ ... فغـــابَ فيـــه يَـــدُه وكُمُّـــه

ونفسُه نفسي وسُمِّي سُمُّه

فلما قَتَل الحَيّةَ قال عَمّه اني عَرَّضْتُك طَمَعًا في أمرٍ قد ثَنَى اللـه عِناني عنه فارجِع لأزوِجّكَ ابنتي فلما رجَعَ جعل بِشْرْ يملأ فَمَه فخرا حتى طَلَع أمْرَ كَشقّ القمر على فَرَسِه مُدَجَّجًا في سلاحه فقال بِشْرٌ يا عمّ اني أسمع حِسّ صَيْدٍ وخرج فاذا بغلام على قَيْدٍ فقال ثَكِلَتك أمُّك يا بِشْر أن قتلتَ دودةً وبَهيمة تملأُ ما ضِغيَك فخراَ أنت في أمانٍ إن سَلَّمْتَ عَمَّك فقال بشر مَن انت لا أُمَّ لك قال اليومُ الأسود والموتُ الأحمر فقال بشر ثَكلَتْك من سلَحَتَكْ فقال يا بشر ومَن سلَحَتَكْ وكَرّ كلُّ واحدٍ منها على صاحبه فلم يتمكن بشرٌ منه وأمكن الغلامَ عشرون طعنةً في كُلْيَةِ بِشرٍ كلما مَسَّه شَباَ السِنّان حَماه عن بَدَنِه إبقاءً عليه ثم قال يا بِشر كيف ترى اليس لو أردتُ لأطعمتُك أنيابَ الرمح ثم ألقَى رُمْحَه واستلّ سيفَه فضرب بِشرًا عشرين ضربة بعَرْض السيف ولم يتمكن بِشْرٌ من واحدة ثم قال يا بِشر سَلِّم عمّك واذهب في أمانٍ قال نعم ولكن بِشَريطة أن تقول من أنت فقال أنا ابْنُك فقال يا سبحان اللـه ما قارَبْتُ عَقيلةً قط فأنَّي هذه المِنْحة فقال أنا ابن المرأة التي دَلَّتْك على ابنة عمك فقال بِشر

تلـك العَـصَا مـن هـذه العُـصَيّه ... هـــل تَلِـــد الحَيّـــة الا الحيَّـــة

وحلفَ لاركب حِصانًا ولا تزوّج حَصانًا ثم زوّج ابنة عمه لابنه

آداب الصداقة لابن مسكويه

يجب عليك متى حصل لك صَديقٌ أن تُكْثر مُراعاته وتُبالِغ في تَفَقده ولا تَسْتهين باليَسير من حقّه عند مُهِمّ يعرِض له أو حادثٍ يَحْدُث به فأما في أوقات الرخاء فينبغي أن تَلقْاه بالوجه الطَلقْ والخلُقُ الرَحْب وأن تُظْهِر له في عينيك وحركاتك وفي هَشاشتك وارتياحاك عند مُشاهدته اياك ما يَزدْاد به في كلّ يوم وكل حالٍ ثِقةً بمودّتك وسُكونا إليك ويَرى السرور في جميع أعضائك التي يظهر السرور فيها اذا لَقِيَك فانّ التَّحَفّي الشديد عند طَلْعة الصَديق لا يَخْفى وسُرور الشكل بالشكل أمْرٌ غير مُشْكِل ثم ينبغي أن تَفْعل مِثل ذلك بمن تَعْلَم أنه يُؤْثِره ويُحِبّه من صديق أو وَلَدٍ أو تابع أو حاشيةٍ وتُثْني عليهم من غير اسرافٍ يَخْرج بك إلى المَلَق الذي يَمْقُتُك عليه ويَظْهَر له منك تَكَلُّفٌ فيه وانما يتم لك ذلك اذا تَوَاخَيْتَ الصِّدق في كل ما تُثْني به عليه والزَمْ هذه الطريقة حتى لا يَقَع منك تَوَانٍ فيها بوجهٍ من الوجوه وفي حال من الاحوال فان ذلك يَجْلُب المحبة الخالصة ويُكْسِب الثِقة التامّة ويُهْديك مَحبّة الغُرَباء ومَن لا معرفة لك به وكما أن الحَمام اذا أَلِف بُيُوتنا وآنَس لمجَالِسنا وطاف بها يَجلب يَجلُب لنا أشكاله وأمثاله فكذلك حالُ الانسان اذا عرفَنا واختلط بنا اختلاط الراغب فينا الآنس بنا بل يزيد على الحَيوان الغيْر الناطق بحُسْن الوَصْف

وجميل الثناء ونشْر المحاسن واعلـم ان مُـشاركة الـصَديق في الـسَّرَّاء اذا كنـت فيها وان كانت واجبـةً عليـك حتـى لا تَـسْتأثِرها ولا تختـص بـشئ منهـا فـانّ مُشارَكَته في الضَّرَّاء أوجب ومَوْقعها عنده أعظم وانظـر عنـد ذلـك إن أصابَتْه نَكْبة أو لَحَقَتْه مُصيبة أو عَـثَرَ بـه الـدهر كيـف تكـون مُواسـاتُك لـه بنفـسك ومالِك وكيف يظهر له تَفَقُّدُك ومراعاتك ولا تَنْتَظِرَنّ به أن يسألَكَ تَـصْريحا أو تَعْريضا بل اطَّلِعْ على قلبه واسْبِق إلى ما في نفسه وشارِكْه في مَضَض مـا لَحِقـه لَيِخّف عنه وان بلغتَ مرتبةً من السلطان والغِنَى فـاغْمِس اخوانَـك فيهـا مـن غير امتنانٍ ولا تَطَاوُل وان رأيتَ من بعضهم نُبوًّا عنك أو نُقـصانا مـما عَهِدتـه فَداخِله زيادة مُداخلة واخَتلِط به واجتذِبه إليك فانك ان أنِفْـتَ مـن ذلـك أو تَدَاخلك شئ من الكبر والصَّلَف عليهم انتقض حَبْلُ المودّة وانْتَكَثَتْ قوّتُه ومع ذلك فلستَ تأمَنُ أن يزولوا عنك فتستحي منهم وتُضْطَرَّ إلى قَطيعتهم حتى لا تَنظر إليهم ثم حافِظْ على هذه الشروط بالمداومـة عليهـا لتَبْقـى المـودّة عـلى حالٍ واحدةٍ وليس هذا الشرط خاصّا بالمودّة بل هو مُطَّـرد في كـل مـا يَخُـصّك اعني أن مَركوبَك وملبوسَك ومنزلك متى لم تُراعها مراعاة متـصلةً فَـسَدَت وانتقضت فاذا كانـت صـورة حائطـك وسُـطوحك كـذلك ومتـى غَفَلْـت أو توانيتَ لم تأمن تَقَوُّضَه وتَهَدُّمَه فكيف ترى أن تَجْفو من تَرْجوه لكـل خَـير وتَنْتَظر مشاركته في السَّرَّاء والضَّرَّاء ومـع ذلـك فـان ضرر تلـك يَخـتص بـك بمنفعةٍ واحـدةٍ وأمـا صَـديقُك فَوجُـوه الـضرر التـي تـدخل عليـك بجَفائـه وانتقاض مَوَدَّتَه كثيرةٌ عظيمة ذلك أنه يَنْقَلِب عَدُوّا وتَتَحَوّل منافعه مَـضارّ فلا تأمن غوائلَه وعداوتَه مع عَدَمك الرغائبَ والمنافع به وينقطـع رجـاؤُك

فيما لا تَجد له خَلَفًا ولا تستفيد عنه عِوَضا ولا يَسُدّ مَسَدّه شئ واذا راعيتَ شروطَه وحافظتَ عليها بالمداومة أَمِنْتَ جميع ذلك ثم احْذَر المراءَ معه خاصَّة وان كان واجبا أن تَحْذُره مع كل أحد فان مُماراة الصَديق تَقْتَلِع المودّة من أصلها لأنها سببُ الاختلاف والاختلافُ سببُ التبايُن الذي هَرَبْنا منه إلى ضدّه وقَبَّحْنا أثَرَه واخترنا عليه الأُلفْة التي طلبناها وأثنينا عليها وقلنا ان الله عز وجل دَعا إليها بالشَريعة القَويمة واني لأعِرف مَن يُؤْثِر المِراء ويزعم أنه يَقْدَح خاطِرَه ويَشْحَذ ذِهنه ويُثير شُكوكَه فهو يَتَعَمَّد في المحافِل التي تَجْمَع رؤساء أهل النظر ومُتعاطي العُلوم مُماراة صَديقه ويَخْرُج في كلامه معه إلى ألفاظ الجُهّال من العامّة وسُقّاطِهم ليزيد في خَجَل صديقه وليُظْهِر تَبَلُّجَه وليس يفعل ذلك عند خَلْوَته به ومُذاكَرَته له وانما يفعله حين يَظُنّ به أنه أدَق نظرا أو أحضر حُجّة وأغْزَر علما وأحَدّ قريحة فما كنتُ أُشَبّهه الا بأهل البَغْي وجَبابرة أصحاب الاموال والمشَبَّهين بهم من أهل البدَع فان هؤلاء يستحقر بعضُهم بعضا ولا يزال يُصَغِّر ويَزْدري على مُرُوءته ويَتَطَلَّبُ عُيوبَه ويَتَتَبّع عَثَراته ويُبالغ كلُّ واحدٍ فيما يقدر عليه من اساءةِ صاحبه حتى يؤدّي بهم الحال إلى العَداوة التامة التي يكون معها السِّعايَة وازالة النعَم وتُجاوز ذلك إلى سَفْك الدَمِ وأنواع الشُّرور فكيف يثبُتُ مع المِرَاء محبةٌ ويُرْجَى به أُلفَةَ ثم احْذَر في صَديقك ان كنتَ متحققا بِعلْم أو مُتَحَلِّيا بأدب أن تَبْخَل عليه بذلك الفنّ أو يرى فيك أنك تُحِبّ الاستِبدادَ دونَه والاستئْثار عليه فان أهل العلم لا يَرَى بعضُهم في بعضٍ ما يراه أهلُ الدنيا بينَهم ذلك أن مَتاع الدنيا قليل فاذا تَزَاحم عليه قومٌ ثَلَم بعضُهم حالَ

بعض ونَقَص حَظّ كل واحدٍ من حظ الآخَر وأما العلم فانه بالضّدّ وليس أحد يَنْقُص منه ما يأخُذه غيرُه بل يَزْكُو على النفقة ويَرْبُو مع الصَداقة ويَزيد على الانفاق وكثرة الخَرْج فاذا بَخِل صاحب علْمٍ بعلْمه فانما ذلك لأحوالٍ فيه كُلُّها قبيحة وهى أنه إمّا أن يكونَ قليلَ البضاعة منه فهو يَخاف أن يَفْنَى ما عنده أو يَرِد عليه ما لَا يعرفه فيزول تَشَرّفه عند الجُهّال وإما أن يكون مكتسِبا به فهو يَخْشَى أن يَضيق مكسبُه به ويَنْقُص حَظّه منه وإما أن يكون حَسودا والحسود بعيدٌ من كل فَضيلة لا يَوَدُّه أحُدٌ واني لأعرف مَن لا يَرْضَى بأن يبخل بعلم نفسه حتى يَبْخَل بعلم غيره ويُكْثِر عَتْبَه وسَخَطه على مَن يُفيد غيرَه من التلاميذ المستحقين لفائدةِ العلم وكثيرا ما يَتوصل البعضُ إلى أخذ الكُتب من أصحابها ثم مَنْعِهِم منها وهذا خُلُق لا تَبْقى معه مَوَدّة بل يَجْلُبُ إلى صاحبه عَداوات لا يَحْسَبُها ويَقْطَعُ أطْماعَ أصدقائه من صَداقته ثم احْذَر أن تَنْبَسط بأصحابك ومَن يَخْلو بك من أتباعك وتَحْمِل أحدا منهم على ذِكْر شئ في نفسه ولا تُرَخِّص في عَيْب شئ يَتَّصل به فَضْلا عن عَيْبه ولا يَطْمَعَنّ أحدٌ في ذلك من أولِي أنْسابك والمُتَّصِلين بك لا جِدًّا ولا هَزْلا وكيف تَحْتَمِل ذلك فيه وأنتَ عَيْنُه وقلبُه وخليفتُه على الناس كلهم بل أنتَ هو فانه ان بَلَغَه شئ مما حَذَّرْتُك منه لم يَشُك أن ذلك كان عن رأيك وهَواك فَيَنْقَلِب عَدُوّا ويَنْفِر عنك نُفُور الضّدّ فان عرفتَ منه أنتَ عَيْبًا فوافِقْه عليه مُوافقةً لطيفة ليس فيها غِلْظة فان الطَّبيب الرفيق ربما بَلَغ بالدواء اللطيف ما يبلُغه غيرُه بالشّقّ والقطع والكيّ بل ربما تَوَصَّل بالغِذاء إلى الشِفاء واكتفَي به عن المعالجة بالدواء ولستُ أَحِبّ أن تُعْرفه في صَديقك

وأن تترك موافقتَه عليه بهذا الضَرْب من الموافقه فان ذلك خِيانة منك ومُسامَحَة فيما يعود ضَرَرُه عليه ثم احْذَر النَميمة وسَماعَها وذلك أن الاشرار يَدْخُلون بين الاخيار في صورة النُصَحاء فَيوهِمونَهُم النصيحة ويَنْقُلون إليهم في عُرْض الاحاديث اللذيذة أخبار أصدقائهم مُحَرّفَةً مُمَوّهة حتى اذا تجاسروا عليهم بالحديث المُخْتَلَقِ يُصَرِّحون لهم بما يُفْسِد مودّاتهم ويُشوّه وجوهَ أصدقائهم إلى أن يُبغِض بعضُهم بعضا وللقُدمَاء في هذا المعنى كُتُبٌ مؤلَّفَة يُحَذِّرون فيها من النميمة ويُشبّهون صورةَ النمَّام بمَن يَحُكّ بأظافيره أصولَ البُنْيان القوية حتى يُؤَثِرّ فيها ثم لايزال يزيد ويُمْعِن حتى يُدْخِل فيها المِعْوَل فَيَقْلَعَه من أصله ويَضْرِبون له الامثال الكثيرة المُشَبَّهَة بحديث الثَوْر مع الأسد في كتاب كَليلةَ ودِمْنَة ونحن نكتفِي بهذا القَدْر من الايماء لئلا نَخْرُج عَمّا بَنَيْنا عليه مَذْهَبَنا من الايجاز في الشرح ولستُ أترك مع الايجاز والاختصار تعظيمَ هذا الباب وتكريره عليك لتعلم أن القُدَماء انما أَلَّفُوا فيه الكتب وضربوا له الامثال وأكثروا فيه من الوَصايا لِمَا وراءَه من النَفْعِ العظيم عند السامعين من الاخيار ولِما خافوه من الضَرر الكثير على مَن يَسْتَهين به من الأعْمار ولِيعْلم المَثَل المضروب في السِّباع القوية اذا دخَل عليها الثَعْلَب الرَّوّاغ على ضَعْفه أهْلَكَها ودَمَّرَها وفي المُلوك الحُصَفاء يَدْخُل بينهم أهل النميمة في صورة الناصحين حتى يُفْسِدوا نيّتَهم على وُزَرائهم المُبالِغين في نصيحتهم المجتهدين في تثبيت مُلْكهم إلى أن يَغْضَبوا عليهم ويَصرفوا بها عُيونَهم عنهم ويَصيروا من مَحَبّتهم وايثارهم على آبائهم وأولادِهم إلى أن لا يَمْلَؤُا عُيونَهم منهم وإلى أن يَبْطشوا بهم قَتْلا وتَعْذيبا وهم غيرُ مُذْنِبين ولا

مُجْتَرَمين ولا مُسْتحِقين الا الكرامة والاحسان فاذا بلغ بهم من الافساد والاضرار ما بَلَغوه من هؤلاء فبالأحْرَى ان يَبْلُغوه منا اذا لم يجدوه في أصْدقائنا الذين اخترناهم على الايام وادّخرْناهم للشدائد وأحْلَلْناهم مَحَلّ أرواحنا وزِدْناهم تَفَضّلا واكراما ويَتَبَيّن لك من جميع ما قَدّمناه أنّ الصدافة وأصناف المَحَبّات التي تتمّ بها سعادة الانسان من حيث هو مَدَنِيٌّ بالطبع انما اختلفتْ ودخل فيها ضُروب الفَساد وزال عنها معنى التَّأخي وعرض لها الانتشار حتى احْتَجْنا إلى حِفْظِها والتَعَب الكثير بِنِظامها من أجْل النَقائص الكثيرة التي فينا وحاجَتِنا إلى اتمامِها مع الحوادث التي تَعْرِض لنا من الكَوْن والفساد فانّ الفضائل الخِلْقيّة انما وُضِعَت لأجل المُعاملات والمُعاشَرات التي لا يَتم الوُجود الانساني الا بها ذلك أن العَدْل انما احتِيج إليه لتصحيح المعاملات وليَزولَ به معنَى الجَوْر الذي هو رذَيلة عند المُتعامِلين وانما وُضِعَت العِفّة فَضيلة لأجل اللذات الرديئة التي تَجْني الخِيانات الفظيعة على النفْس والبَدَن وكذلك الشجاعةُ وُضِعت فضيلةً من أجل الامور الهائلة التي يجب أن يُقْدِم الانسانُ عليها في بعض الاوقات ولا يَهْرُب منها وعلى هذا جميع الاخلاق المرضية التي وصَفناها وحَضَضْنا على اقتِنائها وأيضا فانّ جميع هذه الفضائل تحتاج إلى اسباب خارجة من الاموال واكتسابها من وُجوهها ليُمْكنَه أن يفعل بها فعلَ الاحْرَار والعادِل يحتاج إلى مِثل ذلك ليُجازِي مَن عاشَرَه بجميل ويُكافِئ مَن عامَله باحسانٍ وجميعُها لا تقوم الا بالابدان والابدان والانْفُس وما هو خارجٌ عنها على حسب تقسيمنا السعادات فيما مضى وكلما كانت الحاجات كثيرةً احْتِيج إلى الموادّ الخارجه عنّا أكثر فهذه حالُة السعادات الانسانية التي لا

تتم لنا الا بالافعال البَدَنية والاحوال المدنيـة وبـالأعْوان الـصالحين والأصـدقاء المخِلصين وهى كما تراها كثيرة والتَعَب بها عظيم ومَن قَـصّرَ فيهـا قَـصَّرَتْ بـه السعادة الخاصّة به ولـذلك صـار الكَـسَل ومَحَبّـة الرَاحـة مـن أعظـم الرذائـل لأنهما يَحُولانِ بين المَرْء وبين جميع الخيرات والفضائل ويَسْلُخان الانـسانَ مـن الانسانية ولذلك ذَمَمْنا بعضَ المُتَوَسِّمين بالزُهْد اذا تَفَرّدوا عن النـاس وسَـكَنوا الجبالَ والمَفازات واختاروا التَوحّش الذي هو ضدّ المدنية لانهم ينسلخون عـن جميع الفضائل الخلقيـة التـي عـددناها كلهـا وكيـف يِعـفّ ويَعْـدل ويـسْخُو ويَشْجُع مَن فاروق الناسَ وتَفَرَّد عنهم وعَدِم الفـضائلَ الخِلْقيَّـة وهـل هـو الا بمنزلـة الجَـماد والمَيّـت وأمـا مَحَبّـة الحِكمـة والانْـصِراف إلى التَـصَوّر العقـلي واستعمال الآراء الالهية فانها خاصة بالجُزْء الالهي من الناس وليس يَعْرِض لها شئ من الآفات التي تَعْرض للمَحَبّات الأُخَر الخِلقيـة وضُروب الفـساد ولـذلك قُلْنا انها لا تَقْبَل النميمة ولا نَوْعا من أنواع الشُرور لأنها الخيْر المحْض وسَـبَبُها الخير الاوّل الذي لا تَشُوبه مـادة ولا تَلْحَقـه الـشُّرور التـي في المـادة ومـا دام الانسان يستعمِل الأخلاق والفـضائل الانـسانية فانهـا تَعُوقـه عـن هـذا الخـير الاوّل وهذه السعادةِ الالهية ولكـن لـيس يَـتِم لـه الا بتلـك ومـن أضَـلّ تلـك الفضائل بنفسه ثم اشتغل عنها بالفضيلة الالهية فقد اشتغل بذاته حقّـا ونَجـا من مُجاهَدات الطبيعـة وآلامهـا ومـن مجاهـدات الـنفس وقُواهـا وصـار مـع الارواح الطّيبة واختلَطَ بالملائكـة المقـرّبين فـاذا انتَقـل مـن وجـوده الاوّل إلى وجوده الثاني حصل في النعيم الأبَدِي والسرور السرمدي

وقال ابن حَمْديس الأَنْدَلُسي في وصف بركة

عليها أشجار من ذهب وفضة وعلى حافاتِها أسود قاذِفة بالمياه

وضَرَاغِـم سَـكَنَتْ عَـرينَ رَآسَـةٍ ... تَرَكَـتْ خَريـر المـاءِ فيـه زَئـيرا

فكأنمـا غَـشَّى النُّـضَار جُـسومَها ... وأذابَ في أفْواهِهـا البَّلـوُّرا

أُسْـدٌ كـأنّ سُـكونَها مُتَحَـرّك ... في الـنفس لـو وَجَـدَتْ هنـاك مُثـيرا

وتَـذَكَّرَت فتكاتِهـا فكأنمـا ... أقْهَـتْ عـلى أدبارِهـا لتَثـورا

وتَخالُهـا والـشمس تَجْلُـو لونَهـا ... نـارًا وألْـسُنَها اللـواحِسَ نـورا

فكأنمـا سَـلَّتْ سُـيوفَ جـداوِلٍ ... ذابَـتْ بـلا نـارٍ فَعُـدْن غَـديرا

فكأنمـا نَـسَج النـسيمُ لمائـه ... دِرْعـا فَقَـدَّر سَرْدَهـا تقـديرا

وبدَيعـة الثَمَـراتِ تَعْـبُرُ نحوَهـا ... عينـايَ بحـرَ عجائـبٍ مَـسجورا

شَـجَرِيّة ذَهَبِيّـة نَزَعَـتْ إلى ... سِـحْر يُـؤَثِّر في النُهـىَ تـأثيرا

قـد سُرِّجَـتْ أغْـصانها فكأنمـا ... قبـضت بِهـنّ مـن الفَـضاء طُيـورا

وكأنمـا تَـأْبَى لِوَقْـع طَيْرُهـا ... أن تَـسْتَقل بنَهْـضِها وتَطـيرا

مـن كـل واقعـةٍ تـرى مِنقارَهـا ... مـاءً كَسَلْـسالِ اللَّجـين نَمـيرا

خُرْس تُعَدّ من الفِصاح فـان شَدَت ... جَعَلَـتْ تُغَـرِّد بالميـاه صَـفيرا

وكأنمـا في كـل غـصنِ فـضّة ... لانَـتْ فأرُسـلَ خَيْطُهـا مجـرورا

وتُريـك في الـصِهريج مَوْقـع قَطْرِهـا ... فـوق الزبرجـد لؤلـؤا منثـورا

ضـحِكَتْ مَحاسـنُه إليـك كأنمـا ... جُعِلَـت لهـا زُهْـرُ النُجـومِ ثُغـورا

ومُـصَفّح الأبـواب تِـبْرًا نَظّـروا ... بـالنقش فـوق شـكُولِه تنظـيرا

واذا نظــرتَ إلى غرائــب سَــقْفِه	أبــصرت رَوْضًــا في الــسماء نَــضيرا
وضَــعَتْ بـــه صُــنّاعُها أقلامَهـــا	فأرَتْـــك كـــلَّ طَريـــدةٍ تـــصويرا
وكأنمـــا للـــشمس فيـــه لِقَـــةٌ	مَــشَقُوا بهــا التزويــق والتــشجيرا
وكانمـــا الـــلَّازْوَرْدُ فيـــه مُخَـــزَّم	بـــالخطّ في ورق الـــسماءِ ســطورا

مَرْثية أبي الحسن الآنْباري للوزير أبي طاهر

لما اسْتَعَر الحرب بين عِزّ الدولة بن بُوَيِه وابن عمّه عَضُد الدولة ظمِر عَضُد الدولة بوزير عزّ الدولة أبي طاهر محمد بن بَقيّة فسلّمه وشَهَّرَه وعلى رأسه بُرْنُس ثم طَرَحه للفيَلة فَقَتَلته ثم صَلَبه عند داره بباب الطاق وعُمْرُه نَيّف وخمسون سنة ولما صُلِب رثاه أبو الحسن محمد بن عمران يعقوب الانباري أحد العُدول ببغداد بهذه القصيدة الغرّاء فلما وقف عليها عَضُد الدولة قال وددْتُ لو أني المصلوب وتكون هذه القصيدة فيّ

عُلُـــوٌّ في الحيـــاة وفي المـــمات	لَحـــقٌّ تلـــك احـــدى المعجـــزات
كـــانّ النـــاس حولـــك حـــين قـــاموا	وفـــودُ نَـــدَاك أيـــامَ الـــصِلات
كأنـــك قـــائمٌ فـــيهم خطيبـــا	وكلُّهُـــــم قيـــــامٌ للـــــصَّلاة
مَـــدَدْتَ يـــديكَ نحـــوَهم احتفـــاءً	كَمَـــــدِّهِما إلـــــيهم بالهِبـــــات
ولمـــا ضـــاق بطـــنُ الارض عـــن أن	يـــضُم عُـــلاك مـــن بعـــد الوَفـــاة
أصـــاروا الجـــوّ قـــبرك واستعاضـــوا	عـــن الأكفـــان ثـــوبَ الـــسافيات

لعُظْمِك في النفوس بقيتَ تُرْعى بِحُـــرّاسٍ وحُفّـــاظٍ ثِقـــات

وتُوقَـــد حولَـــك النـــيرانُ لـــيلا كـــذلك كنـــتَ أيـــامَ الحيـــاة

ركِبـــتَ مَطيـــةً مـــن قبـــلُ زَيْـــدٌ عَلاهـــا في الـــسنين الماضـــيات

وتلـــك قـــضيةٌ فيهـــا تـــأسٍّ تُباعِـــد عنـــك تعيـــير العُـــداة

ولم أر قبـلَ جِـذْعِك قـطُّ جِـذعا تمكَّـــنَ مـــن عِنـــاق المَكْرُمـــات

أسـأتَ إلى النوائـب فاسـتثارت فأنـــتَ قتيـــلُ ثـــار النائبـــات

وكنـتَ تُجـير مـن صَرْف الليـالي فـــصار مُطالبـــا لـــك بـــالتِّرات

وصَـيَّر دهـرُكَ الاحـسانَ فيـه إلينـــا مـــن عظـــيم الـــسيئات

وكنـــتَ لمَعْـــشر سـعدًا فلـــما مـــضيتَ تَفَرَّقـــوا بالمُنْحِـــسات

غَليـــلٌ بـــاطِنٌ لـــك في فـــؤادي يُخَفَّـــفُ بالـــدُّموع الجاريـــات

ولـــو أني قَـــدَرْتُ عـــلى قيـــام بفرضـــك والحُقـــوق الواجبـــات

مـلأتُ الارضَ مـن نظـم القـوافي ونُحْـــتُ بهـــا خـــلافَ النائحـــات

ولكنّـــي أَصَـــبِّر عنـــك نفـــسي مخَافـــة أن أُعَـــدّ مـــن الجُنـــاة

ومـا لـك تُرْبَـةٌ فـأقول تُـسْقَى لانـــك نُـــصْبُ هَطْـــل الهـــاطلات

عليـك تحيـة الـرحمن تَـتْرَى بـــرحَمْاتٍ غَـــوَادٍ رائحـــات

وقال محمد بن زُرَيق البغدادي وكان قَصَد الأنْدَلُس

في طلب الغنى فلم يرجع لبغداد رحمة اللـه عليه

لا تَعْذُلِيـــه فـــانَّ العـــذْل يُولِعـــه قد قُلْت حقًّا ولكـن لـيس يَـسْمَعه

جـــاوَزْتِ في لَوْمِـــهِ حَـــدّا أضَرَّ بـــه مـن حيـث قَـدّرتِ أنّ اللـوم ينفعـه

فاسْـتعمِلي الرِفْــقَ في تأنيبـــه بـــدلًا من عُنْفه فهو مُضْنيَ القلب مُوجَعهُ

قـد كـان مُـضطلِعا بالخَطْـب يَحْمِلـه فَـضُيِّقَت بخُطـوب البَـين أضْـلُعُه

يكفيـــه مـــن لَوْعـــة التَفْنيـــد أن لـــه مـن النَّـوى كـلَّ يـوم مـا يُرَوّعـه

مـــا آبَ مـــن سَـــفَرٍ الا وأزْعَجـــه رأيٌ إلى سَـفَرٍ بـالعزْم يَجْمَعـه

كأنمـــا هـــو مـــن حِـــلّ ومُرْتحـــل مُوَكَّـلٌ بفـضاء الارض يَذْرَعـه

اذا الزَّمـــاعُ أراه في الرحيـــل غِنًـــى ولو إلى الـسِنْد أضحى وهـو يُزْمِعُـه

تـــأبَى المَطـــامع الا أن تُجَـــشِّمَه للـرزْق كـدّاً وكـم ممـن يودِّعـه

ومـــا مُجاهَـــدة الانـــسان تُوصِـــلُه رِزْقـا ولا دَعَـة الانـسان تَقْطَعُـه

واللـــه قَـــسَّم بـــينَ الخلـــق رزقَهُـــمُ لم يَخلـق اللـه مخلوقـا يُـضَيّعه

لكـــنهم مُلِئُـــوا حِرْصًـــا فلـــستَ تـــرى مُـسْتَرْزقا وسـوى الغايـات يقْنِعُـه

والسَعْيُ في الـرزق والارزاقُ قـد قُـسِمت بَغْـيٌ ألا إنّ بَغْـيَ المـرء يَـصْرَعه

والدهر يُعطي الفتَى مـا لـيس يطلُبُـه يومـا ويمنعُـه مـن حيـث يُطعِمُـه

أسـتودِع اللـه في بَغْـداد لِي قمـرا بـالكَرْخ مـن فَلَـكِ الأَزْرارِ مَطْلَعُـه

ودَّعْتُـــه وبِـــوُدِّي لـــو يُـــوَعُني صَـفْو الحيـاة وأني لا أودّعـه

وكـــم تَـــشَفَّع أني لا أفارِقـــه وللـضرورات حـالٌ لا تُـشَفِّعه

وكـم تَـشَبّثَ بي يـومَ الرحيـل ضُـحًى وأدمُعـي مُـسْتَهِلّات وأدمُعـه

لا أُكْذِبُ اللـه ثَوْبُ العُذْر مُنْخَرق ... عنـي بفُرقتـه لكـن أرَقّعُـه

اني أَوَسـع عُـذري في جِنايَتـه ... بـالبَين عنـه وقلبـي لا يُوَسـعُه

أُعطيـتُ مُلْكًـا فلـم أُحِـسنْ سياسـتَه ... كـذاك مَـن لا يَسُوس المُلْك يُخْلَعُـه

ومَـن غـدا لابِسًا ثـوبَ النعـيم بِـلا ... شُـكْرِ الالـه فعنْـه اللـه يَنْزعُـه

اعْتَـضْتُ عـن وجـه خِـلّي بعـد فرقتِـه ... كأسـا أُجَـرَّعُ منهـا مـا أُجَرَّعُـه

كـم قائـل لِيَ ذنـبُ البَـين قلـت لـه ... الذنب واللـه ذنبي لـستُ أدفعـه

هـلّا أقمـتُ فكـان الرُّشْـد أجمعـه ... لـو أنني يـومَ بـانَ الرشـدُ أتبعُـه

اني لأقطـع أيـامي وأُنِفـدُها ... بحـسرةٍ منـه في قلبـي تُقَطّعـه

بمِـن اذا هجـع النُّـوّام بِـتُّ لـه ... بِلَوعـةٍ منـه لـيلي لـستُ أهجَعُـه

لاَ يطمـئن لَجنْبـي مـضجَعٌ وكـذا ... لا يطمـئن لـه مُـذْ بِنْـت مـضْجَعُه

ما كنـت أحـسِب أن الـدهر يفجَعُني ... بـه ولا أنّ بي الايـامُ تفجعـه

حتـى جـرى الـدهر فـيما بيننـا بيَـدٍ ... عَـسْرَاء تمنعُنـي حِظّـي وتمنعُـه

باللـه يا منزل القَـصْف الـذي دَرست ... آثـارُه وعفَـتْ مـذ غبـتُ أربُعُـه

هـل الزمـانُ مُعيـدٌ فيـك لَـذَّتَنا ... أم الليـالي التـي أمْـضَتْه تُرْجِعُـه

في ذمّـة اللـه مَـن أصـبحتَ منزلَـه ... وجـادَ غيـثٌ عـلى مَغْـداك يمرعُـه

مَـن عنـده لِيَ عهـدٌ لا يـضيِّعُه ... كـما لـه عهـدُ صِـدقٍ لا أُضـيعه

ومَـن يُـصَدِّع قلبـي ذِكـرُه واذا ... جـرى عـلى قلبـه ذكـرِي يـصدّعه

لاصْـبِرَنّ لـدهرٍ لا يمتّعُنـي ... بـه ولا بـلَ في حـالٍ يمتعـه

علـما بـأن اصـطباري مُعْقـب فَرَجـا ... وأضـيقُ الامـر ان فكَّـرْتَ أوسَـعه

عـلّ الليـالي التـي أضْـنت بفُرِقتنـا ... جـسمي سـتَجمعني يومـا وتجمعـه

وان تَنَـل أحـدا منـا مَنِّيتُـه ... فـما الـذي بقـضاء اللـه يـصنعه

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل عَفاف وإقدام وحَزْم ونائل

أعندي وقد ما رستُ كل خفية يُصدَّق واشٍ أو يُخَيَّب سائل

تُعَدّ ذُنوبي عند قوم كثيرةً ولا ذنبَ لي الا العُلَى والفضائل

كأني اذا طُلْتُ الزمانَ وأهلَه رجَعتُ وعندي للانام طَوائل

وقد سار ذكرى في البلاد فَمَن لهم باخفاءِ شمسٍ ضوؤُها متكامل

يُهِمُّ الليالي بعضُ ما أنا مُضْمِر ويَثْقُل رَضْوَي دونَ ما أنا حامل

واني وان كنتُ الاخيرَ زمانُه لآت بما لم تَستطعه الاوائل

وأغْدو ولو أنّ الصباحَ صَوارمٌ وأسْرِي ولو أنّ الظلام جَحافل

واني جواد لم يُحَلّ لِجامُه ونَصْلُ يَمانٍ أغْفَلَتْه الصيافل

فان كان في لُبْس الفتى شرفٌ له فما السيفُ الّا غِمْدُه والحَمَائل

ولي مَنطِقٌ لم يَرْض لي كُنْهَ منزِلي على أنني بَيْنَ السِمَاكين نازل

لَدَي موطنٍ يشتاقه كل سيّد ويَقْصُر عن ادراكه المُتَناوِل

ولَمّا رأيتُ الجهلَ في الناس فاشِيا تجاهلتُ حتى ظُنّ أنيَ جاهل

فوا عَجَباكم يدَّعِي الفضلَ ناقص ووا أسفَاكم يُظهِر النقصَ فاضِل

وكيف تَنام الطيرُ في وَكناتِها وقد نُصِبت للفَرْقَدين الحبائل

يُنافِس يومي فِيَّ أمْسِي تشرُّفا وتَحْسُد أسحاري علىَّ الاصائل

وطال اعترافي بالزمان وصَرْفه فلستُ أبالِي مَن تَغُول الغوائل

فلو بانَ عَـضْدي مـا تأسَّـف مَنْكِبـي	ولـو مـات زَنْـدي مـا بكَتْـه الانامـل
اذا وَصَـفَ الطـائيَّ بالبُخْـل مـا دِرٌ	وعَــيَّر قُــسَّا بالفَهاهــة باقِــل
وقال الـسُّهَى للـشمس أنـتِ ضَـئيلة	وقـال الـدُجَى للـصُبْح لونُـك حائـل
وطاولَــت الأرضُ الــسماءَ سَــفَاهة	وفـاخَرَت الـشُهْبَ الحَـصَى والجنـادل
فيــا مــوتُ زُرْ إِنّ الحيــاةَ ذميمــةٌ	ويـا نفـسُ جِـدّي انّ دهـرَك هـازل

ومن شعر ابي الحسن التِّهامي

قصيدته الفريدة البالغة في بابها غاية لم يبلغها سواها التي يرثي في أولها

صغيرا له أجاب داعي ربه ويفتخر في آخرها بفضله

ويشكو زمانه وحاسديه وهى هذه

حُكْــمُ المنيّــة في البريــة جــارِ ... مــا هــذه الــدنيا بِــدار قَــرار

بَيْنــا يُــرَى الانــسانُ فيهــا مُخْــبِرا ... حتــى يُــرَى خَــبراً مــن الاخبــار

طُبِعَــتْ عــلى كَــدَرٍ وأنــتَ تُريــدُها ... صَــفْوًا مــن الأقــذار والاكــدار

ومُكَلِّــف الأيــامِ ضِــدَّ طِباعِهــا ... مُتَطَلِّــب في المــاء جَــذْوةَ نــار

واذا رَجَــوْتَ المــستحيلَ فانمــا ... تَبْنِــى الرجــاءَ عــلى شَــفيرٍ هــار

فــالعيشُ نــومٌ والمنيّــة يقظــةٌ ... والمــرءُ بيــنهما خيــالٌ ســار

فاقــضوا مــآربكم عجِــالا انمــا ... أعماركــم ســفرٌ مــن الاســفار

وتراكــضوا خيــلَ الــشباب وبــادِروا ... أن تُــسْتَرَدَّ فــانهنّ عَــوار

فالــدهر يَخْــدَع بــالمُنَى ويُغِــصّ ان ... هَنّــا ويَهْــدِم مــا بَنَــى بِبَــوار

لــيس الزمــانُ وان حَرَصْــتَ مُــسَالِمًا ... خُلُــقُ الزمــانِ عــداوةُ الاحــرار

اني وُتِــرْتُ بــصارمٍ ذي رَوْنَــقٍ ... أعْدَدْتُــه لِطلابــةَ الاوتــار

والــنفسُ ان رَضِيت بــذلك أو أبَــتْ ... مُنْقــادة بأزِمّــة المقــدار

أثْنِــي عليــه بِــأثْرِه ولَــو انّــه ... لم يُعْتَــبَطْ أثنيــتُ بالآثــار

يــا كوكبــا مــا كــان أقْــصَر عُمْــرَه ... وكــذاك عُمْــرُ كواكِــب الاســحار

وهــلالَ أيــامٍ مــضَى لم يَــسْتَدِرْ ... بــدرًا ولم يُمْهَــل لوقــتِ سِرار

عَجِــل الخُــسوفُ عليــه قبــلَ أوانــه ... فمحــاه قَبْــل مَظِنّــة الاِبــدار

واســتُلّ مــن أتْرابــه ولِدَاتِــهِ ... كالمُقْلــة اسْــتُلّتْ مــن الاشــفار

فكــأنّ قلبــي قَــبْرُه وكأنــه ... في طَيّــه سِرٌّ مــن الاسرار

ان يُعْتَــبَطْ صِــغَرًا فَــرُبَّ مُقَمِّــمٍ ... يَبْــدو ضَــئيلَ الــشخص للنُّظّــار

انّ الكواكــبَ في عُلُــوّ محلّهــا ... لَــتُرَى صِــغارًا وهــى غــير صــغار

وَلَـدُ المُعَـزَّى بعـضُه فـاذا مـضى بعـضُ الفتَـى فالكـلُّ في الآثـار
أَبْكيـه ثـم أقـول معتـذِرا لـه وُفِّقْـتَ حـين تركـتَ أَلْأَمَ دار
جـاوَرْتُ أعـدائي وجـاوَرَ رَبَّـه شَـتَّانَ بـين جِـوارِه وجِـواري
أشـكو بِعـادَك لي وأنـتَ بموضـعٍ لـولا الـردَى لَـسَمِعْتَ فيـه مَـزاري
والـشرقُ نحـوَ الغـرب أقـربُ شُـقَّةً مـن بُعـد تلـك الخمـسة الاشـبار
هيهاتَ قـد عَلِقَتـكَ أسبابُ الـردَى واغتـالَ عمـركَ قـاطع الاعـمار
ولقـد جَرَيْـتَ كـما جريـتُ لغايـة فبلغتَهـا وأبـوكَ في المِـضمار
فـاذا نطقـتُ فأنـت أولُ منطِقـي واذا سـكتُّ فأنـت في اضـماري
أخفِـي مـن البُرَحـاءِ نـارًا مثـلَ مـا يُخفِـي مـن النـار الزنـادُ الـواري
وأَخَفِّـض الزَفَـراتِ وهـى صَـواعِد وأُكفِكـفُ العَـبَراتِ وهـى جَـوار
وشِـهابُ نـارِ الحُـزْن ان طاوَعْتُـه أوْرَي وان عاصَـيْتُه مُتَـوارِي
وأكُـفُّ نِـيرانَ الأسَى ولَرُبمـا غُلِـب التَـصَبُّرُ فارْتَمَـتْ بـشَرار
ثـوبُ الرِيـاءِ يَـشِفّ عـما تحتَـه واذا التحَفْـتَ بـه فانـك عـار
قَـصُرَت جُفـوني أم تَباعَـدَ بَيْنُهـا أم صُـوِّرَتْ عينـي بـلا أشـفار
جَفَـت الكَـرى حتـى كـأَنّ غِـرارَه عنـد اغـتماض العـين وَخْـزُ غِـرار
ولـو اسْـتَزَارَتْ وقـدةً لَطَحَـا بِهـا مـا بَـين أجفـاني مـن التَّيَّـار
أحيـي الليـالي الـتّمِّ وهـى تُميتُنـي ويَميـتُهُنّ تـبلُّج الاسـحار
حتـى رأيـت الـصُّبح تهتِـك كفُّـه بالـضوْء رفـرفَ خَيْمَـةٍ كالقـار
والـصبحُ قـد غَمَـرَ النُّجـومَ كأنـه سَـيْلٌ طَغَـى فطَفَـا عـلى النُّـوَّار
لـو كنـتَ تُمْنَـعُ خـاضَ دونَـك فِتْيَـةٌ مِنَّـا بِحـارَ عوامـل وشِـفار
ودَحَـوْا فُوَيْـق الارض أرضـا مـن دَم ثـم انْثَنَـوْا فَبَنَـوْا سـماءَ غُبـار

قــومٌ اذا لبِـسوا الـدروعَ حَـسِبْتَها خُلُجًـا تَمُـدّ بهـا أكُـفٌّ بِحـار

لـو شرَّعـوا أيمـانَهم في طولهـا طَعنـوا بهـا عِـوَضَ القَنـا الخطّـار

جَنَبـوا الجيـادَ إلى المَطّـي وراحـوا بـين الـسُروج هُنـاك والأَكْـوار

وكانما مَلَـؤا عِيـابَ دُروعِهـم وغُمُـود أنْـصُلِهم سَرابَ قِفـار

وكأنما صَـنِعُ الـسَوابِغ عَـزَّهُ مـاءُ الحديـد فَـصاغ مـاءَ قَـرار

زَرَدًا فـأحكَم كُـلَّ مَوْصِـل حَلْقـةٍ بِحَبابِـه في موضـع المـسِمار

فَتَـسَرْبَلُوا بمُتـون مـاءٍ جامـدٍ وتَقَنّعـوا بحَبـابِ مـاءٍ جـار

أسْـدٌ ولكـن يُـؤْثِرون بـزادِهم والأسْـدُ لـيس تَـدين بالايثـار

يَتَـزَيَّن النـادي بحُـسْن وُجـوهِهم كتـزيُّن الهـالات بـالأقمار

يتعطّفـون عـلى المجُـاوِر فـيهمُ بالمُنفْـسِات تعطُّـفَ الأظْـآر

من كـلَ مـن جعـل الظُبَـى أنـصارَه وكَـرُمْنَ واسـتغنَى عـن الانـصار

واذا هـو اعتقـلَ القنـاةَ حَـسِبْتَها صِـلًّا تأبَّطَـه هِزَبْـرٌ ضـار

والليـثُ ان ثاوَرْتَـه لم يَعْتَمِـد الّاعـلى الأنيـاب والاظفـار

زَرَدُ الـدِّلاص مـن الطِعـان يُرِيحـهُ في الجحفَـل المُتـضايِق الجـرّار

مـابين ثـوبٍ بالـدماء مُـضَمَّخٍ زَلِـقٍ ونَقْـعٍ بـالطِّراد مُثـار

والهُـونُ في ظِـلّ الهُوَيْنـا كـامِنٌ وجَلالـة الأَخْطـار في الِاخطـار

تَنْـدَى أسِرَّةُ وجهـه ويمينُـه في حالـة الِاعـسار والِايـسار

ويَمُـدُّ نحـوَ المكْرُمـات أنـامِلا للـرزق في أثنـائهنّ مَجَـارِ

يَحْـوي المَعَـالِيَ كاسِـبا أو غالبـا أبـدًا يُـدارَى دونَهـا ويُـدارِي

قـد لاح في ليـل الـشباب كواكـبٌ ان أُمْهِلَـتْ آلـت إلى الِاسـفار

وتَلَهُّـبُ الاحـشاء شَـيّب مَفْرِقَـى هـذا الـضياءُ شُـواظُ تلـك النـار

شَابَ القَذَال وكلُّ غصنٍ صائرٌ فَيْنَانُه الأحْوَى إلى الازهار

والشِبْهُ مُنْجِذبٌ فَلِمْ بِيْضُ الدُّمَى عن بيض مَفْرَقه ذواتُ نِفار

وتَودّ لو جعلت سوادَ قلوبها وسوادَ أعْيِنُها خِضابَ عِذار

لا تَنْفِر الظَبَيات عنه فقد رأت كيف اختلاف النبت في الأطوار

شيآنِ يَنْقَشعان أوّلَ وهْلةٍ ظِلُّ الشباب وخُلّة الأشرار

لا حَبّذا الشيبُ الوفِّي وحبذا ظِلُّ الشباب الخائنِ الغدّار

وطَرِي من الدنيا الشبابُ ورَوْقُه فاذا انقضَى فقد انقضت أوطاري

قَصُرَت مسافتُه وما حسناته عندي ولا آلاؤه بقِصار

نزدادُ هَمًّا كلما ازددنا غِنًى والفَقْر كّلّ الفقر في الاكثار

ما زاد فوقَ الزاد خُلِّفَ ضائعا في حادث أو وارثٍ أو عار

أنّي لَأرحمُ حاسِدِيَّ لحَرِما ضمِنت صُدورهم من الأوغار

نَظَروا صَنيع الله بي فعُيونُهم في جنةٍ وقلوبُهم في نار

لا ذنبَ لي قد رمتُ كَتْمَ فضائلي فكأنما بَرقْعَتُ وجهَ نهار

وسترتُها بتواضُعي فتطلعت أعناقُها تعلو على الاستار

ومِنَ الرجال مَعالِمٌ ومَجاهِل ومن النجوم غوامضٌ ودَراري

والناسُ مشتبهون في ايرادهم وتفاضُلُ الأقوامِ في الِاصدار

عَمْري لقد أوطأتُهم طُرُقَ العُلا فعَمُوا فلم يَقِفوا على آثاري

لو أبصَروا بقلوبهم لاستبصَروا وعَمَى البصائِر من عَمَى الأبصار

هَلّا سَعَوْا سَعْىَ الكرام فأدركوا أو سَلَّموا لِمَواقع الأَقدار

وفَشَتْ خِيانات الثِقات وغيرهم حتى اتَّهَمْنا رؤيةَ الأبصار

وَلرُبما اعْتَضَد الحليم بجاهلٍ لا خيرَ في يُمْنَى بغير يَسار

من كتاب الصادح والباغم

العَيْشُ بالرزق وبالتقدير ... وليس بالرأي ولا التدبير

في الناس مَن تُسْعِدُه الأقدار ... وفعلُه جميعُه إدبار

مَن عَرَف الله أزالَ التُهَمَهْ ... وقال كلُّ فعلِهِ للحِكمهْ

مَن أنكَر القضاءَ فهو مُشرِك ... انّ القضاء بالعباد أملَك

ونحن لا نُشْرك بالله ولا ... نَقْنَطُ من رحمته اذ نُبْتَلَى

عارٌ علينا وقبيحُ ذِكْرِ ... أن نجعل الكُفْرَ مكان الشكرِ

وليس في العالمِ ظلمٌ جاري ... اذ كان ما يجرى بأمر الباري

أسعدُ العالَم عند الله ... مَن ساعَدَ الناسَ بفضل الجاه

ومَن أغاثَ البائسَ الملهوفا ... أغاثَه الله اذا أُخيفا

إن العظيمَ يدفع العظيما ... كما الجسيمُ يحمل الجسيما

فانّ من خلائِق الكرام ... رحمةَ ذي البلاء والأسقام

وانّ من شرائِط العُلُوّ ... العطفَ في البؤس على العدوّ

قد قَضَت العُقول أنّ الشَّفقه ... على الصَديق والعدوّ صدقة

وقد عَلِمْتَ واللبيبُ يعلم ... بالطبع لا يُرْحَم مَن لا يَرْحَم

فالمرءُ لا يدري متى يُمْتَحن ... فانه في دهره مُرْتَهَن

وان نجا اليومَ فما يَنْجو غدا ... لا يأمَن الآفات الا ذو الرَدَى

لا تَغْــتَرِرْ بــالخَفْض والــسلامة فانمــا الحيــاة كالمُدامــة

والعمرُ مثلُ الكأسِ والدهرُ القَذَرْ والـصَفْوُ لابـدُ لـه مـن الكَـدَر

وكــلُّ انــسان فلابُــدّ لَــهُ مـن صـاحبٍ يَحْمِـل مـا أثقلَـهُ

جَهْـدُ الـبلاء صـحبة الاضـداد فانهــا كَيٌّ عــلى الفــؤاد

أعظـمُ مـا يَلْقَـى الفتـى مـن جَهْدِ أن يُبْـتَلَىَ في جِنْـسِه بالـضِّدّ

فانمــا الرجــالُ بــالِاخوان واليــدُ بالــساعِد والبَنَــان

لا يَحْقِــر الــصُّحْبَةَ الا جاهِــلُ أو مــارِقٌ عــن الرشــادِ غافِــلُ

صُـحْبَةٌ يـوم نَـسَبٌ قريـبُ وذمَّــةٌ يحفظُهــا اللبيــب

ومُوجَــبُ الـصَداقة المُـساعدة ومقتــضى المَــوَدّة المُعاضــدة

لاســيما في النُــوَب الــشدائدِ والمِجــن العظيمــة الأَوَابــد

فــالمرءُ يُحْيــى أبــدا أخــاه وهــو اذا مــا عــدّ مــن أعــداه

وانّ مــن عــاشَرَ قومًــا يومــا ينــصُرُهم ولا يَخــاف لَوْمــا

وانّ مَــن حــارَبَ مَــن لا يَقــوَى لِحَرْبــه جَــرّ إليــه البَلْــوَى

فحــارب الأكْفَــاء والاقرانــا فــالمرءُ لا يُحـارِب الــسلطانا

واقْنَــعْ اذا حارَبْــتَ بالــسلامة واحــذَر فعــالًا توجــبُ الندامــة

فالتــاجُر الكَــيِّس في التِجــارة مَـن خـاف في مَتْجَـره الخَـسارة

يَجْهَــد في تحــصيل رأس مالــه ثــم يَــروم الــرِبْحَ باحتيالــه

وان رأيــتَ النـصر قـد لاحَ لـكَ فــلا تُقَــصِّرْ واحــترِز أن تَهلِكـا

واسْـبِقْ إلى الأجـود سَـبْق الناقِـدِ فَــسَبْقُك الخَــصْمَ مــن المَكَايــد

وانتهِــز الفُرصــة انّ الفرصــة تَــصير إن لم تنتهزْهــا غُــصّة

كــم بَطِـرَ الغالِـب يومـا فـتركْ عنــه التــوقّي واســتهانَ فهلــك

ومَن أضاعَ جُنْدَه في السِلْم … لم يحفظوه في لِقاء الخَصْم

وانّ من لا يَحْفَظ القُلوبا … يُخْذَلُ حين يَشْهَد الحُروبا

والجُنْدُ لا يَرْعَوْنَ مَن أضاعهم … كَلّا ولا يَحْمون مَن أجاعهم

وأضعفُ الملوك طُرًّا عَقْدَا … مَن غَرّه السِلْمُ فأقْصَى الجندا

والحزم والتدبيرُ رُوح العزم … لا خيرَ في عزمٍ بغير حزم

والحزم كل الحزم في المُطاولة … والصبرِ لا في سرعة المزاولة

وفي الخُطوب تَظهر الجواهرُ … ما غَلَبَ الأيامَ الا الصابر

لا تيأسَنْ من فَرَجٍ ولطف … وقُوّة تَظهر بعدَ ضَعْف

فربما جاءَك بعدَ الياسِ … رَوْحٌ بِلا كَدٍّ ولا التماس

في لمحة الطَرف بُكاءٌ وضَحكْ … وناجِذٌ بادٍ ودمعٌ يَنْسَفِك

تَنال بالرِّفْق وبالتأني … مالم تَنَلْ بالحِرْص والتَعَنّي

ما أحسنَ الثباتَ والتَجَلُّدا … وأقبح الحَيْرة والتبلُّدا

ليس الفتَى الا الذي إن طَرَقَهْ … خَطْبٌ تَلَقّاه بصَبْرٍ وثِقَة

اذا الرَزايا أقبلت ولم تَقِفْ … فَثَمّ أحوالُ الرجال تختلِف

وكم لقِيتُ لَذَّةً في زمني … فأصْبِرُ الآنَ لِهَذِي المِحَن

فالموتُ لا يكون الا مَرَّة … والموتُ أحْلَى من حياةٍ مُرَّة

اني من الموت على يقَين … فاَجْهَد الآن لما يَقيني

صَبْرًا على أهوالِها ولا ضَجَرْ … وربما فازَ الفتى اذا صَبَرْ

لا يَجْزَع الحُرّ من المصائب … كلا ولا يَخْضَع للنوائب

فالحرّ للْعِبْء الثقيل يَحْمِلُ … والصَبْرُ عند النائبات يَجْمُلُ

لكل شئٍ مدةٌ وتنقضِي … ما غَلَب الايامَ الا مَن رَضى

قــد صَـدَق القائــل في الكــلام ... لــيس النُهَــى بِعِظَــم العظــام

لا خَــيْرَ في جــسامة الأجــسام ... بــل هــو في العُقــول والافهــام

فالخَيْــل للحــرب وللجَــمَال ... والابــلْ للحَمْــل وللتّرْحــال

لا تَحْتَقِــر شــيأ صــغيرا يُحْتَقَــرْ ... فربمــا أســالتِ الــدمَ الاِبَــرْ

لا تُحْـرج الخـصم ففـي اخْراجـه ... جميــعُ مــا تَكْــرَه مــن لجَاجــة

لا تطلُــب الفائــتَ باللجــاج ... وكَــنْ اذا كويْــتَ ذا إنــضاج

فعــاجِزٌ مــن تــرك الموجــودا ... طَمَاعــةً وطلــبَ المفقــودا

وفَــتِّش الامــور عــن أسرارهــا ... كــم نُكْتَــةٍ جاءتْـك مَـعْ اظهارهـا

لَزِمْــتَ للجهــل قبــيحَ الظــاهِرِ ... ومــا نظــرْتَ حَــسَنَ الــسرائر

لــيس يَــضُرّ البــدرَ في ســناهُ ... أنّ الــضَرير قَــطُّ لا يــراه

كــم حِكمــةٍ أضْــحَتْبها المَحافِــل ... نافِقَــةً وأنــتَ عنهــا غافــل

ويَغْفُلــون عــن خَفــيّ الحكمــة ... ولــو رأوهــا لا زالــوا التهمــة

كــم حَــسَنٍ ظــاهِره قبــيح ... وسَــمِج عُنْوانُــه ملــيح

والحــقّ قــد تَعلَمُــه ثَقِيــل ... أبَــوْهُ الّا نَفَــرٌ قليــل

فالعاقــل الكامــل في الرجــال ... لا يَنْثَنــي لزُخْــرف المقــال

انّ العَــدُوّ قولُــه مَــرْدود ... وقَلَّــما يُــصَدَّق الحــسود

لا تُقْبَــلُ الــدعوَى بغــير شــاهِدِ ... لا ســيما ان كــان مــن مُعانــد

أيؤخــذ الــبَرِئُ بالــسقيم ... والرَجُــل المُحْــسِن بــاللئيم

كــذاكَ مَــن يَسْتَنْــصِح الأعــادي ... يُرْدونَــه بــالغش والفــساد

ان أكَــلَّ مَــن تــرى أذهانــا ... مَــن حَــسِبَ الِاســاءة الِاحــسانا

فــادْفَعْ اســاءةَ العِــدَى بالحُــسْنَى ... ولا تَخَــلْ يُــسْراكَ مِثْــلَ اليُمْنَــى

وللرجـــال فـــاعْلمَنْ مَكايـــدُ وخِــــدَعٌ مُنكَـــرَةُ شَـــدائد

فالنَـــدْب لا يَخْــضَعُ للـــشدائد قَـــطّ ولا يَغْتـــاظ بالمكائـــد

فَرَقِّــع الخَــرْق بلطــفٍ واجتَهِــد وامكُــر اذا لم ينفــع الــصدقُ وكـدِ

فهكـــــذا الحـــازِم اذ يَكيـــد يَبلـــغ في الأعـــداء مـــا يُريـــد

وهـــو بَـــريءٌ مـــنهم في الظـــاهر وغــــيرُه مُخْتَـــضب الاظـــافر

والــشَهْمُ مــن يُــصلِح أمْـرَ نفـسِه ولـــو بقتـــلِ وُلْـــدِه وعِرْســـه

فـــانّ مَـــن يقــصِد قَلْــع ضِرْســه لم يَعتمِـــد الا صـــلاحَ نفـــسه

وانّ مَـــن خَــصّ اللئــيمَ بالنَـــدَى وجدْتـــه كمـــن يُـــرَبِّي أســـدا

ولـــيس في طَبْـــع اللئـــيم شُـــكْر ولـــيس في أصـــل الـــدنيء نَـــصْر

وانّ مَـــــن ألْزَمَـــــه وكَلَّفَـــــه ضِــدّ الــذي في طبعِــه مــا أنْــصَفَه

كـــذاك مَـــن يَـــصْطَنِع الجُهّـــالا ويـــــؤثِر الأرذال والانـــــذالا

لـــو أنكـــم أفاضـــلٌ أحـــرار مـــا ظَهَـــرَتْ بيـــنكم الأسرار

انّ الاصـــولَ تَجـــذِب الفُروعـــا والعِـــرْق دَسّـــاسٌ اذا أُضـــيعا

مــا طــابَ فَــرْعٌ أصــلُه خبيــث ولا زَكـــا مَـــن مَجْـــدُه حـــديث

قـــد يُـــدرِكون رُتَبًـــا في الـــدنيا ويبلُغـــون وَطَـــرًا مـــن بُقْيـــا

لكـــنهم لا يبلُغـــون في الكـــرم مبلَــغ مَــن كــان لــه فيهــا قِــدم

وكـــل مَـــن تَماثَلَـــتْ أطرافُـــهُ في طِيبِهـــا وكَرُمَـــت أســـلافه

كـــان خَليقـــا بـــالعُلَى وبـــالكرم وبَرَعَــتْ في أصــله حُــسْنُ الــشِيم

لـــولا بَنُـــو آدمَ بـــين العـــالَمِ مـــا بـــانَ للعُقـــول فـــضل العـــالمِ

فواحـــدٌ يُعطيـــك فـــضلا وكـــرم فـــذاك مَـــن يكفُـــرُه فقـــد ظَلَـــم

وواحـــدٌ يعطيـــك للمُـــصانعَة أو حاجـــةٍ لـــه إليـــك واقعـــة

لا تَشْرَهَنْ إلى حُطامٍ عاجلِ كم أُكلةٍ أوْدَتْ بنفس الآكِل

واحذر أُخيّ يا فتى من الشَرَه وقِسْ بما رأيتَه ما لم تره

فليس مِن عَقْل الفتى أو كرمه افسادُ شخصٍ كاملٍ لقَرَمِه

فالبَغْيُ داءٌ ما له دواء ليس لمُلْكٍ معه بَقاء

والبغي فاحذْره وخيمُ المَرْتَع والعُجْبُ فاتركه شَديدُ المصرع

والغَدْر بالعهد قبيحٌ جدا شَرّ الورى مَن ليس يَرْعى العهدا

عند تمام الأمر يبدو نَقْصُه وربما ضَرّ الحريصَ حرصُه

وربما ضَرّكَ بعضُ مالكا وساءك المحسِن من رجالكا

فالمرءُ يَفْدي نفسَه بوَفْرِه عساه أن يَنْجُو به من أسْرِه

لا تُعْطِيَنْ شيأ بغير فائدة فانها من السجايا الفاسدة

في خواص مصر العامة لها لعبد اللطيف البغدادي

انّ أرض مصر من البلاد العجيبة الآثار الغريبة الاخبار وهى واد يكتنفه جَبَلان شرقيّ وغربيّ والشرقي أعظمُهما يبتدئان من أسوان ويتقار بان باسنا حتى يَكادا يتماسّان ثم ينفرجان قليلا قليلا وكلما امتدّا طولا انفرجا عرضا حتى اذا حاذيا الفُسْطاط كان بينهما مسافة يوم فما دونه ثم يتباعدان أكثر من ذلك والنيلُ ينساب بينهما ويتشعب بأسافل الارض وجميعُ شُعَبه تَصُبّ في البحر المالح

وهذا النيل له خاصّتان الاولى بُعْد مرماه فانا لا نعلـم في المعمـورة نهـرا أبعـد مسافةً منه لانّ مبَادئَه عُيون تأتي من جبل القمر وزعموا ان هـذا الجبـل وراء خط الاستواء باحدى عشرة درجة ونصف درجة وعرضُ اسوان وهـى مبـدأ أرض مـصر اثنتـان وعـشرون درجـة وعـرض دميـاط وهـى أقـصى أرض مـصر احـدى وثلاثون درجة وثلث درجة فتكون مسافة النيل على خط مستقيم ثلاثا واربعـين درجة تنقص سدسا ومساحة ذلك تقريبا تسعمائة فرسخ هذا سوى ما يأخذ من التعريج فان اعتبر ذلك تضاعفت المساحة جدا والخاصة الثانيـة أنـه يزيـد عنـد نُضوب سائر الانهار ونَشيش المياه لانه يبتدئ بالزيادة عنـد انتهـاء طـول النهـار وتتناهى زيادته عند الاعتدال الخريفي وحينئذ تُفتح الترع ونَفيض على الاراضي وعلّة ذلك ان مواد زيادته أمطار غزيرة دائمـة وسـيول متواصـلة تُمِـدُّه في الأوان فان أمطار الاقليم الاول والثاني انما تَغْزُر في الصَّيف والقَيظ

وأما أرض مصر فلها أيضا خَواصّ منها انه لا يقع بها مطـر الا مـالا احتفـال به وخصوصا صَعيدها فاما أسافلها فقد يقع بهـا مطـرٌ جَـوْد لكنـه لا يفـي بحاجة الزراعة وأما دِمْياط والاسكَندرية ومـا دانـاهما فهـى غزيـرة المطـر ومنه يشربون وليس بأرض مصر عين ولا نهر سـوى نيلْهـا ومنهـا أن أرضـها رملية لا تصلح للزراعة لكنـه يأتيهـا طـينٌ أسـودُ عَلِـكٌ فيـه دُسـومة كثـيرة يُسمى الابْليز يأتيها من بلاد السودان مختلطا بماء النيل عند مَدِّه فيـستقر الطين ويَنْضُب الماء فيُحْرَث ويـزرع وكـل سـنة يأتيهـا طـين جديـد ولهـذا تـزرع جميـع أراضـيها ولا يـراح شـئ منهـا كـما يفعـل في العـراق والـشام لكنها تُخالَف عليها الاصـناف وقـد لحظـت العـرب ذلـك فانهـا تقـول اذا

كثرت الرياح جادت الحِراثة لانها تجئ بتراب غريب وتقول أيضا اذا كثرت المؤْتَفِكات زكا الزرع ولهذه العلة تكون أرض الصعيد زكيّة كثيرة الاِتاء والرَيْع اذ كانت أقربَ إلى المبدأ فيحصل فيها من هذا الطين مقدار كثير بخلاف أسفل الأرض فانها أُسافَةٌ مَضْوية اذ كانت رقيقة ضعيفة الطين لانه يأتيها الماء وقد راق وصَفا ولا أعرف شبيها بذلك الا ما حكى لي عن بعض جبال الاقليم الاول ان الرياح تأتيه وقت الزراعة بتراب كثير ثم يقع عليه المطر فيتَلَبّد فيُحْرَت ويُزْرَع فاذا حُصِد جاءته رياح أخرى فنَسَفَتْه حتى يعود اجْرَدَ كما كان أوّلا

ومنها أن الفصول بها متغيرة عن طبيعتها التي لها فان أخص الاوقات باليُبْس في سائر البلاد أعني الصيف والخريف تكثر فيه الرطوبة بمصر بمدّ نيلها وفَيْضه لأنه يَمُدّ في الصيف ويُطَبّق الارضَ في الخريف فأما سائر البلاد فانّ مياهَها تَنِشّ في هذا الاوان وتَغْزُر في أخصّ الاوقات بالرطوبة أعني الشتاء والربيع ومصر اذ ذاك تكون في غاية القحولة واليُبْس ولهذه العلة تكثر عفوناتها واختلاف هوائها وتغلِب على أهلها الامراض العَفَنِيّة الحادثة عن أخْلاطٍ صفراوية وبَلْغَمِيه وقَلّما تجد فيهم أمراضا صفراوية خالصة بل الغالب عليها البلغم حتى في الشُّبّان والمَحْرورينَ وأكثر أوراضهم في آخر الخريف وأوّل الشتاء لكنها يغلب عليها سلامة العاقبة وتقِلّ فيهم الامراض الحادّة والدموية الوَحِيّة وأما أصحّاؤهم فيغلب عليهم التَرَهُّل والكسل وشُحُوب اللون وكُمودته وقَلّما ترى فيهم مَشْبوب اللون ظاهر الدَمامة وقلّة النَضارة وانما تَحْدث لهم البَدانة والقَسامة غالبا بعد العشرين وأما ذَكاؤهم وتَوَقُّد أذهانِهم وخِفّة حركاتهم

فلحرارة بَلَدِهم الذاتِية لأنّ رطوبتـه عرضـية ولهـذا كـان أهـل الـصعيد أقْحـلَ جُسوما وأجَفّ أمزجـة والغالـب علـيهم الـسُمرة وكـان سـاكنو الفُـسْطاط إلى دمياط أرْطَبَ أبدانًا والغالب عليهم البياض ولما رأى قُدَماء المصريين أنّ عمارة أراضيهم انما هى بِنِيلها جعلوا أوّلَ سَنَتهم أول الخريف وذلك عند بلوغ النيل الغاية القصوى من الزيـادة ومنهـا أنّ الـصَّبا محجوبـة عـنهم بجَبَلِهـا الـشرقي المُسمى المقطَّم فانه يستر عنها هذه الريح الفاضلة وقَلّما تَهُبّ عليهم خالـصة اللـهم الا نَكْباءَ ولهذا اختار قدماء المصريين أن يجعلـوا مـستقرَ المُلْـك مَنْـف ونحوها مما يَبْعُد عن هذا الجبل الشرقي إلى الغربي واختار الروم الاسـكندريةَ وتجنبوا مواضعَ الفُسْطاط لقُرْبه من المقطَّم فانّ الجبل يَسْتُرعما في لِحْمِه أكـثر مما يستر عما بَعُد منه ثم ان الشمس يتأخر طلوعها عليهم فيقـلّ في هـوائهم النُضْج ولذلك تجد المواضع المنكشفة للصبا مـن أرض مـصر أحـسنَ حـالا مـن غيرها ولكثرة رطوبته يَتَسارع العَفَن إليها ويكثرُ فيها الفأر ويتولـد مـن الطـين والعقاربُ تكثُر بقُوص وكثيرا ما تَقْتُل بلَسْبها والبَقّ المُنـتْن والـذُباب والبراغيـث تدوم زمانا طويلا ومنها أنّ الجَنُوب اذا هَبّت عندهم في الشتاء والربيع وفيما بعد ذلـك كانـت بـاردةً جـدا ويُـسَمُّونَها المَرِيـسِي لمرورهـا عـلى بـرِكَ ونقـائع والـدليل عـلى صحة ذلـك انهـا اذا دامـت أيامـا متواليـة عـادت إلى حرارتهـا الطبيعية وأسْخَنَتِ الهواء وأحدثت فيها يُبْسا

أصالةُ الرأي صانَتْني عن الخَطَلِ … وحِليةُ الفضل زانَتْني لَدَى العَطَلِ
مَجْدي أخيراً ومجدي أولًا شَرَعٌ … والشمس رادَ الضحى كالشمس في الطَفَلِ
فيمَ الاقامةُ بالزَوراء لا سَكَني … بها ولا ناقتي فيها ولا جَمَلي
ناءٍ عن الاهل صِفْرُ الكَفّ منفردِ … كالنَصْل عُرِّيَ مَتْناهُ عن الخِلَلِ
فلا صَديق إليه مشتكَى حَزَني … ولا حبيب إليه منتَهَى جَذَلي
طال اغترابيَ حتى حَنّ راحِلَتي … ورَحلُها وقَنا العسّالةِ الذُبُلِ
وضَجّ من لَغَبٍ نِضْوي وعَجّ لِمَا … يلقاه قلبي ولَجّ الركْبُ في عَذلي
أريد بَسطَةَ كَفٍّ أستعين بها … على قضاء حقوقٍ للعُلَى قِبَلي
والدهرُ يَعكِس آمالي ويُقنِعُني … من الغنيمة بعد الكدّ بالقَفَلِ
وذي شَطَاط كصدر الرمح مُعتَقِلٍ … بمثْله غير هَيّابٍ ولا وَكِلِ
حُلو الفُكاهة مُرّ الجِدّ قد مُزِجَتْ … بقَسوة البأسِ منه رِقّةُ الغَزَلِ
طَرَدْتُ سَرْحَ الكَرَى عن وِرْدِ مقتله … والليلُ أغرَى سَوامَ النَوْم بالمُقَلِ
والراكبُ مِيلٌ على الاَكوارِ من طَرِبٍ … صاحٍ وآخَرَ من خمر الكَرَى ثَمِلِ
فقلت أدعوك للجُلَّي لتنصُرني … وأنت تَخْذُلُ في الحادث الجَلَلِ
تَنام عيني وعينُ النجم ساهرة … وتَستحيل وصِبْغ الليل لم يَحُلِ
حُبُّ السلامة يَثْني هَمَّ صاحِبه … عن المَعَالِي ويُغْرِي المرءَ بالكَسَلِ
فان جَنَحْتَ إليه فاتخِذْ نَفَقًا … في الارض أو سُلّما في الجوّ فاعتَزِلِ
ودَعْ غِمارَ العُلَى للمقْدِمين على … رُكوبِها واقتنِعْ منهنّ بالبَلَلِ
يَرْضَى الذليلُ بخَفْض العَيْش مَسْكَنةً … والعِزُّ بين رَسِيم الأَيْنُق الذُلُلِ
فأدْرأ بها في نحور البيد جافلةً … مُعارِضات مَثَانِي اللُّجْم بالجُدُلِ

انّ العُلَى حدّثَتْنِي وهي صادقة ... فيما تُحدِّث أنّ العِزّ في النُقَل

لو انّ في شَرَف المَأْوَى بلوغَ مُنًى ... لم تَبْرَح الشمسُ يوما دارةَ الحَمل

أهَبْتُ بالحَظّ لو ناديتُ مُسْتمِعًا ... والحَظّ عَنّيَ بالجُهّال في شُغُل

لَعَلّه إن بدا فَضْلِي ونَقْصُهُمُ ... لعِينه نام عنهم أو تنبّه لي

أُعَلِّل النَفْسَ بالآمال أرقُبُها ... ما أضيقَ العيشَ لولا فُسْحةُ الأَملَ

لم أرضَ بالعيش والايام مُقبلة ... فكيف أرضى وقد ولَت على عَجل

غالَي بنفسي عِرفانِي بقيمتها ... فَصُنْتُها عن رَخيص القَدْر مبتذَل

وعادةُ النَصْل أن يُزْهَى بجوهَرِه ... وليس يَعْمَل إلّا في يَدَيْ بَطَل

ماكنتُ أُوثِر أن يَمْتَدَّ بي زَمَنِي ... حتى أَرَى دولَةَ الأَوغاد والسِّفَل

تَقدّمنِي أُناس كان شَوْطُهُم ... وراءَ خَطْوِيَ اذ أمشِي على مَهَل

هذا جزاءُ امِرئ أقرانُه دَرَجوا ... مِن قَبْله فتمنَّى فُسْحةَ الأَجَل

وان علانِيَ مَن دونِي فلا عَجَبٌ ... لي أُسوةٌ بانحطاط الشمس عن زُحَل

فاصبِرْ لها غيرَ مُحتال ولا ضَجِر ... في حادث الدهر ما يُغْنِي عن الحيَل

أعدَى عدُوّك أدنى مَن وَثِقْتَ به ... فحاذِر الناسَ واصحَبْهم على دَخَل

فانما رَجُل الدنيا وواحدُها ... مَن لا يعوِل في الدنيا على رجل

وحُسنُ ظنِّك بالايام مَعْجَزَةٌ ... فَظُنّ شرًّا وكُنْ منها على وَجَل

غاضَ الوفاء وفاضَ الغَدْرُ وانفرجت ... مسافةُ الخُلْف بين القول والعمل

وشانَ صِدْقَك بين الناس كِذْبُهُمُ ... وهل يُطابَقُ مُعْوَجٌّ بمتعدل

ان كان ينجَع شئ في ثَباتِهم ... على العُهود فَسَبْق السيف للعَذَل

يا واردًا سُؤْرَ عَيْشٍ كُلُّه كَدَرٌ ... أنْفَقْتَ صَفْوَك في أيامِك الأُوَل

فيمَ اعتراضُك لُجَّ البحر تركَبُه ... وأنت تكفِيك منه مَصَّة الوَشَل

مُلْكُ القناعة لا يُخْشى عليه ولا ... يُحتاج فيه إلى الأَنصار والخَوَل

ترجـو البقـاءَ بـدارٍ لا ثَبـاتَ لهـا — فهـل سـمِعتَ بِظـل غـيرِ مُتنقـل
ويـا خبـيرا عـلى الأَسْرار مُطَّلِعـا — أُصْمُتْ ففي الصَمْت مَنْجاةٌ من الزلَـلَ
قـد رَشَّـحوك لأمـرٍ ان فَطِنْـتَ لـه — فأرْبَـأْ بنفسك أن تَرْعَـى مـع الهَمَـل

قال الطغرائي يفتخر

أبي اللـه أن أسْـمو بغـير فـضائلي — اذا مـا سـما بالمـال كـلُّ مُـسَوّدَ
وان كَرُمَـتْ قـبلي أوائـلُ أُسْرَتي — فـاني بحمـد اللـه مبـدأ سُـؤْددي
يُـذَمُّ لأجـلي المُهْـر ان يكْـبُ مـرةً — بجَـدّي وان يـنهض بجِـدّي يُحْمَـدِ
ومـا منـصِبٌ الا وقَـدْرِيَ فوقَـه — ولـو حُـطَّ رَحْـلي بـين نَـسْرٍ وفَرْقَـد
اذا شرُفـت نفـسُ الفتـى زاد قـدرُه — عـلى كـل أسـنَي منـه ذِكْـرا وأمجـد
كـذاك حديـد الـسيف ان يَـصْفُ جـوهر — فقيمتُـه أضـعافه وَزْن عَـسْجَد
تكـادُ تَـرَى مَـن لا يُقـاس نِجـادُه — بِشسْعِي اذا ما ضَـمَّنا صَـدرُ مَـشهد
ومـا المـالُ الا عـارةٌ مَـسْتَرَدّة — فهـلّا بفـضلي كـاثَروُني ومَحِتـدي
اذا لم يكـن في الولايـة بَـسْطة — يَطول بهـا بـاعي وتَـسطو بهـا يـدي
ولا كـان لي حُكْـم مُطـاع أجيـزه — فـأُرغِم أعـدائي وأَكْبِـتُ حُـسَّدي
فأُعْـذَرُ ان قـصَّرتُ في حَـقّ مُجْتَـدٍ — وآمـنُ أن يعتـادني كيـدُ مُعتـد
أأُكفَـي ولا أَكفِـي وتلـك غَـضاضة — أرى دونَهـا وقْـعَ الحُـسامِ المُهَنَّـد
ولـو لا تكـاليف العُـلَى ومَغـارِمٌ — ثِقـالٌ وأعقـاب الاحاديـث في غـد

لأعطيــتُ نفــسي في الــتخلّي مُرادَهــا فذاك مُرادي مُـذ نـشأتُ ومقـصِدي

مــن الحــزم أن لا يَـضْجَر المرءُ بالـذي يُعانيـه مــن مكروهــة فكــأن قــد

اذا جَلــدِي في الامــر خــانَ ولم يُعِــنْ مُرَيْـرَةَ عزمِـي نـابَ عنـه تَجَلُّـدي

ومَــن يَــسْتَعِن بالــصبر نــال مُــرادَه ولــو بعــدَ حــين انــه خــيرُ مُــسْعِد

المقامة الاولى الصَنْعانية

حدّث الحارث بن هَمّام قال لما اقتعدْتُ غارِب الاغـترابْ وأنـأَتني المَتْرَبـة عـن الاتْراب طوّحتْ بي طوائحُ الـزمن إلى صَـنعاء الـيمن فـدخلتُها خـاوىَ الوِفـاض بادِىَ الإنْفاض لا أمْلِك بُلْغه ولا أجد في جِرابي مُضْغه فطِفقْتُ أجـوب طُرقاتهـا مِثْلَ الهائم وأجُول في حَوْماتها جَوَلانَ الحائم وأروَد في مسارح لمَحَاتي ومَـسايح غَدَواتي ورَوْحاتي كريما أُخِلْق له دِيباجَتي وأبُوح إليـه بحـاجَتي أو أدِيبًـا تُفَـرِّج رُؤْيَتُه غُمَّتي وتُرْوِي رِوايَتُه غُلَّتي حتى أدَّتْني خاتمةُ المَطـاف وهَـدَتْني فاتحـةُ الأَلْطاف إلى نادٍ رَجيبٍ مَحْتَو على زِحام ونَحيب فَوَلَجْتُ غابَةَ الجَمْع لأَسْبُر مَجْلَبَةَ الدَمْع فرأيت في بُهْرَة الْحَلْقه شَخْصا شَخْتَ الخِلْقة عليه أُهْبَة الـسِياحة ولـه رَنّـة النِياحة وهو يَطْبَع الأَسْجَاع بجَوَاهِرِ لَفْظِه ويَقْـرَعُ الأَسْـماع بزَوَاجـر وَعْظِـه وقـد أحاطَت به أخْلاط الزُمَرْ إحاطَةَ الهالة بالقَمَرْ والأَكْمام بالثَمَر فَدَلَفْتُ إليه لأَقْتَبِس من فوائده وأَلْتَقِطَ بعضَ فرائده فـسِمعتُه يقـول حـينَ خَـبّ في مَجالـه وهَـدَرَتْ شَقاشِـقُ ارتِجالـه أيُّهـا الـسَادِر في غُلَوَائـه الـسَادِل ثَـوْبَ خُيَلائـه الجَـامح في

جَهلاته الجانح إلى خُزَعْبِلاته إلاَمَ تَستَمرّ على غَيّك وتَستَمْرِئُ مَرْعَى بَغْيك وحَتّامَ تَتَناهَى فِي زَهْوِك ولا تَنْتَهي عن لَهْوِك تُبارِزُ بمعصيَتك مالِكَ ناصِيَتِك وتَجْتَرِئُ بقُبْح سِيرتِك على عالِم وتَتَوارَى عن قرِيبك وأنتَ بمَرْأى رَقِيبك وتَسْتَخْفِي من مَمْلوكك وما تَخْفَى خافِيَةٌ على مَلِيكك أتَظُنّ أن سَتَنْفَعُك حالُك اذا آنَ ارْتِحالُك أو يُنْقِذُك مالُك حين تَوبِقك أعمالُك أو يُغْني عنك نَدَمُك اذا زَلّت قَدَمُك أو يَعْطف عليك مَعْشَرُك يَوْمَ يَضُمُّك مَحْشَرُك هَلّا انْتَهَجْتَ مَحَجّةَ اهْتِدائك وعَجَّلْتَ مُعالَجَةَ دائك زفَلَلْتَ شَبَاةَ اعْتِدائك وقَدَعْتَ نفسَك فهي أكبَرُ أعدائك أمَا الحِمامُ ميعادُك فما إعْدادُك وبالمَشيب انْذَارُك فما اعْذَارُك وفي اللَحْد مقَيلُك فما قِيلُك وإلى الله مَصِيرك فَمَنْ نَصِيرك طالَمَا أيْقَظَك الدَهْرُ فَتَنَاعَسْت وجَذَبَك الوَعظْ فتَقَاعَسْت وتَجَلّت لك العِبَر فتَعَامَيْت وحَصْحَص لك الحقّ فتَمَارَيْت وأَذْكَرَكَ المَوْتُ فتَنَاسَيْت وأمْكَنَك أن تُوَاسَى فما آسَيْت تُؤْثِر فَلْسًا تُوعِيه على ذِكْرٍ تَعِيه وتَخْتار قَصْرا تُعْلِيه على بِرّ تُولِيه وتَرْغَب عن هادٍ تَسْتَهْدِيه إلى زادٍ تَسْتَهْدِيه وتُغَلّب حُبّ ثَوْبٍ تَشْتَهيه على ثَوَابٍ تَشْتَريه يَوَاقيتُ الصِّلات أعْلَقُ بتَقَلْبك من مَواقيت الصَلاة ومُغالاةُ الصَّدُقات آثَرُ عندك من مُوالاة الصَدَقات وصحافُ الاَلْوان أشْهَى إليك من صَحائف الاَدْيان ودُعابَةُ الاَقْران آنَسُ لك من تِلاوة القرآن تَأْمُر بالعُرْف وتَنْتَهك حِماه وتَحْمي عن النُكْر ولا تَتَحاماه وتُزَحزِح عن الظُلْم ثم تَغْشاه وتَخْشَى الناسَ والله أن تَخْشاه ثم أنشد

تَبًّا لِطالِب دُنْيا ... ثَنَى إليها انْصِبَابَهْ

ما يَسْتَفِيق عَرَاما بها وفَرْطَ صَبابَه

ولو دَرَى لَكَفَاهُ مما يَرُوم صُبابَهْ

ثم انه لَبَّدَ عَجَاجَتَهْ وغَيَّضَ مُجَاجَتَهْ واعْتَضَد شَكْوَتَهْ وتَأَبَّطَ هِراوَتَهْ فلما رَنَتْ الجماعَة إلى تَحفُّزِه ورَأَتْ تَأَهُّبَه لمُزايَلة مَرْكَزه أدْخَلَ كلُّ منهم يَدَه في جَيْبه فأفْعَمَ له سَجْلا من سَيْبه وقال اصرفْ هذا في نَفَقَتِك أو فَرِّقْهُ على رُفْقَتِك فَقَبِله منهم مُغْضِيا وانْثَنَى عنهم مُثْنِيا وجَعَل يُوَدِّع من يُشَيِّعه ليَخْفَى عليه مَهْيَعُه ويُسَرِّب مَن يَتْبَعُه لكَيْ يُجْهَل مَرْبَعه (قال الحارث بن همام) فاتَّبَعْتُه مُوَارِيًا عنه عِيَانِي وقَفَوْتُ إثْرَه من حيث لا يَراني إلى مَغاره فأنسابَ فيها على غِرارَه فأمْهَلْتُه رَيْثَما خَلَع نَعْلَيْه وغَسَل رِجْلَيْه ثم هَجَمْتُ عليه فَوَجَدْتُه مُثافِنًا لتِلْميذ على خُبْزٍ سَميذ وجَدْيٍ حَنيذ وقُبَالَتَهُما خابِيَةُ نَبيذ فَقُلْت له يا هذا أيكون ذاكَ خَبَرَك وهذا مَخْبَرَك فزَفَر زَفْرَةَ القَيْظ وكادَ يَتَمَيَّزُ منَ الغَيْظ ولم يَزَلْ يُحَمْلِق إليّ حتى خِفْتُ أنْ يَسْطُوَ عَلَيّ فلمّا انْ خَبَتْ نارُه وتَوارَى أو ارُه أنشد

لَبِسْتُ الخَمِيصة أبْغِي الخَبيصة وأنْشَبْتُ بِشِصِّيَ في كل شِصَة

وصَيَّرْتُ وَعْظِيَ أحْبُولَةً أُرِيغُ القَنِيصَ بها والقَنِيصة

وألْجَأَنِي الدَهْر حتى وَلَجْتُ بلُطْف احْتيالِي على اللَّيْث عِيصة

على أنني لم أَهَبْ صَرْفَه ولا نَبَضَتْ لِيَ منه فَريصة

ولا شَرَعَتْ بِي على مَوْرِدٍ يُدَنِّس عِرْضِيَ نَفْسٌ حَرِيصة

ولو أنصف الدَهْرُ في حُكْمِه لَمَا مَلَّكَ الحُكْمَ أهلَ النَقيصة

ثم قال لي ادْنُ فَكُلْ وان شِئْتَ فَقُمْ وقُلْ فالْتَفَتُّ إلى تِلميذه وقُلْتُ عَزَمْتُ عليك بِمَن تَسْتَدْفِع به الأَذَى لَتُخْبِرَنِّي مَن ذَا فقال هذا أبو زَيد السَرُوجِيّ سِراج الغُرباء وتاجُ الأُدَباء فانْصَرَفْتُ من حيث أتَيْتُ وقَضَيتُ العَجَب مما رأيْت

المقامةُ الثالثة الديناريّة

رَوَى الحارث بن هَمّام قال نَظَمنِي وأخْدانًا لي نـاد لم يَخِبْ فيه مُناد ولا كَبَا قَدْح زِناد ولا ذَكَتْ نارُ عِناد فَبَيْنا نَحْنُ نَتَجاذَبُ أطرافَ الاناشيد ونَتَوارَد طُرفَ الآسانيد اذْ وَقَفْ بِنا شَخْصٌ عليه سَمَل وفي مِشْيتِه قَزَل فقال يا أَخايِرَ وبَشائر العَشائر عِمُوا صَباحا وأنْعِموا اصْطِباحا وانظروا إلى مَن كان ذَا نَدِيٍّ ونَدَى وجِدَةٍ وجَدَي وعَقَارٍ وقُرَى ومَقارٍ وقَرى فما زالَتْ به قُطُوب الخُطُوب وحُرُوب الكُرُوب وشَرَرُ شَرّ الحَسُود وانْتِيابُ النُوَب السُود حتى صَفِرَت الرَاحَة وقَرِعَت السَاحة وغارَ المَنْبَع ونَبَا المَرْبَع وأقْوَى المَجْمَع وأَقَضّ المَضْجَع واسْتَحَالَت الحال وأعْولَ العِيال وخَلَت المَرابِط ورَحِم الغابِط وأوْدَى الناطِقُ والصَامِت ورَثَي لنا الحاسِدُ والشَامِت وآلَ بِنا الدَهْرُ المُوقِع والفَقْر المُدْقع إلى أن احْتَذَيْنا الوَجَى واغْتَذَيْنا الشَجَى واسْتَبْطَنّا الوِهاد واسْتَوْطَأْنا القَتاد وتَنَاسَيْنا الأقْتاد واسْتَطَبْنا الحَيْنَ المُجْتاح واسْتَبْطَأنا اليومَ المُتَاح فهل من حُرٍّ آسٍ أو أمْلِك بَيْتَ لَيلة (قال الحارث بن همام) فأوَيْتُ لمَفاقره ولَوَيْتُ لي اسْتِنْباط فِقَره

فأبْرَزْتُ جينارا وقلت له اختِبارا ان مَدَحْتَه نَظْما فهو لَك حَتْما فانبَرى ينشد في الحال من غير انتحال

أكْـرِمْ بِـهِ أصْـفَرَ راقَـتْ صُـفْرَتُهْ   جَـوّابَ آفــاقٍ تَرامَــتْ سَــفْرَتُه

مَـــأْثُورَةٌ سُـــمْعَتُه وشُـــهْرَته   قـد أُودِعَــتْ سِرَّ الغِنَــى أسِرَّتُــه

وقارَنَـتْ نُجْـحَ المَسَاعِي خَطْرَتُـه   وحُبِّبَــــتْ إلى الأنــــامِ غُرَّتُــــه

كانما مــن القُلــوب نُقْرَتُـــه   بـــه يَــصُول مَــن حَوَتْــه صُرَّتــه

وانْ تَفانَـــتْ أو تَوانَـــتْ عتْرَتُـــه   يـــا حَبّــــذَا نُــضارُه ونَــــضْرَتَهُ

وحَبّــــذا مَغْناتُــــه ونُــــصْرتَهُ   كــم آمــر بــه اسْــتَتَبَّتْ إمْرَتُــه

ومُــتْرَفٍ لَــوْلاهُ دامَــتْ حَــسْرَتُه   وجَــيْشِ هَــمٍّ هَزَمَتْــه كَرَّتُــهُ

وبَــدْر تــمّ أنْزَلَتْــه بَدْرَتُــه   ومُسْتَــشِيطٍ تَتَلَظّــى جَمْرَتُــه

أسَرَّ نَجْــواهُ فَلَانــتْ شِرَّتُــه   وكــم أسِــيرٍ أسْــلَمَتْه أُسْرَتُــه

أنْقَــذَه حتــى صَــفَتْ مَــسَرَّتُه   وحَــقِّ مُــوْلًى أبْدَعَتْــه فِطْرَتُــه

لولا التُقَى لقلتُ جلّت قدرتُه

ثم بَسَطَ يَدَه بعدَ ما أنْشَدَه وقال أنْجَزَ حُرٌّ ما وَعَد وسَحَّ خالٌ اذ رَعَد فَنَبَذْتُ الدينار إليه وقلت خُذْه غيرَ مأسُوف عليه فوضَعَه في فِيه وقال بارِك اللـهم فيه ثم شَمّر للانْثِناء بعد تَوْفِية الثَنَاء فَنَشَأَتْ لي من فُكَاهَتِه نَشْوَةُ غَرام سَهَّلتْ عَلَيَّ ائتناف اغْترام فَجَرّدْتُ دينارًا آخَر وقُلْت هل لك في أن تَذُمَّه ثم تَضُمَّه فأنشد مُرْتَجلا وشَدَا عَجِلا

تبَّالَــهُ مــن خــادِع مُــمَاذق   اصْـــفَرَ ذِي وَجْهَــيْن كالمُنَـــافِق

يَبْـدُو بوَصْـفَين لِعَـين الرامِـق زينـة مَعْـشُوق ولَـوْن عاشِـق

وحُبُّـه عنـد ذَوِي الحَقَـائق يَـدْعُو إلى ارْتِكـاب سُـخْط الخـالق

لـولاهُ لم تُقْطَـع يَمِـينُ سـارِق ولا بَـدَتْ مَظْلَمـةٌ مـن فاسِـق

ولا اشْـمأَزّ باخِـلٌ مـن طـارِق ولا شَـكَا المَمْطُـولُ مَطْـلَ العـائق

ولا اسْـتُعِيذ مـن حَـسُودٍ راشِـق وشَرُّ مـا فيـه مـن الخَلائـق

أنْ لـيس يُغْنِـي عنـكَ المَـضايِق الّا اذا فَـرّ فِـرارَ الآبِـق

وَاهًـا لِمَـن يَقْذفُـه مـن حـالق ومَـن اذا نَاجـاهُ نَجْـوَى الوامِـق

قـال قَـوْلَ المُحِـقّ الـصَادِق لا رأْيَ في وَصْـلِك لِي ففـارِقِ

فقلت له ما أغْزَرَ وَبْلَكْ فقال والشَرْطُ أمْلَكْ فَنَفَحْتُه بالدينار الثاني وقلتُ له عَوِّذْهُما بالمَثَاني فألقاهُ في فَمِه وقَرَنَه بتَوْأَمِه وانْكَفَأَ يَحْمَدَ مَغْداه ويَمدَح النادِيَ ونَداه (قال الحارث بن همام) فناجاني قلبي بأنه أبو زَيد وأنّ تَعارُجه لِكَيْد فاسْتَعَدْتُه وقلتُ له قد عُرِفْتَ بِوَشْيِك فاسْتَقمْ في مَشْيِك فقال ان كنتَ ابنَ همّام فَحُيِّيتَ باكْرام وحَيِيتَ بين كِرام فقلتُ والحَوادث فقال أتَقَلّب في الحالَيْن بؤُسْ ورَخاء وأنْقَلِب مع الرِّيَحينِ زَعْزَع ورُخاء فقلتُ كيف ادَّعيْتَ القَزَل وما مِثْلُك مَن هَزَل فاسْتَسَرّ بِشْرُه الذي كان تَجَلّى ثم أنشدَ حين وَلّى

تَعارَجْـتُ لا رَغْبَـةً في العَـرَجْ ولكـن لأَقْـرَعَ بـابَ الفَـرَجْ

وأَلْقِـيَ حَـبْلِي عـلى غـارِبي وأَسْـلُكَ مَـسْلَكَ مَـن قـد مَـرَجْ

فـان لامَنـي القَـوْمُ قلـتُ اعْـذُرُوا فلـيس عـلى أعْـرَجٍ مـن حَـرَجْ

(حدّث الحارث بن همّام) قال عُنيتُ مُذْ أحكَمْت تدبيري وعَرَفْتُ قَبِيلي من دَبيري بأن أُصْغِي إلى العِظات وأُلْغِي الكَلِم المُحْفِظات لأتَحَلَّى بمحاسن الاخلاق وأتَخَلَّى مما يَسِم بالاِخلاق وما زِلْتُ آخُذُ نفسي بهذا الأدب وأُخْمِدُ به جَمْرَة الغَضَب حتى صار التَّطَبُّع فيه طِباعا والتَكَلُّف له هَوَى مُطاعا فلما حَلَلْتُ بالرَّيّ وقد حَلَلْتُ حُبَي الغَيّ وعَرَفْتُ الحَيّ من اللَّيّ رأيتُ بها ذاتَ بكْرَة زُمْرةً في إثْر زُمْرَة وهم مُنْتَشِرون انتِشار الجراد ومُسْتَنُّون اسْتِنانَ الجِياد ومُتواصِفون واعِظًا يَقْصِدونه ويُحِلُّون ابنَ سَمْعون دونه فلم يَتَكَاءَدْنِي لاسْتِماع المَوَاعظ واخْتِبار الواعظ أن أُقاسِي اللّاغِط وأحْتَمِل الضَاغِط فأصْحَبْتُ اصْحابَ المِطْواعَة وانْخَرَطْتُ في سِلْك الجماعة حتى أفْضَيْنا إلى ناد جَمَعَ الاميرَ والمأمور وحَشَد النَبيه والمَغْمور وفي وَسَط هالَتِه ووَسْط أهِلَّته شَيْخٌ قد تَقَوَّسَ واقْعَنْسَسَ وتَقَلَّس وتَطَلَّسَ وهو يَصْدَع بوَعْظٍ يَشْفِي الصُدور ويُلين الصُخور فَسَمِعْتُه يقول وقد افْتَتَنَتْ به العُقول ابنَ آدمَ ما أغْراكَ بما يَغُرُّك وأضْراك بما يَضُرُّك وألهَجك بما يُطْغيك وأبْهَجَك بما يُطْرِيك تُغْنَي بما يُعَنِّيك وتُهْمِل ما يَعْنيك وتَنْزِع في قَوْس تَعَدِّيك وتَرْتَدِي الحِرْصَ الذي يُرْدِيك لا بالكَفَاف تَقْتَنِع ولا من الحَرام تَمْتَنِع ولا للْعِظات تَسْتَمِع ولا للوَعيد تَرْتَدع دَأْبُك أن تَتَقَلَّب مع الاَهْواء وتَخْبِطَ خَبْطَ العَشْواء وهَمُّكَ أن تَدْأَبَ في الاحْتِراث وتَجْمَع التُراث للوُرَّاث يُعْجبك التَكاثُرُ بما لَدَيْك ولا تَذْكُر ما بين يديك وتَسْعَى أبَدًا لِغارَيْك ولا تُبالِي أَلَكَ أمْ عليك أتَظُنّ أن سَتُتْرَك سُدى وأن

لا تُحاسَبَ غَدَا أَمْ تَحْسِب أنّ الموت يَقْبَل الرُّشا أو يُمَيِّز بين الاسَد والرَشا كَلّا والله لَنْ يَدْفَعَ المَنُون مالٌ ولا بَنُون ولا يَنْفَع أهلَ القُبور سوى العَمَل المَبْرُور فَطُوبَى لِمَن سَمِع وَوَعَى وحَقَّقَ ما ادَّعَى ونَهَى النَفْسَ عن الهَوَى وعَلِم أنّ الفائِز مَن ارْعَوَى وأن ليس للانسان الا ما سَعَى وأنّ سَعْيَه سوف يُرَى ثم أنشد إنشادَ وَجِل بصَوْتٍ زَجِل

لَعَمْرُكَ ما تُغْنِي المَغَاني ولا الغِنَى — اذا سَكَن المُثْرِي الثَرَى وثَوابه
فَجُدْ في مَرَاضِي الله بالمال راضِيًا — بِما تَقْتَنِي من أجْرِهِ وثَوابِه
وبادِرْ به صَرْفَ الزمانِ فانه — بِمخْلَبِه الاَشْغَى يَغُول ونابِه
ولا تَأْمَن الدَهْرَ الخَؤُنَ ومَكْرَهُ — فكم خامِل أخْنَى عليه ونابِهِ
وعاصِ هَوَى النفس الذي ما أطاعَهُ — أخو ضَلّةٍ الا هَوَى من عِقابه
وحافِظْ على تَقْوَى الاله وخوْفِه — لِتَنْجُوَ مما يُتَّقَى من عِقابه
ولا تَلْهَ عن تَذْكارِ ذَنْبِك وابْكِهِ — بدَمْع يُضاهِي المُزْنَ حالَ مَصَابِه
ومَثِّلْ لِعَيْنَيْكَ الحِمامَ ووَقْعَه — ورَوْعَةَ مَلْقاهُ ومَطْعَمَ صابِه
وانّ قُصارَى مَنْزِلِ الحَيّ حُفْرَةٌ — سَيَنْزِلُها مُسْتَنْزَلًا عن قِبَابه
فَوَاهًا لِعَبْدٍ ساءَهُ سُوءُ فِعْلِهِ — وأبْدَى التَلافِي قبلَاغْلاق بابه

قال فَظَلّ القومُ بين عَبْرَةٍ يُذْرُونها وتَوْبةٍ يُظْهِرونها حتى كادت الشمس تَزُولُ والفَريضة تَعُول فلما خَشَعَتِ الاَصْوات والْتَأَمَ الاِنْصات واسْتَكَنَّت العَبَرات والعبارات اسْتَصْرخ مُسْتَصْرِخٌ بالامير المحاضِر وجَعَل يَجْأَرُ إليه من عامِلِهِ الجائِر والاميرُ صاغ إلى خَصْمِه لاهٍ عن كشف ظُلْمه فلما يَئِس

مـن رَوْحـه اسْـتَنْهَض الـواعِظَ لِنُـصْحه فَـنَهَض نَهْـضَة الـشِّمِير وأنـشد مُعَرِّضـا بالأمير

عَجَبًـا لِـرَاجٍ أن يَنَـال وِلَايَـةً   حتـى اذا مـا نـالَ بُغْيَتَـهُ بغـى
يُـسْدِي ويُلْحِـم في المَظَـالِم والغَـا   في وِرْدِهـا طَـوْرًا وطـورا مُولِغَـا
مـا ان يُبَـالي حـينَ يَتَّبِـع الهَـوَى   فيهـا أَأَصْـلَحَ دينَـه أم أَوْتَغَـا
يـا وَيْحَـه لـو كـان يُـوقِنُ أنـه   مـا حالـةٌ الا تَحُـول لَـمَا طَغَـى
أو لـو تَبَـيَّنَ مـا نَدَمَـةُ مَـن صَغَى   سَـمْعًا إلى إفْـك الوُشـاة لَـمَا صَـغَا
فانْقَدْ لِمَـن أضْحَـى الزِمامُ بكَفّـه   وتَغـاضَ إن ألْغَـى الرِّعايـة أولَغَـا
وارْعَ المُـرارَ اذا دَعـاكَ لرَعْيِـه   ورِدِ الاجُـاج اذا حَـماكَ الـسَّيِّغا
واحْمِـلْ أذاهُ اذا أَمَـضَّكَ مَـسُّهُ   وأسـالَ غَـرْبَ الـدمع منـك وأفْرَغـا
فَلَيُـضْحِكَنْكَ الـدهُر منـه اذا نَبَـا   عنـه وشَـبّ لكَيْـدِه نـارَ الـوَغَى
ولَيَنْـزِلَنّ بـه الـشَمَاتُ اذا بـدا   مُتَخَلِّيـا مـن شُـغْلِه مُتَفَرِّغـا
ولَتَـأْوِيَنّ لـه اذا مـا خَـدُّه   أَضْـحَى عـلى تُـرْب الهَـوَان مُمَرَّغـا
هـذا لـه ولَـسَوْفَ يُوْقَـفُ مَوْقِفًـا   فيـه يُـرَى رَبُّ الفـصاحةَ ألثَغـا
ولَيُحْـشَرَنّ أذَلّ مـن فَقْـع الفَـلَا   ويُحاسَـبَنّ عـلى النَقيـصة والـشَغَا
ويُؤاخَذَنّ بِما اجْتَنَى ومَن اجْتَنَى   ويُطـالَبَنّ بِمـا احْتَـسَى وبِمـا ارْتَغَـى
ويُنَاقَـشَنّ عـلى الـدَقائِق مِثْـلَ مـا   قـد كـان يَـصْنَع بـالوَرَى بـل أبْلَغـا
حتـى يَعَـضّ عـلى الوِلايـة كَفَّـه   ويَـوَدّ لـو لم يَبْـغ منهـا مـا بَغَـى

ثـم قـال أيهـا المُتَوَشِّـح بالوِلايـة المُتَرَشّـح للرِعايـة دَع الاذْلال بـدولِتك والاغْـترارَ بـصَوْلَتِك فـان الدَوْلَـة رِيـحٌ قُلّـب والاِمْـرَةَ بَـرْقٌ خُلّـب وانّ أسْـعَد

الرُعاة مَن سَعِدت به رَعِيّتُه وأشْقاهُم في الدّارَينِ مَن ساءَت رِعايَتُه فلا تَكُ ممن يَذَرُ الآخِرةَ ويُلْغِيها ويُحِبّ العاجِلة ويبْتَغِيها ويَظْلِم الرَعيّة ويُؤْذيها واذا تَوَلّى سَعَى في الارض لِيُفْسِدَ فيها فوالله ما يَغْفُلُ الدَّيّان ولا تُهْمَل يا انسان ولا تُلْغَى الاساءَةُ ولا الاحْسان بَلْ سَيُوضَعُ لك الميزان وكما تَدِين تُدان قال فَوَجَمَ الوَالي لِمَا سَمِع وامْتُقِع لَوْنُه وانْتُقِع وجعل يَتَأَفّف من الاِمْرِه ويُرْدِف الزَفْرَةَ بالزَفْرة ثم عَمَد إلى الشاكي فَأَشْكاه وإلى المَشْكُو منه فأشْجاه وألْطَفَ الواعظَ وحَبَاه واسْتدْعى منه أن يَغْشاه فانْقَلَبَ عنه المَظْلُوم مَنصورا والظالمُ مَحْسورا وبَرَزَ الواعِظُ يَتَهادى بين رُفْقته ويَتَباهَى بفَوْز صَفْقَتِه واعْتَقَبْتُه أخْطُو مُتَقاصِرا وأُرِيْه لَمْحا باصِرا فلما اسْتَشَفّ ما أُخْفِيه وفَطِن لَتَقلُّب طَرْفِي فيه قال خَيْرُ دَليلَيْكَ مَنْ أرشَد ثم اقْتَرَبَ منى وأنشد

أنَا الذي تَعْرِفه يا حارِثُ	حِدْثُ مُلُوكٍ فَكِهٌ مُنَافِثُ
أُطْرِبُ مالا تُطْرِبُ المَثالِثُ	طَوْرًا أخُو جِدٍّ وطَوْرًا عابِثُ
ما غَيّرَتْنِي بَعدَك الحَوادِثُ	ولا الْتَحَي عُودِيَ خَطْبٌ كارِثُ
ولا فَرَى حَدِّيَ نابٌ فارِثٌ	بل مِخْلَبِي بكُلّ صَيْدٍ ضابِثُ
وكُلُّ سَرْحٍ فيه ذِئْبِي عائِثُ	حتّى كأنِّي للانَامِ وارِثُ

سَامُهُم وحَامُهُمْ ويافثُ

(قال الحارث بن همام) فقلت له تالله انّك لَأبُو زَيد ولقد قُمْتَ لله ولا عَمْرو بن عُبَيد فَهَش هَشَاشَة الكَرِيم اذا أَمّ وقال اسْمَع يا ابنَ أُمّ ثم أنشأ يقول

عليكَ بالصِدق ولَوْ أنَّهُ	أحْرَقَكَ الصدقُ بنارِ الوَعِيد
وابْغِ رِضَا الـلـه فأغْبَى الوَرَى	من أسْخَطَ المَوْلَى وأرْضَى العَبِيد

ثم انَّه وَدَّعَ أخْدَانَه وانطلَقَ يَسْحَبُ أرْدَانَه فَطَلَبْنَاه مِن بَعْدُ بـالرّي واسْتَنْشَرْنا خَبَرَه مِن مَدَارِج الطّيّ فما فينَا مَنْ عَرَف قَرارَه ولا دَرَى أيُّ الجَرَاد عَارَه

نُخْبة من وَصيّة ابن سَعيد المغربي لأبْنِه وقد أراد السَفَر

أُودِعُــكَ الــرَحْمَنَ في غُرْبَتِــك	مُرْتَقِبًـــا رُحْـــمَاهُ في أوْبَتِـــكْ
فـلا تُطِـلْ حَبْـلَ النَـوَى إنَّنِـي	والـلــــه أشْــتاقُ إلى طَلْعَتِـــكْ
واخْتَـصِر التوديـعَ أخـذًا فـما	لِي نـــاظرٌ يَقْـــوَى عـــلى فُرْقَتِـكْ
واجْعَـلْ وَصـاتِي نُـصْبَ عَـيْنٍ ولا	تَــبْرَحَ مَــدَى الايـامِ مِــن فِكْرتـك
خُلاصــةُ العُمْــرِ التــي حُنِّكَــتْ	في ســـاعةٍ زُفَّـــتْ إلىَ فِطْنتـــك
فلِلتَّجارِيــــــب أُمُـــــورٌ اذا	طَالَعْتَهــا تَــشْحَذَ مِــن غفْلَتِـك
فَـلا تَـنَمْ عــن وَعْيِهـا سَـاعَةً	فانَّهـــا عَـــوْنٌ إلَى يَقْظَتِـــك
وكــلّ مــا كابَدْتَــه في النَــوَى	ايّـــاكَ أنْ يَكْــسِر مِــن هِمَّتِــك
فلـيسَ يُـدْرَى أصْـلُ ذِي غُرْبَـةٍ	وانَّمـــا تُعْـــرَف مِـــن شِــيمتك
وامــشِ الهُوَيْنــا مُظْهِــرًا عِفّــةً	وابــغ رِضــا الأعْــيُنِ عــن هَيْئَتِــك
وانِطْـقْ بحيـثُ العِـيُّ مُـسْتَقْبَحٌ	واصُـمتْ بحيـث الخَـيْرُ في سَـكْتَتِك
وَلْـجِ عــلى رِزْقِـك مِــن بابِــه	واقْــصِدْ لــه مــا عِــشْتَ في بُكْرَتِـك

ووفِّ كُـــلّا حَقَّـــه ولْـــتَكُنْ تكْـسِر عنـد الفَخْـر مِـن حِـدَّتك

وحَيْـثُما خَيَّمْـتَ فاقِـصدْ إلى صُـحبة مَـن تَرجـوه في نُـصْرَتك

وللرَزَايَـا وَثْبَـةٌ مـا لَهَـا الا الـذي تَـذْخَرُ مِـن عُـدَّتك

ولا تَقُـلْ أسْـلَمُ لِي وَحْـدَتِي فقَـد تُقَـاسِي الـذّل في وَحْـدَتك

ولْتَجْعَـل العَقْـلَ مِحَكًـا وخُـذْ كُـلّا بمـا يَظْهـر في نَقْـدَتك

واعتـبر النـاسَ بأَلفْـاظِهم واصْـحَبْ أخًـا يَرْغَـب في صُـحْبتك

كـم مِـن صَـدِيقٍ مُظْهِـرٍ نُـصْحَه وفِكْـرُه وقَـفْ عـلى عَثْرتـك

ايـاك أن تَقْرَبَـه انـه عَـوْنٌ مـع الـدهر عـلى كُرْبِتـك

وأنْـمُ نُمُـوَّ النَبْتقـد زَارَه غِـبُّ النَـدَى واسْـمُ إلى قُـدْرَتك

ولا تُـضَيِّعْ زَمَنًـا مُمْكنًـا تَـذْكاره يُـذْكِي لَظَـى حَـسْرَتك

والـشّرّ مَهْـمَا اسْـطَعْتَ لا تأتـِهِ فانـه حُـورٌ عـلى مُهْجَتِـك

يابُنَيّ الذي لا ناصِحَ له مِثْلي ولا مَنْصُوحَ لِي مِثْلُه قد قَدَّمْتُ لك في هذا النَظْم ما إن أخْطَرْتَه بخاطرك في كل أوانٍ رَجَوْت لـك حُـسْن العاقبـة ان شاء اللـه تعالى وانّ أخَفّ منه لِلحفْظ وأعْلَق بالفِكْر وأحَقّ بالتَقَدُّم قولُ الاوّل

يَـزينُ الغَريـبَ اذا مـا اغْـتَرَبْض ثـلاثٌ فَمْـنُهنّ حُـسْن الادب

وثانيـةٌ حُـسْن أَخْلاقِـه وثالثـةٌ إجْتِنـابُ الرّيَـبْ

واصْغَ يابنيّ إلى البيت الـذي هـو يتيمة الـدهر وسُلّم الكَرَم والـصَبْر

ولَوَ اَنّ اوطـانَ الـديارِ نَبَـتْ بِكُـمْ لَـسَكَنْتُمُ الاَخـلاق والآدابـا

اذْ حُسْن الخُلُق أكْرَم نَزيل والادبُ أرْحبُ مَنْـزل ولْـتَكُنْ كـما قـال بعـضهم في أديبٍ مُتَغَرِّب وكان كلـما طَـرَأ عـلى مَلِـكٍ فكأنـه مَعَـه وُلِـد وإليـه قَـصَد غـيرَ مُسْتَرِيب بدَهْره ولا مُنْكرٍ شيأ من أمره واذا دَعاك قَلْبُـك إلى صُـحْبَة مـن أخَـذ بمجامِع هَوَاه فاجعل التَّكَلُّف له سُلّما وهُبَّ في رَوض أخْلاقـه هُبُـوب النَـسيم وحُلّ بطَرْفه حُلولَ الوَسَن وانْزِل بقلبه نُـزولَ المَـسَرّة حتـى يَـتَمَكّن لـك وِدَادُه ويَخْلُص فيك اعتِقادُه وطَهِّره من الوقُوع فيه لسانَك وأغْلِقْ سَمْعَك ولا تُرَخِّصْ في جانِبه لحَسُودٍ لك منه يُريد ابْعادَك عنه لمنفعةٍ أو حَسودٍ له يَغـارُ لتَجَمُّلِـهِ بصُحْبتك ومع هذا فلا تَغْتَرّ بطول صحبته ولا تَمَتَهّد بـدوام رَقْدتـه فقـد يُنَبِّهُـه الزمان ويَتَغَيّر منه القلب واللسان وانما العاقل مَـن جَعـل عَقْلـه مِعْيـارا وكـان كالمِرْآة يَلْقَى كل وجهٍ بِمثاله وفي أمثال العامّـة مـن سَـبَقَك بيَـوم فقـد سَـبَقك بعَقْل فاحْتذِ بأمثلة مَـن جَـرّب واسـتمِع إلى مـا خَلّـد الماضُـون بعـد جَهْـدهم وتَعَبهم من الاقوال فانها خُلاصة عُمْرهم وزُبْدة تَجَارِبهم ولا تَتّكِل على عَقْلـك فانّ النَظَر فـيما تَعِـب فيـه النـاسُ طُـولَ أعْمَارهـم وابْتـاعُوه غالِيًـا بتَجَـارِبِهم يُرْبِحُك ويَقَع عليك رَخيصا وان رأيتَ مَن له عقـل ومُـرُوءة وتَجْربـة فاسْـتَفِدْ منه ولا تُضَيّع قولَه ولا فِعْله فانّ فيما تَلْقاه تَلْقيحا لعقلك وحَثّا لـك واهِتـداءً وليس كل ما تَسْمع من أقوال الشُّعَراء يَحْسُ بك أن تَتّبعه حتـى تَتَـدَبّره فـان كان مُوافِقا لعقلك مُـصْلِحا لحالـك فَـراعِ ذلـك عنـدك والا فانْبِـذْه نَبْـذَ النَـواة فليس لكل أحد يُتَبَسّم ولا كل شخص يُكَلّم ولا الجُود مما يُعَمّ بـه ولا حُـسْن الظنّ وطيبُ النَفْس مما يُعامَل به كلُّ أحد ولله درّ القائل

وما لِيَ لا أُوفِي البَرِيّةَ قِسْطَها   على قَدْر ما يُعْطِي وعَقْلِيَ ميزانُ

واياك أن تُعْطِيَ من نَفْسك الا بقَدَرٍ فلا تُعَامِل الدُّونَ بمعاملة الكُفْء ولا الكُفْءَ بمعاملة الأعْلَى ولا تُضَيِّع عُمْرَك فيمن يُعامِلك بالمطامِع ويُثيبُك على مَصْلحةٍ حاضرة عاجلة بغائبةٍ آجِلة ولا تَجْفُ الناسَ بالجملة ولكن يكونُ ذلك بحيث لا يَلْحق منه مَلَل ولا ضَجَر ولا جَفاء فمتى فارَقْتَ أحدًا فعلى حُسْنَى في القَول والفعل فانك لا تدري هل أنتَ راجعٌ إليه فلذلك قال الاول (ولما مَضَى سَلْمٌ بَكَيْتُ على سَلْمِ) واياك والبيت السائر

وكنتَ اذا حللتَ بدارِ قَوْمٍ رَحَلْتَ بِخِزْيةٍ وتركتَ عارا

واحْرِص على ما جَمَع قول القائل ثلاثةٌ تُبْقِي لك الوُدَّ في صَدر أخيك أن تَبْدَأه بالسلام وتُوَسّع له في المَجْلس وتَدْعُوه بأحبّ الأسماء إليه واحذَرْ كل ما بَيّنه لك القائل كل ما تَغْرسُه تَجْنيه الا ابن آدم فاذا غَرَسْتَه يَقْلَعُك وقول الآخر ابن آدمَ ذئب مع الضَعْف أسَدٌ مع القُوّة واياك أن تَثْبُت على صُحْبة أحَد قبل أن تُطيل اخْتباره. ويحكى أن ابن المُقَفّع خَطَب من الخَلِيل صُحْبَتَه فَجَاوَبَه ان الصُّحْبة رِقّ ولا أضَع رِقّى في يديك حتى أعْرف كيفَ مَلَكَتُك واسْتَمْل من عين مَن تُعاشِره وتَفَقَّد في فَلَتَات الألسُن وصَفَحات الأوْجُه ولا يَحْملْك الحياء على السكوت عما يَضُرّك أن لا تُبَيّنَه فانّ الكلام سلاح السِلْم وبالأنين يُعْرَف ألَمُ الجُرْح واجعل لكل أمْر أخَذْتَ فيه غايةً تَجْعَلُها نهاية لك

وخُذْ من الدهر ما أتاك به مَن قَرّ عَيْنًا بعَيْشه نَفَعَه

اذ الافكار تَجْلُب الهُموم وتُضاعف الغُموم ومُلازَمة القُطوب عُنْوان المَصائب والخُطوب يَسْتَريب به الصاحب ويَشْمَت العَدُوّ والمُجانب ولا تَضُرّ بالوَساوس الّا نَفْسَك لأنّك تَنْصُر بها الدهر عليك ولله در القائل

اذا ما كنتَ للاحزان عَوْنًا عليك مع الزمان فَمَن تَلُوم

مع انه لا يَرُدُّ عليك الغائبَ الحُزْن ولا يَرْعَوي بطُول عَتْبك الزَمَنُ ولقد شاهَدت بِغَرْناطَة شخصا قد أَلِفته الهُمُوم وعشِقَته الغموم ومن صِغره إلى كبَره لا تَرَاه أبدا خَليّا من فِكْرَة حتى لُقبّ بصَدْر الهَم ومن أعجب ما رأيتُه منه انه يَتَنَكَّدُ في الشِدّة ولا يَتَعَلّل بأن يكونَ بَعْدَها فَرَج ويَتَنَكّد في الرَّخاء خَوفا من أن لا يَدُوم ويُنْشد

*تَوَقّع زَوَالًا اذا قيلَ تَمّ*وينشد*وعند التَنَاهي يَقْصُر المُتَطاول*

وله من الحكايات في هذا الشأن عجائب ومثل هذا عُمْرُه مَخْسور يَمُرّ ضَيَاعا ومتى رَفَعك الزمانُ إلى قوم يَذُمّون من العلْم ما تُحْسنهُ حَسَدًا لك وقَصْدًا لتَصْغير قَدْرك عندك وتَزْهيدا لك فيه فلا يَحْمِلْك ذلك على أن تَزْهَد في علْمك وتَرْكَن إلى العلْم الذي مَدَحُوه فتكونَ مِثْل الغُراب الذي أعْجَبَه مَشْيُ الحَجَلة فَرَامَ أن يَتَعَلّمَه فَصَعُبَ عليه ثم أراد أن يرجع إلى مَشْيه فَنَسِيَه فَبَقَى مُخَبَّل المَشْي كما قيل

انّ الغُراب وكان يَمْشي مِشْيَةً فيما مَضَى من سالف الاجْيال
حَسَدَ القَطا وأرادَ يمشي مَشْيَها فاصابَه ضَرْبٌ من العُقّال

فاضَلَّ مِـشْيَتَه وأخْطَـأ مَـشْيَها		فلـــذاك كَنَّـــوْه أبَـــا مِرْقـــال

ولا يُفْسِدْ خاطِرَك مَن جعل يَذُمُّ الزمان وأهْلَه ويقول ما بَقَى في النيا كريم ولا فاضل ولا مكان يُرتاح فيه فان الذين تَرَاهم على هذه الصفة أكثر ما يكونون ممن صَحِبَه الحِرْمان واسْتَحَقَّتْ طَلْعَتُه للهَوان وأبْرَموا على الناس بالسؤال فَمَقَتُوهم وعَجَزوا عن طَلَب الامور من وُجُوهها فاسْتَرَاحُوا إلى الوُقُوع في الناس وأقاموا الاَعْذَار لأنْفُسهم بقَطْع أسْبابهم ولا تُزِل هذين البيتين من فكْرك

لِــنْ اذا مــا نلْــتَ عــزًّا		فـــأخُو العـــزّ يَلـــينُ
فـــاذا نابَـــكَ دَهْـــرٌ		فكـــما كنـــتَ تكـــونُ

والامثال تُضْرب لِذِي اللُّبّ الحكيم وذُو البَصَر يَمْشي على الصراط المستقيم والفَطن يَقْنَع بالقَليل ويَسْتَدلّ باليَسير والله سبحانه خليفتي عليك لا رَبَّ سواهُ

الجامع الازهر

هذا الجامع أول مسجد أسِّس بالقاهرة والذي أنشأه القائد جوهر الكاتب الصَقَلّي مَولى الامام أبي تميم مَعَدّ الخليفة أمير المؤمنين المُؤمنين المُعزّ لدين الله لمّا اخْتَطّ القاهرة وشُرِعَ في بناء هذا الجامع في يوم السبت

لِستّ بَقين من جُمَادي الاولى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة وكَمُل بناؤه لتسع خلون من شهر رمضان سنة احدى وستين وثلاثمائة وجُمّع فيه وكُتب بدائر القّبة التي في الرّواق الاول وهى على يَمْنة المحراب والمنبر ما نصه بعد البسملة مما أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الامام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الاكرمين على يد عبده جوهر الكاتب الصقلي وذلك في سنة ستين وثلاثمائة وأول جمعة جُمّعت فيه في شهر رمضان لسبع خلون منه سنة احدى وستين وثلاثمائة ثم ان العزيز بالله أبا منصور نزار بن المعز لدين الله جَدّد فيه أشياء وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة سَألَ الوزير أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كِلْس الخليفة العزيز بالله في صِلَة رزق جماعة من الفقهاء فأطلق لهم ما يكفي كل واحد منهم من الرزق الناضّ وأمر لهم بشراء دار وبنائها فبُنيَت بجانب الجامع الازهر فاذا كان يوم الجمعة حضروا إلى الجامع وتَحَلّقُوا فيه بعد الصلاة إلى أن تُصَلّى العصر وكان لهم أيضا من مال الوزير صِلَة في كل سنة وكانت عِدَّتُهم خمسة وثلاثين رجلا وخَلَعَ عليهم العزيز يوم عيد الفطر وحَمَلهم على بَغلات ويقال ان بهذا الجامع طلسما فلا يَسْكُنه عُصْفور ولا يُفْرِخ به وكذا سائر الطيور من الحَمَام واليَمام وغيره وهو صورة ثلاث طيور منقوشة كل صورة على رأس عمود فمنها صورتان في مقدم الجامع بالرواق الخامس منها صورة في الجهة الغربية في العمود وصورة في أحد العمودين اللذين على يسار من اسْتَقْبَلَ سدّة المُؤَذّنين والصورة الاخرى في الصحن في الاعمدة القبلية مما يلي الشرقية ثم ان الحاكم بأمر الله جَدّده ووقف على الجامع الازهر وجامع المقس

والجامع الحاكمي ودار العلم بالقاهرة رِباعًا بمصر ثم ان المستنصر جدد هذا الجامع أيضا وجدده الحافظ لدين الله وانشأ فيه مقصورة لطيفة تُجَاوِر البابَ الغربي الذي في مقدم الجامع بداخل الرواقات عُرِفت بمقصورة فاطمة من أجل ان فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها رؤيت بها في المنام ثم انه جُدّد في ايام الملك الظاهر بيبرس البندقداري قال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في كتاب سيرة الملك الظاهر لما كان يوم الجمعة الثامن عشر من ربيع الاول سنة خمس وستين وستمائة أقيمت الجمعة بالجامع الازهر بالقاهرة وسبب ذلك ان الامير عز الدين أيدمر الحلى كان جار هذا الجامع من مّدة سنين فرعي وفقه الله حرمة الجار ورأى أن يكون كما هو جارُه في دار الدنيا انه غدا يكون ثوابُه جارَه في تلك الدار ورسم بالنظر في أمره وانتزع له أشياء مغصوبة كان شئ منها في أيدي جماعة وحاط أموره حتى جمع له شيأ صالحا وجرى الحديث في ذلك فتبرع الامير عز الدين له بجملة مستكثرة من المال الجزيل وأطلق له من السلطان جملة من المال وشرع في عمارته فَعَمّر الواهي من أركانه وجدرانه وبَيّضه وأصلح سقوفه وبلّطه وفرشه وكساه حتى عاد حَرَما في وسط المدينة واستجدّ به مقصورة حسنة وأثر فيه آثارا صالحة يثيبه الله عليها وعمل الامير بيلبك الخازندار فيه مقصورة كبيرة رتب فيها جماعة من الفقهاء لقراءة الفقه على مذهب الامام الشافعي رحمه الله ورتب في هذه المقصورة محدِّثا يُسْمع الحديث النبوي والرقائق ووقف على ذلك الاوقاف الدائرة ورتّب به سبعة لقراءة القرآن الكريم ورتّب به مدرّسا أثابه الله على ذلك ولما تكمل تجديده تحدث في اقامة جمعة فيه فنودى في

المدينة بذلك واستخدم له الفقيه زين الدين خطيبا وأقيمت الجمعة فيه في اليوم المذكور وحضر الأتابك فارس الدين والصاحب بهاء الدين على بن حنا وولده الصاحب فخر الدين محمد وجماعة من الامراء والكبراء وأصناف العالم على اختلافهم وكان يوم جمعة مشهودا ولما فرغ من الجمعة جلس الامير عز الدين ودخل إلى داره ودخل معه الامراء فقدم لهم كل ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وانفصلوا وكان قد جرى الحديث في أمر جواز الجمعة في الجامع وما ورد فيه من أقاويل العلماء وكُتبَ فيها فُتْيا أُخذ فيها خطوط العلماء بجواز الجمعة في هذا الجامع واقامتها فكتب جماعة خطوطهم فيها وأقيمت صلاة الجمعة به واستمرت ووجد الناس به رفقا وراحة لقربه من الحارات البعيدة من الجامع الحاكمي قال وكان سقف هذا الجامع قد بنى قصيرا فزيد فيه بعد ذلك وعلا ذراعا واستمرت الخطبة فيه حتى بنى الحامكي فانتقلت الخطبة إليه فان الخليفة كان يخطب فيه خطبة وفي الجامع الازهر خطبة وفي جامع ابن طُوْلُوْن وفي جامع مصر خطبة وانقطعت الخطبة من الجامع الازهر لما استبدّ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالسلطنة فانه قلد وظيفته القضاء لقاضي القضاة صدر الدين عبد الملك بن درباس فعمل بمقتضى مذهبه وهو امتناع اقامة الخطبتين للجمعة في بلد واحد كما هو مذهب الامام الشافعي فأبطل الخطبة من الجامع الازهر وأقر الخطبة بالجامع الحاكمي من أجل انه أوسع فلم يزل الجامع الازهر معطلا من اقامة الجمعة فيه مائة عام من حين استولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى ان أعيدت الخطبة في أيام الملك الظاهر بيبرس كما تقدم ذكره ثم لما كانت

الزلزلة بديار مصر في ذي الحجة سنة اثنتين وسبعمائة سقط الجامع الازهر والجامع الحاكمي وجامع مصر وغيره فتقاسم امراء الدولة عمارة الجامع الحاكمي وتولى الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير عمارة الجامع الحاكمي وتولى الامير سلار عمارة الجامع الازهر وتولى الامير سيف الدين بكتمر الجوكندار عمارة جامع الصالح فجددوا مبانيها وأعادوا ما تهدم منها ثم جددت عمارة الجامع الازهر على يد القاضي نجم الدين محمد بن حسين بن على الاِسْعَرْدِي محتسب القاهرة في خمس وعشرين وسبعمائة ثم جددت عمارته في سنة احدى وستين وسبعمائة عندما سكن الامير الطواشي سعد الدين بشير الجامدار الناصري في دار الامير فخر الدين أبان الزاهدي الصالحي النجمي بخُطّ الابارين بجوار الجامع الازهر بعد ما هدمها وعمرها وهى التي تعرف هناك إلى اليوم بدار بشيرا الجامدار فأَحَبّ لقُرْبه من الجامع أن يُؤَثِّر فيه أثَر صالحا فاستأذن السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون في عمارة الجامع وكان أثيرا عنده مُخصًّا به فأذِن له في ذلك وكان قد استجد بالجامع عدّة مَقاصير ووُضعَتْ فيه صناديق وخزائن حتى ضيّقته فأخرج الخزائن والصناديق ونَزَع تلك المقاصير وتَتَبَّع جُدْارنه وسقوفه بالاصلاح حتى عادت كأنها جديدة وبَيّض الجامع كله وبلّطه ومنع الناس من المرور فيه ورتب فيه مصحفا وجعل له قارئا وأنشأ على باب الجامع القبلي حانوتا لتسبيل الماء العذب في كل يوم وعمل فوقه مَكْتَبَ سبيل لاقراء المسلمين كتابَ الله العزيز ورتب للفقراء المجاورين طعاما يُطْبخ كل يوم وأنزل إليه قدورا من نحاس جعلها فيه ورتب فيه درسا للفقهاء من الحنفية يجلس مُدَرِّسهم

لالقاء الفقه في المحراب الكبير ووقف على ذلك أوقافا جليلة باقية إلى يومنا هذا ومؤذنو الجامع يدعون في كل جمعة وبعد كل صلاة للسلطان حسن إلى هذا الوقت وفي سنة أربع وثمانين وسبعمائة وُلّي الامير الطواشي بَهادرُ المقدّم على المماليك السلطانية نَظَرَ الجامع الازهر فتنجَّزَ مرسومَ السلطان الملك الظاهر برقوق بأنّ من مات من مجاوري الجامع الازهر عن غير وارث شرعي وترك موجودا فانه يأخُذُه المجاورون بالجامع ونقش ذلك على حجر عند الباب الكبير البحري وفي سنة ثمانمائة هدمت منارة الجامع وكانت قصيرة وعُمِّرت أطول منها فبلغت النفقة عليها من مال السلطان خمسة عشر ألف درهم نَقْرة كملت في ربيع الآخر من السنة المذكورة فَعُلّقت القناديل فيها ليلة الجمعة من هذا الشهر وأُوقدت حتى اشتغل الضوء من أعلاها إلى أسفلها واجتمع القراء والوعاظ بالجامع وتَلَوْا ختمة شريفة ودَعَوا للسلطان فلم تزل هذه المِئْذَنة إلى شوال سنة سبع عشرة وثمانمائة فهُدِمت لمَيْلٍ ظَهَرَ فيها وعُمِل بَدَلها منارة من حجر على باب الجامع البحري بعد ما هدم الباب وأعيد بناؤه بالحجر وركبت المنارة فوق عقدة وأُخِذ الحجر لها من مدرسة الملك الاشراف خليل التي كانت تجاه قلعة الجبل وهدمها الملك الناصر فرج بن برقوق وقام بعمارة ذلك المير تاج الدين الشَوْبَكِيّ وإلى القاهرة ومحتسبها إلى أن تمت في جمادي الآخرة سنة ثمان عشرة وثمانمائة فلم تقم غير قليل ومالت حتى كادت تسقط فهدمت في صفر سنة سبع وعشرين وأعيدت وفي شوّال منها ابتدئ بعمل الصهريج الذي في وسط الجامع فوجد هناك آثار فسيقة ماء ووجد أيضا رمم أموات وتم بناؤه في ربيع الاول وعمل بأعلاه مكان

مرتفع له قبة يُسَبَّل فيه الماء وغُرس بصحن الجامع أربع شجرات فلم تفلح وماتت ولم يكن لهذا الجامع ميضأة عند ما بنى ثم عملت ميضأته حيث المدرسة الاقبغاوية هناك وأما هذه الميضأة التي بالجامع الآن فان الامير بدر الدين جنكل بن البابا بناها ثم زيد فيها بعد سنة عشر وثمانمائة ميضأة المدرسة الاقبغاوية وفى سنة ثمان عشرة وثمانمائة ولي نظر هذا الجامع الامير سودوب القاضي حاجب الحجاب فجرت في أيام نظره حوادث لم يتفق مثلها وذلك انه لم يزل في هذا الجامع منذ بنى عدة من الفقراء يلازمون الاقامة فيه وبلغت عدتهم في هذه الايام سبعمائة وخمسين رجلا ما بين عجم وزيالعة ومن أهل ريف مصر ومغاربة ولكل طائفة رواق يعرف بهم فلا يزال الجامع عامرا بتلاوة القرآن ودراسته وتَلْقينه والاشتغال بأنواع العلوم الفقه والحديث والتفسير والنحو ومجالس الوعظ وحِلَق الذِكْر فيَجِد الانسان اذا دخل هذا المجتمع من الانس بالله والارتياح وترويح النفس ما لا يجده في غيره وصار أرباب الاموال يقصدون هذا الجامع بأنواع البر من الذهب والفضة والفُلُوس اعانَةً للمجاورين فيه على عبادة الله تعالى وكلّ قليل تُحْمَل إليهم أنواع الاطعمة والخبز والحلاوات لاسيما في المواسم فأمر في جمادي الاولى من هذه السنة باخراج المجاورين من الجامع ومنعهم من الاقامة فيه واخراج ما كان لهم فيه من صناديق وخزائن وكراسي المصاحف زعما منه ان هذا العمل مما يثاب عليه وما كان الا من أعظم الذنوب وأكثرها ضررا فانه حل بالفقراء بلاء كبير من تشتت شملهم وتعذر الاماكن عليهم فساروا في القرى وتبذلوا بعد الصيانة وفقد من الجامع أكثر ما كان فيه من تلاوة

القرآن ودراسة العلم وذكر الـلـه ثم لم يرضه ذلك حتى زاد في التعـدي وأشـاع أن أناسا يبيتون بالجامع ويفعلون فيه منكرات وكانت العادة قد جرت بمبيت كثير من الناس في الجامع ما بين تاجر وفقيه وجندي وغيرهم منهم من يقصد بمبيته البركة ومنهم من لا يجد مكانا يُؤْويه ومنهم من يَسْتَرْوح بمبيتـه هنـاك خصوصا في ليالي الصيف وليالي شهر رمضان فانه يمتلـئ صحنه وأكـثر رواقاتـه فلما كانت ليلة الاحد الحادي عشر من جمادي الآخـرة طـرق الامـير سـودوب الجامع بعد العشاء الآخـرة والوقـت صـيف وقـبض عـلى جماعـة وضربهـم في الجامع وكان قد جاء معه من الأعـوان والغلـمان وغوغـاء العامّـة ومـن يريـد النهب جماعة فَحَل بمن كان في الجامع أنواع البلاء ووقع فيهم النهب فأُخِذَت فُرُشهم وعمائمهم وفُتِّشَت أوساطهم وسُلِبوا ما كان مربوطا عليهـا مـن ذهـب وفضة وعَمل ثوبا أسودَ للمنبر وعَلَمَين مُرَوَّقَين بلغت النفقة على ذلك خمـسة عشر ألف درهم على ما بلغنـي فعاجـل الـلـه الامـير سـودوب وقـبض عليـه السلطان في شهر رمضان وسجنه بدمشق

ذكر جامع دِمَشق المعروف بجامع بني أُمَيّة

وهـو اعظـم مـساجد الـدنيا احتفـالا وأتقنهـا صـناعة وأبـدعها حـسنا وبهجـة وكمالا ولا يُعْلم له نظير ولا يوجَد لـه شـبيه وكـان الـذي تـولى بنـاءه واتقانـه أمـير المـؤمنين الوليـد بـن عبـد الملـك بـن مـروان ووجَّـه إلى ملـك الـروم

بقسطنطينية يأمره أن يبعث له الصُّنَّاع فبعث إليه اثنى عشر ألف صانع وكان موضع المسجد كنيسة فلما افتتح المسلمون دمشق دخل خالد بن الوليد رضى الله عنه من احدى جهاتها بالسيف فانتهى إلى نصف الكنيسة ودخل أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه من الجهة الغربية صلحا فانتهى إلى نصف الكنيسة فصنع المسلمون من نصف الكنيسة الذي دخلوه عنوة مسجدا وبقى النصف الذي صالحوا عليه كنيسة فلما عزم الوليد على زيادة الكنيسة في المسجد طلب من الروم أن يبيعوا منه كنيستهم تلك بما شاؤا من عوض فأبوا عليه فانتزعها من أيديهم وكانوا يزعمون أن الذي يهدمها يُجَنّ فذكروا ذلك للوليد فقال أنا أول من يُجَنّ في سبيل الله وأخذ الفأسَ وجعل يَهْدِم بنفسه فلما رأى المسلمون ذلك تتابعوا على الهدم وأكذب الله زَعْمَ الروم وزُيِّن هذا المسجد بفصوص الذهب المعروفة بالفُسَيْفِساء تخالطها أنواع الأصبغة الغريبة الحُسْن وذَرْعُ المسجد في الطول من الشرق إلى الغرب مائتا خطوة وهى ثلاثمائة دراع وعرضه من القبلة إلى الجوف مائة وخمس وثلاثون خطوة وهى مائتا ذراع وعدد شمسات الزجاج الملونة التي فيه أربع وسبعون وبلاطاته ثلاثة مستطيلة من شرق إلى غرب سعة كل بلاط منها ثمان عشرة خطوة وقد قامت على أربع وخمسين سارية وثماني أرجل جِصّية تتخللها وست أرجل مُرَخّمة مُرَصّعة بالرُّخام الملون قد صُوّر فيها أشكال محاريب وسواها وهى تُقِلّ قُبَّةَ الرَّصاص التي أمام المحراب المسماة بقبة النَسْر كأنهم شَبَّهوا المسجدَ بنَسْر طائر والقبة رأسه وهى من أعجب مباني الدنيا ومن أي جهة استقبلت المدينة بدت لك قبة النسر ذاهبة في الهواء منفية على جميع مباني

البلد وتستدير بالصحن بلاطات ثلاثة من جهاته الشرقية والجوفية سعة كل بلاط منها عشر خطاو بها من السواري ثلاث وثلاثون ومن الارجل أربع عشرة وسعة الصحن مائة ذراع وهو من أجمل المناظر وأتمها حُسْنا وبها يجتمع أهل المدينة بالعشايا فمن قارئ ومُحَدّث وذاهب ويكون انصرافهم بعد العشاء الأخيرة واذا لقَى أحد كبرائهم من الفقهاء وسواهم صاحبا له أسرع كل منهما نحو صاحبه وحط رأسه وفي هذا الصحن ثلاث من القباب احداها في غربيه وهى أكبرها وتسمى قبة عائشة أم المؤمنين وهى قائمة على ثمان سَوار من الرخام مزخرفة بالفصوص والاصبغة الملونة مسقفة بالرصاص يقال ان مال الجامع كان يخزن بها وذكر لي أن فوائد مستغلات الجامع ومجابيه نحو خمسة وعشرين ألف دينار ذهبا في كل سنة والقبة الثانية من شرق الصحن على هيئة الأخرى الا أنها أصغر منها قاعة على ثمان من سواري الرخام وتسمى قبة زين العابدين والقبة في وسط الصحن وهى صغيرة مثمنة من رخام عجيب محكم الالصاق قائمة على أربع سوار من الرخام الناصع وتحتها شُبّاك حديد في وسطه أنبوب نحاس يَمُجّ الماء إلى عُلْو فيرتفع ثم ينثني كأنه قضيب لَجُين وهم يُسَمُّونه قَفَص الماء ويستحسن الناس وضع أفواههم فيه للشرب وفي الجانب الشرقي من الصحن باب يُفْضي إلى المسجد بديع الوضع يسمى مشهد علي بن أبي طالب رضى الله عنه ويقابله من الجهة الغربية حيث يلتقي البلاطان الغربي والجوفي موضع يقال ان عائشة رضى الله عنها سمعت الحديث هناك وفي قبلة المسجد المقصورة العظمى التي يؤم فيها امام الشافعية وفي الركن الشرقي منها ازاء المحراب خزانة كبيرة فيها

المصحف الكريم الذي وجهه أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى الشام وتفتح تلك الخزانة كل يوم جمعة بعد الصلاة فيزدحم الناس على لَثْم ذلك المصحف الكريم وهنالك يُحَلِّف الناسُ غُرَماءَهم ومَن ادّعَوْا عليه شيئا وعن يسار المقصورة محراب الصحابة ويذكُر أهل التاريخ انه اوّل محراب وضع في الاسلام وفيه يؤم امامهم ولهذا المسجد ثلاث صوامع احداها بشرقيّة وهى من بناء الروم وبابها داخل المسجد وبأسفلها مَطْهَرة وبيوت للوضوء يَغْتَسل فيها المعتكفون والملتزمون للمسجد ويتوضؤن والصومعة الثانية بغربيه وهى ايضا من بناء الروم والصومعة الثالثة بشاله وهى من بناء المسلمين وعدد المؤذنين به سبعون مؤذنا وفي شرق المسجد مقصورة كبيرة فيها صهريج ماء وهى لطائفة الزيالعة السودان وفي وسط المسجد قبر زكريا عليه السلام وعليه تابوت معترضين بين اسطوانتين مَكْسُوّ بثوب حرير أسود مُعْلَم فيه مكتوب بالأبيض (يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى) وهذا المسجد شهير الفضل وقرأت في فضائل دمشق عن سفيان الثَوْري انّ الصلاة في مسجد دمشق بثلاثين ألف صلاة وفي الاثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يُعْبَد الله فيه بعد خراب الدنيا أربعين سنة ويقال ان الجدار القبلي منه وضعه نبي الله فيه بعد خراب الدنيا أربعين سنة ويقال ان الجدار القبلي منه وضعه نبي الله هود عليه السلام وأن قبره به وقد رأيت على مقربة من مدينة ظَفارِ اليمن بموضع يقال له الاَحْقاف بَنِيّة فيها قبر مكتوب عليه هذا قبر هود بن عامر صلى الله عليه وسلم ومن فضائل هذا المسجد أنه لا يخلو عن قراءة القرآن والصلاة الا قليلا من الزمان والناس يجتمعون به

كل يوم إثر صلاة الصبح فيقرؤن سُبعا من القرآن ويجتمعون بعد صلاة العصر لقراءة تسمى الكوثرية يقرؤن فيها من سورة الكوثر إلى آخر القرآن وللمجتمعين على هذه القراءة مرتبات تجري لهم وهم نحو ستمائة انسان ويدور عليهم كاتب الغيبة فمن غاب منهم قطع له عند دفع المرتب بقدر غيبته وفي هذا المسجد جماعة كبيرة من المجاورين لا يخرجون منه مُقْبلون على الصلاة والقراءة والذّكْر لا يفْتُرون عن ذلك ويتوضؤن من المَطَاهر التي بداخل الصومعة الشرقية التي ذكرناها وأهل البلد يُعينوهم بالمطاعم والملابس من غير أن يسألوهم شيأ من ذلك وفي هذا المسجد أربعة أبواب بابٌ قبلي يعرف بباب الزيادة وبأعلاه قطعة من الرُمْح الذي كانت فيه راية خالد بن الوليد رضى الله عنه ولهذا الباب دهليز كبير متسع فيه حوانيت السقاطين وغيرهم ومنه يُذْهب إلى دار الخيل وعن يسار الخارج منه سماط الصقارين وهى سوق عظيمة ممتدة مع جدار المسجد القبلي من أحسن أسواق دمشق وبموضع هذه السوق كانت دار معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه ودور قومه وكانت تسمى الخضراء فهدمها بنو العباس رضى الله عنهم وصار مكانها سوقا وبابٌ شَرْقِيّ وهو أعظم ابواب المسجد ويسمى بباب جَيْرون وله دهليز عظيم يُخْرَج منه إلى بلاط عظيم طويل أمامه خمسة أبواب لها ستة أعمدة طوال وفي جهة اليسار منه مشهد عظيم كان فيه رأس الحسين رضى الله عنه وبازائه مسجد صغير ينسب إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وبه ماءٌ جارٍ وقد انتظمت أمام البلاط دَرَج يُنْحَدَر فيها إلى الدهليز وهو كالخندق العظيم يتصل بباب عظيم الارتفاع تحته أعمدة كالجذوع طوال

وبجانبي هذا الدهليز أعمدة قد قامت عليها شوارع مستديرة فيها دكاكين البَزّازين وغيرهم وعليها شوارع مستطيلة فيها حوانيت الجوهريين والكُتْبيين وصُنّاع أواني الزجاج العجيبة وفي الرَحَبة المتصلة بالباب الأول دكاكين لكبار الشهود منها دكانان للشافعية وسائرها لاصحاب المذاهب يكون في الدكان منها الخمسة والستة من العدول والعاقد للانكحة من قبل القاضي وسائر الشهود مفترقون في المدينة وبمقربة من هذه الدكاكين سوق الورّاقين الذين يبيعون الكاغِد والاقلام والمداد وفي وسط الدهليز المذكور حوض من الرخام كبير مستدير عليه قبة لا سَقْف لها تُقِلُّها أعمدة رخام وفي وسط الحوض أنْبوب نحاس يُزعِج الماء بقوة فيرتفع في الهواء أزيد من قامة الانسان يسمونه الفَوّارة مَنْظَرُه عجيب ويمين الخارج من باب جَيْرون وهو باب الساعات غرفة لها هيئة طاق كبير فيه طيقان صغار مُفَتَّحة لها أبواب على عدد ساعات النهار والابواب مصبوغ باطنها بالخضرة وظاهرها بالصفرة فاذا ذهبت ساعة من النهار انقلب الباطن الاخضر ظاهرا والظاهر الاصفر باطنا ويقال ان بداخل الغرفة من يتولى قلبها بيده عند مضي الساعات والباب الغربي يعرف بباب البريد وعن يمين الخارج منه مدرسة للشافعية وله دهليز فيه حوانيت للشماعين وسماط لبيع الفواكه وبأعلاه باب يصعد إليه في دَرَج له أعمدة سامية في الهواء وتحت الدرج سِقَايَتَان عن يمين وشمال مستديرتان والباب الجوفي يعرف بباب النطفانيين وله دهليز عظيم وعن يمين الخارج منه خانقاه تعرف بالشميعانية في وسطها صهريج ماء ولها مطاهر يجري فيها الماء ويقال انها كانت دار عمر بن عبد العزيز رضى الله

عنه وعلى كل باب من أبواب المسجد الأربعة دار وضوء يكرن فيها نحو مائة بيت تجري فيها المياه الكثيرة (لابن بطوطة) .

لابي البقا صالح بن شريف الرَنْدي يرثي الاندلس

لكل شيءٍ اذا ما تَمَ نُقْصانُ ... فلا يُغَرّ بطِيب العيش انسان
هي الامور كما شاهدتَها دُوَل ... مَن سَرّه زَمَنٌ ساءَتْه أزمان
وهذه الدار لا تُبْقِي على أحد ... ولا يدوم على حالٍ لها شان
يُمَزِّق الدهرُ حَتْما كلَّ سابغةٍ ... اذ نَبَتْ مَشْرِفيّات وخُرْصَانُ
ويَنْتَضِي كلَّ سَيفٍ للفتاء ولو ... كان ابنَ ذِي يَزَنٍ والغِمْدَغُمْدانُ
أين الملوك ذَوُو التيجان من يَمَنِ ... وأين منهم أكاليلٌ وتيجان
وأين ما شاده شدّاد في إرَمٍ ... وأين ما ساسه في الفُرْس سَاسَان
وأين ما حازه قارُونُ من ذَهَب ... وأين عادٌ وشدَّاد وقَحْطَان
أتَى على الكُلّ أمْرٌ لا مَرَدَّ له ... حتى قَضَوْا فكَأَنّ القومَ ما كانوا
وصار ما كان من مُلْكٍ ومن مَلِكٍ ... كما حَكَى عن خَيال الطَيْف وَسْنَانُ
دَارَ الزمانُ على دَارَا وقاتله ... وأمّ كِسْرَى فما آواه إيْوَان
كأنما الصَعْب لم يَسْهُل له سَبَبٌ ... يوما ولا مَلَك الدنيا سُليمَان
فجائِعُ الدهر أنواعٌ مُنَوَّعة ... وللزمان مَسَرَّاتٌ وأحْزان
وللحوادث سُلْوانٌ يُسَهِّلها ... وما لِما حَلّ بالاسلام سُلْوان
دَهَى الجزيرةَ أمْرٌ لا عَزَاءَ له ... هَوَى له أُحُدٌ وانْهَدّ ثَهْلان

أصابَها العَين في الاسلام فأْتَزَأتْ — حتى خَلَتْ منه أقطار وبُلْدان

فاسْأَلْ بَلَنْسِيَةً ما شَأْنُ مُرْسِيَةٍ — وأين شاطِبةٌ أمْ أين جَيَّان

وأين قُرْطُبةٌ دارُ العلوم فكم — من عالمٍ قد سما فيها له شان

وأين حِمْصٌ وما تحويه من نُزَه — ونَهْرُهاً العَذْب فَيّاض ومَلآن

قَوَاعِدٌ كُنّ أركانَ البلاد فما — عَسَى البَقاءُ اذا لم تَبْقَ أركان

تَبْكِي الحنيفيّة البيضاءُ من أسَفٍ — كما بكى لِفِراق الإلْف هَيْمان

على ديار من الاسلام خالية — قد أقْفَرَت ولها بالكفر عُمْران

حيث المساجدُ قد صارت كنائسَ ما — فيهنّ الّا نَوَاقيسٌ وصُلْبَان

حتى المَحَاريب تبكي وهي جامِدة — حتى المَنَابِر ترثِي وهي عِيْدان

يا غافلا وله في الدهر موعظة — ان كنت في سِنَةٍ فالدهرُ يَقْظان

وماشِيًا مَرِحًا يُلْهِيه موطِنُه — أبَعْدَ حِمْصٍ تَغُرُّ المرءَ أوطان

تلك المصيبة أنْسَتْ ما تَقَدَّمَها — وما لها مع طُول الدهر نِسيان

يا راكبينَ عِتاقَ الخيل ضامِرةً — كأنّها في مَجال السَبْق عِقْبان

وحاملين سيوفَ الهند مُرْهَفَةً — كأنها في ظلام النَقْع نيران

ورَاتِعين وَرَاء البَحْر في دَعَةٍ — لهم بأوطانِهم عزٌّ وسلطان

أعِنْدكم نَبَأ من أهل أنْدَلُسٍ — فقد سَرَى بحديث القوم رُكْبان

كم يَسْتَغيث بِنَا المُسْتَضْعَفُون وهم — قَتْلَى وأسْرَى فما يَهْتَزّ انسان

ماذا التَقاطُع في الاسلام بَيْنَكُمُ — وأنتُمُ يا عبادَ الله اخوان

أَلَا نُفُوسٌ أبِيّات لها هِمَمٌ — أمَا على الخير أنْصار وأعْوان

يا مَن لِذِلّة قوم بعد عِزّهِم — أحَالَ حالَهُم جَوْرٌ وطُغْيان

بالأمْس كانوا مُلوكا في مَنازلهم — واليومَ هُمْ في بلاد الكُفْر عُبْدان

فلو تراهم حَيارَى لا دَليلَ لهم — عليهمُ في ثِياب الذُّلّ ألوان

ولــو رأيــت بُكــاهم عنــد بَـيْعِهِمُ لَهالَـــك الأمْـــرُ واسْـــتَهْوَتْك أحـــزان

يــا رُبّ أُمٍّ وطِفْــل حِيــلَ بَيْــنَهُما كـــــما تُفَـــــرَّق أرْواحٌ وأبْـــــدَان

وطَفْلةٍ مِثْل حُسْن الشَمْس اذ لَعَـتْ كانَّمـــــا هـــــى يـــــاقوتٌ ومَرجـــــان

يَقُودُهــا العِلْـج للمكْــرُوه مَكْرَهَــةً والعــــين باكيــــةٌ والقلــــب حَــــيْران

لِمثْل هذا يَـذُوب القلـب مـن كَمَـدٍ ان كــان في القلــب اســلام وايمــان

كان الخليفة عبد الرحمن الناصر كَلِفًا بعمارة الأندلس وإقامة مَعالِمها وتخليد الآثار الدالة على قُوّة المُلْك وعِزّة السلطان فأفْضَى به الاغِراق في ذلك إلى أن ابْتَنَى مدينة الزهراء البناء الشائع ذكره المنتشر صيته واستفرغ جهده في تنميقها واتقان قصورها وزخرفة مَصانعها فاستدعى عُرَفاء المهندسين وحشد بُرعَاء البنائين من كل قُطْر فوفَدوا عليه حتى من بَغْداد والقُسْطَنْطينية ثم أخذ في بناء المُسْتَنْزَهات وانشاء مدينة الزهراء الموصوفة بالقصور الباهرة وأقامَها بطرق البلد على ضَفّة نهر قُرْطُبة ونَسّق فيها كل اقتدار مُعْجز ونظام وكان قَصْر الخليفة متناهيا في الجلالة والفخامة أطبقَ الناس على أنه لم يبن مِثْله في الاسلام البَتّة وما دَخَل إليه أحَدٌ من سائر البلاد النائية والنِحَل المختلفة الّا وكُلُّهم قطَعَ أنه لم يَرَ له شبيها بل يَسْمَع به بل لم يَتَوَهّم كَوْنَ مِثْله ولو لم يكن فيه الا السطح المُمَرَّد المُشْرِف على الروضة المباهى بمجلس الذهب والقبة وعجيب ما تضمنه من اتقان الصنعة وفخامة الهمة وحسن المستشرف وبراعة الملْبَس والحِلْيَة ما بين مَرْمَرٍ مَسْنُون وذَهَب مَصُون وعَمَدَ كأنما أُفْرِغَتْ في القَوالِب وتَمَاثيل لا تُهْدَى الأوهامُ إلى سبيل استقصاء التعبير عنها (لكفى مثلا) وكنتَ تَرَى في مقصورة الخليفة بِرْكَةً يجري الماء فيها بصنعة محكمة وفي وسطها يَعُوم أسَد عظيم الصُّورة بديع شديد الروعة لم يشاهد أبْهَى منه فيما صَوّر الملوك في غابر الدهر مَطْلِيّ بذَهب ابْريز وعَيْناه جَوْهَرَتان لهما وَ بِيضٌ شديد فَيَمُجّ الماءَ في تلك البركة من فيه فَيَبْهَر

المَناظِر بحسنه ورَوْعة مَنْظَره وثجّاج صَبّه فَتُسْقَى من مُجاجه جنَان هذا القصر على سَعَتِها ويَسْتَفيض على ساحاته وجَنَبَاته وهذه البِرْكة ومِثْالها من أعظم آثار الملوك في غالب الدهر لفخامة بنيانها وما يخص سائر البِنايات فكان الناصِر قد جَلَب إليها الرُخامَ الأبيض المُجَزّع من رَيَّةَ والأبيضَ من غيرها والوَرْدِيّ والاخضر من إفْريقية وبَنَى في القصر المَجْلِس وجعل في وسطه اليَتيمة التي أتحفَ الناصرَ بها اليون ملك قسطنطينية وكانت قَرَامد هذا القصر من الذهب والفِضّة وهذا المجلس في وسطه صِهْريج عظيم مملوء بالزئبق وكان في كل جانبٍ من هذا المجلس ثمانية أبواب قد انعقدت على حَنايا من العاج والأبَنُوس المُرَصّع بالذهب وأصناف الجواهر قامت على سَوَارٍ من الرُخام الملَوّن والبِلَّوْر الصافي وكانت الشمس تدخل على تلك الابواب فيضرب شُعاعها في صدر المجلس وحيطانة فيصير من ذاك نورٌ يأخذ بالابصار وكان بناءُ الزَهْراء في غاية الاتقان والحسن وبها من المرمر والعَمَد كثير وأجرى فيها المياهَ وأحْدَق بها البساتين وقد أتقنه إلى الغاية وأنفق عليه أموالا طائلة ووضع في وسط البحيرة قبّةً من زجاج مُلَوّن منقوش بالذهب وجَلَب الماء على رأس القبة بتدبير أحكمه المهندسون فكان الماءُ ينزِل من أعلى القبة على جوانبها محيطًا بها ويتصل بعضه ببعض وكانت قبة الزجاج في غِلالةٍ مما سُكِبَ خَلْف الزجاج لا يَفْتُرُ من الجَرْي وتُوقَد فيها الشموع فَيُرَى لذلك مَنْظَرٌ بديع وتَمَّ بناءُ الزهراء في أربعين سنة (للمقري)

لما رَكِبْنا البَحْر وحَلَلْنا منه السَّحْر والنَحْر شاهَدْنا من أهواله وتنافِي أحوالِهِ ما لا يُعَبَّر عنه ولا يُبْلَغ له كُنْه

البَحْر صَعْب المرامِ جِدًا	لا جُعِلَتْ حاجَتِي إليه
أَلَيْسَ ماءً ونحنُ طينٌ	فما عَسَى صَبْرُنا عليه

فكم اسْتَقْبَلَتْنا أمْوَاجُه بُوجُوهٍ بَوَاسِر وطارت إلينا من شِراعه عقْبَانٌ كَوَاسِر قد أزْعَجَتْها أكُفّ الريح من وكْرها لَمّا نَبَّهَتْ اللُّجَجَ مِن سُكْرها فلم تُبْق شيئا من قُوّتِها فسَمِعنا للجبال صَفِيرا وللرّياح دَوِيّا عظيما وزَفيرا وتَيَقّنا أنّا لا نجد من ذلك الا فَضْلَ الله مُجيرا وخَفيرا واذا مَسَّكُمُ المُضُّر في البحر ضَلّ مَن تَدْعون الّا أيّاه وأيِسْنا من الحياة لصَوْت تلك العَوَاصِف والمياه فلا حَيّا الله ذلك الهَوَّ المُزْعِج ولا بَيّاه والمَوْجُ يُصَفِّق لسَماع أصوات الرياح فَيَطْرَب بل ويَضْطَرب فكأنه من كأس الجُنون يَشْرَب او شَرِب فَيَبْتَعِد ويَقْتَرِب وفِرْقُةُ تَلْتَطِم وتَصْطَفِق وتختِلف ولا تَكاد تتفِّق فَتَخَال الجَوَّ يأخُذ بنَوَاصيها وتَجْذِبُها أيْديه من قَوَاصيها حتى كاد سَطْح الارض يُكْشف من خِلالِها وعَنَان السُحْب يُخْطَف في استقلالها وقد أشْرَفَت النُفوس على التَلَف من خَوْفِها واعتِلالها وآذَنت الأحوال بعد انتظامها باختلالها وساءَتْ الظُنون وتراءت في صُورَها المَنُون والشِراع في قِراع مع جيوش الأمْوَاج التي أُمِدّت منها الأفواج بالافواج ونحن قُعود

كَدُودٍ على عُود ما بين فُرَادَى وأزْوَاج وقد نَبَتْ بنا من القَلَق أمكنَتُنا وخَرِست من الفَرَق ألْسِنَتُنَا وتَوَهَّمْنا انه ليس في الوُجود أغْوارٌ ولا نُجُود الا السماء والماء وذلك السفين ومَن في قَبْر جَوْفه دَفِين مع تَرَقُّب هُجوم العَدُوّ في الرَوَاح والغُدُو فزادنا ذلك الحَذَر الذي لم يُبْق ولم يَذَر على ما وصَفناه من هول البَحْر قَلقَنا وأجْرَيْنا اذْ ذاك في ميدان الإلْقاءِ باليَدِ إلى التَهْلُكَة طَلَقًا وتَشَتَّتَتْ أفكارُنا فِرَقًا وذُبْنا أسًى ونَدَمنا وفَرَقا إلى أن قَضَى الله بالنجاة وكلُّ أفكارُنا فهو الكائن وان نَهَى عنه وأخطأ المائن فرأينا البَرَّ وكأنّنا قبلُ لم نَرَه وشُفِيَتْ به اعْيُنُنا من المَرَه وحَصَل بعد الشِدّة الفَرَج وشَمِمْنا من السَّلامة أطْيَبَ الأَرَج (نفح الطيب للمقري)

قال محمود سامي البارودي

يصف حرب سكان جزيرة اقريطش (كريد) حين خرجوا عن الطاعة

سنة 1282 ويتشوق إلى مصر

أَخَـذَ الكَـرَى بِمَعَاقِـد الأجْفـان ... وهَفَـا الـسُرَى بأعنّـة الفُرْسـان

والليـلُ مَنْـشُور الـذَوَائِب ضـارِب ... فَـوْق المَتَـالِع والـرُّبَى بِجِـران

لا تـستبِين العَـيْن في ظَلْمائـه ... الا اشْـتِعالَ أسِـنّة المُـرّان

نَـسْرِي بـه مـا بـين لُجّـة فِتْنـةٍ ... تَـسْمُو غَـوَارِبُها عـلى الطُوفـان

في كـل مَرْبَـأةٍ وكـل ثَنِيّـة ... تَهْـدَار سَـامِرة وعَـزْف قِيَـان

تَـــسْتَنّ عادِيَــــةٌ ويَـــصْهَل أجْــرَدٌ وتَـــصيح أجْـرَاس ويَهْتِــف عَــان

قَـــوْمٌ أبَى الــــشَيْطان الّاخُـــسْرَهم فَتَـــسلَّلُوا مـــن طاعـــة الـــسُلطان

مَلَـــؤُا الفَـــضَاءَ فـــما يَبِـــينُ لنـــاظرٍ غَـــيْرُ الـــتِماع البِـــيض والخُرْصـــان

فالبَـــدرُ أكْـــدَرُ والـــسماءُ مَريـــضة والبَحْـــر أشْـــكَل والرِّمـــاحُ دَوَان

والخَيـــل واقفـــةٌ عـــلى أرْســـانِها لِطِـــراد يـــومِ كَريهـــةٍ ورِهـــان

وضَـعوا الـسِلاحَ إلى الـصباح وأقْبَلـوا يَتَكلَّمـــون بألْـــسن النِـــيران

حتـى اذا مـا الـصُبْح أسـفَر وارْتَمَـتْ عَينـــاىَ بـــينُ رُبًى وبـــين مَجـــان

فـــاذا الجبـــالُ أسِـــنّةٌ واذا الوِهـــا دُ أعِنّـــةٌ والمـــاءُ أحْمَـــرُ قَـــان

فَتَوجَّـسَت فَـرْطَ الرِكـاب ولم تكـن لِتَهـابَ فامْتَنَعَـت عـلى الأرْسـان

فَزِعَـــت فَرَجَّعَـــت الحَنِـــين وانمـــا تَحْنانُهـــا شَـــجَنٌ مـــن الأشـــجان

ذكَـرَت مَوارِدَهـا بمـصر وأيْـنَ مِـن مـــاءٍ بمـــصرَ مَنـــازِلُ الرومـــان

والـنَفْس لاهِيـةٌ وان هِـىَ صـادَفت خَلَفـــا بـــأوّل صـــاحبٍ ومكـــان

فَـــسقَى الـــسِماكُ مَحَلَّـــةً ومَقامـــةً في مِـــصرَ كـــل مُرِنـــة مِرْنـــان

حتـــى تعـــودَ الأرضُ بعـــد ذُبُولهـــا شَـــتّى الـــنماءِ كثـــيرةَ الألـــوان

بَلَـدٌ خَلعْـتُ بهـا عِـذارَ شَـبِيبَتي وطَرَحْـتُ في يُمْنَـى الغَـرامِ عنـاني

فـــصعيدُها أحْوَىالنَبَـــاتِ وسَرْحُهـــا ألْمَـي الظِـلالِ وزَهْرُهـا مُتَـداني

فارقْتُهـــا طَلَبًـــا لِـــمَا هـــو كـــائن والمـــرْءُ طَـــوْع تَقَلُّـــب الأزمـــان

حَمَـلَ الزمـانُ عـلَيّ مـا لم أجْنِـه انّ الأمـاثـــل عُرْضَـــة الحَـــدَثان

نَقَمُـوا عَـلَيّ وقـد فَتَكْـتُ شَـجاعتي انّ الـــشَجاعة حِلْيـــة الفِتْيـــان

فلْيَهْنَـــأ الـــدهرُ الغَيُـــور برحْلَتـــي عـن مِـصرَ ولْتَهْـدَأْ صُروف زمـاني

فلـئن رَجَعْـت وسـوف أرْجِـع واثِقـا باللـــه أعْلَمْـــتُ الزمـــانَ مكـــاني

صادَقْتُ بعضَ القوم حتى خانَني وحَفِظْتُ منه مَغيبة فَرماني
زَعَم النصيحةَ بعد أن بَلَغَت به غِشًّا وجازَي الحقَّ بالبُهْتان
فلْيَجْرِ بعدُ كما أراد بنفسه انّ الشقِيَّ مَطِيَّة الشيطان
وكذا اللئيمُ اذا أصابَ كرامة عادَى الصديقَ ومالَ بالاخوان
كلُّ امْرِئٍ يَجْري على أعْراقه والطبعُ ليس يحول في الانسان
فَعَلَى مَ يَلْتَمِسُ العدوُّ مَساءتِي من بعدِ ما عَرَف الخلائقُ شاني
أنا لا أذِلّ وانما يَزَعُ الفَتَى فَقْدُ الرجاء وقِلّة الاخوان
فَلَيَعْلَمَنّ أخُو الجَهالة قَصْرَه عَنيّ وان سَبَتْ به قَدمان
فَلَرُبَّما رَجَح الخَسيسُ من الحَصَى بالدُّرِّ عند تَراجُح الميزان
شَرفٌ خُصِصْتُ به وأخْطَأ حاسِدِي مَسْعاتَه فَهَذَى به وقَلاني

رسالة الشيخ حمزة فتح الله للسيد توفيق البكري يمدحه

اعادة العَرَض يوم العَرْض

مَسألةٌ كلاميّة ثَارتْ فيها عَجَاجَة الكلام بين عُلَماء الكلام فمِن ايجازٍ وإطْناب في سَلْب وايجاب (وتَعْلَم أنت أنّ الألفاظ أعْراضٌ سيّالة لكنني آمَنْتُ عِيانا انّ الله تعالى يُحي المَوتَى أعْراضًا وأعْيانا اذ كانت كُتُبُك زيادةً في البَيَان والبُرْهان وان كان خَبَرُ المَعْصُوم أوثَقَ من الحِسّ في النَفْس فأنشُدُ الله امْرَأ شِيمَتُه العَدْل والقَوْل الفَصْل أَلَيْستْ كُتُبُك هذه حُجّةَ

للموجِب دامِغَةً للسالِب أليس ذلك البَيَان غايَةَ شَأْوِ قُسٍّ وسَحْبَان أليس قُصَارَى ابن العَميد وحُمَادَي عبد الحميد فقد أُعيد العَرَض الذي هو الكلام في الدنيا فَفي الأُخْرَى أحْرَى فَتَراني يا مَليك البَراعات وقُسْوَرَ تِلْكُمُ الغابات أسيفا على ضن الزمان بك إلى الآن فلو أن اللــه تعالى بَرَاك وخَلَقَك فَسَوّاك حين استَعَر الخِصام في هذا المقام لَمَا اخْتَلَفَ في شأنهِ اثنان ولا انْتَطح عَنْزَان .



فهرس الكتاب

هذا الكتاب :

يتناول بالتحليل والدراسة حالة اللغة العربية قبل الاسلام وبعده ، وسعتها لتدوين العلوم على كثرتها واختلافها وفضلها على المدينة التي عمت جميع الممالك الاسلامية إبان عظمتها واتساعها ..ويتناول كذلك تراجم بعض المشهورين من الشعراء والكتاب والخطباء والعلماء ، وقد تضمن بعض المختارات من النثر والنظم في كل عصر ، لتكون بمثابة مرشد لمفردات اللغة النافعة وأساليبها الحسنة المختلفة ومعانيها وتراكيبها المتينة ، فصار هذا الكتاب أدب ومطالعة ومختارات للحفظ يجد فيه القارىء ضالته التي ينشدها وبغيته التي يطلبها لمعرفة وإتقان اللغة العربية .



9789777184953